تمهيد

أَوَّلاً– مفهوم الدَّلالة فِي اللُّغة والاصطلاح وتأصيلها فِي التراث.

1– مفهوم الدَّلالة فِي اللُّغة والاصطلاح.

2– تأصيل الدَّلالة فِي التراث.

أ– تأصيل الدَّلالة فِي القرآن الكريم.

ب– تأصيل الدَّلالة فِي الحديث الشريف.

ج– تأصيل الدَّلالة فِي الشعر العربي.

ثانيًا– تَرْجَمَة لأَبي بكر الأَنباري(ت328هـ).

ثالثًا– التعريف بكتاب(الزاهر فِي معاني كلام النَّاس).

أولاً- ترجمة أَبي بكر الأَنباري(328هـ):

1-اسمه ونسبه ولقبه:

أَجمعت المصادر على أَنَّهُ محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشّار بن الحسن بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الأَنباري، وكنيته أَبو بكر[1].

وُلِدَ أَبو بكر الأَنباري سنة إحدى وسبعين ومئتين هجرية (271 هـ)، فِي مدينة الأَنبار، قدم إِلى بغداد وهو صغير السنّ.

2- نشأته:

نشأ أَبو بكر الأَنباري في بيت علم إِذْ كان والده من كبار عُلماء الكوفة فِي عصره، وعالمًا بالأدب موثّقًا للرواية، فأخذ العِلم عنه، وعن أَبِي العَبّاس أَحمد بن يحيى ثعلب الكوفي(ت291هـ)، وأَخذ عن إِسماعيل القاضي وأَبي العباس الكُديمي وأَحمد بن الهيثم البزّاز ، ولم يلبث أَنْ أَصبح إِمامًا فِي اللُّغة والنحو والأَدب والتفسير، ويُعَدُّ علمًا من أَعلام الطبقة السادسة من النحويين الكوفيين على ما ذكره الزُبيدي(ت379هـ) فِي طبقاته [2].

3 ـ صفاته:

كان أَبو بكر بن الأَنباري ذكيًّا فطنًا عُرِف بكثرة حفظه، قال عنه أَبو عليّ القالي(356هـ): " كان يحفظ ثلاثمئة بيتٍ من الشعر، وشاهدٍ من القرآن الكريم " [3]، وكان من

---

(1) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي(ت646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1424هـ، ج3/ 1 ـ 2)، وبغية الوعاة، السّيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1952م، ج1/186، والأضداد، الأنباري(ت328هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ، ط1، 1967م، ج1/13، وطبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزُبيدي الأندلسي(ت379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، مصر، ط2، 1984م، 171 ـ 172، وتأريخ بغداد، البغدادي(ت463هـ)، الناشر: مطبعة السعادة، مصر، ط1، (د،ت)، ج2/ 181.

(2) ينظر: الفهرست، ابن النديم(ت438هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1997م، 82، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري(ت577هـ)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، ط3، 1985م، 181، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي(ت626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط ، د. ت)، ج6/318، والأضداد (أبو بكر الأنباري)، ج1/ 13.

(3) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري(ت328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1979م، ج1/15.

أَعلم النَّاس بالنحو والأدب وأَكثرهم حفظًا له [1]، وحُدِّثَ أنّه كان يحفظ عشرين ومئة تفسيرٍ من تفاسير القرآن الكريم بأسانيدها[2]، ورُوِيَ عنه أَنَّهُ كان صدوقًا فاضلاً ديّنًا خيّرًا مِنْ أَهل السُنّة، فقد كان موضع الإكبار، وكان ورعًا لا تُعرف لهُ زلّة، زاهدًا متواضعًا إذا أَخطأ اعترف بأَنَّهُ أَخطأ، فلم تكن نفسه تهوى ما تهواه النفس الإنسانية مِنْ مُتع الدنيا ولذّاتها، كان صائنًا لنفسه، معروفًا بالصدق، حافظًا عذب الأَلفاظ، حَسن البيان[3].

وحكي أَبو الحسن الدار قُطني أَنَّهُ حضر مجلس إملائه يوم الجمعة فصحّف اسمًا ورد فِي إسناد حديث " إَمّا كان (حيَّان) فقال: (حبَّان)، وإَمَّا كان (حبَّان)، فقال (حيَّان): " قال الدار قُطني: فأعظمتُ أَنْ يُحملَ عَنْ مثله فِي فضله وهَممتُ أَنْ أُوقفه على ذلك، فلّمَّا فرغ مِنْ إملائه تقدّمت إليه وعرّفته صواب القول فيه وانصرفتُ، ثمَّ حضرتُ الجمعة الثَّانية مجلسه، فقال أَبو بكر للمُستملي: عرّفْ جماعة الحاضرين أَنَّا صحّفنا الاسم الفلاني لمّا أَملينا حديث كذا فِي الجمعة الماضية ونبَّهَنا ذلك الشابّ على الصواب، وهو كذا وعرّف ذلك الشابّ أَنَّا رجعنا إلى الأَصل فوجدناه كما قال " [4].

ولسعة معرفته باللُّغة وكثرة اطّلاعه، إذْ قيل فيه أَنَّهُ كان آية مِنْ آيات الله فِي الحفظ [5]، ولم يكن يميل إلى الإكثار مِنْ الأَكل، وحينما سُئلَ عَنْ ذلك قال: " أَبقى على حفظي " [6].

4 ـ شيوخه:

لأَبـي بكر الأَنباري شيوخ كثيرون، أَخذ عنهم اللُّغة والنحو والأَدب والقراءات والتفسير والحديث، وقدّ ذكر مُحقّق كتاب(الزاهر) فِي مُقدَّمة تحقيقه ثبتًا بأسمائهم[7]. ومِنْ هؤلاء العُلماء:

---

(1) ينظر: إنباه الرواة، للقفطي، ج3/ 201.

(2) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي 153، وإنباه الرواة، للقفطي ج3/ 202، وبغية الوعاة، للسيوطي، 186.

(3) ينظر: إنباه الرواة، للقفطي، ج201/3.

(4) المصدر السابق، ج201/3.

(5) ينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ج18/ 308، وتذكرة الحفّاظ، شمس الدين الذهبي، الناشر: حيدر آباد، الدكن، الهند، ط4، (د، ت)، 843. والزاهر، للأنباري، ج14/1.

(6) تأريخ بغداد، للخطيب البغدادي ج3/ 183.

(7) ينظر: كتاب الزاهر، للأنباري، ج1/ 15، والمذكّر والمؤنّث، أبو زكرياء الفرّاء، تحقيق: رمضان عبد التواب وآخرون، الناشر: مكتبة الغانمي، مطبعة المدني، القاهرة، (د، ط)،1996م، 221.

أ- **إسماعيل بن إسحاق القاضي(ت282هـ)**، مِنْ حُفّاظ الحديث[1].

ب- **محمّد بن يونس الكُديمي(ت286هـ)**، سمع عنه الحديث[2].

ج- **الحسن بن عليل العنزي(ت290هـ)**، كان أَديبًا ولغويًا وإخباريًا، له كتاب النوادر[3].

د-**أبو العبّاس أحمد بن يحيى المعروف بـ (ثعلب ت291هـ)**، إمام الكوفيين فِي عصره فِي النحو واللُّغة[4].

هـ- **سليمان بن يحيى الضبّي(ت291هـ)**، مقرىء كبير قرأ بحرف حمزة بن حبيب الزيّات[5].

و- **إدريس بن عبد الكريم(ت292هـ)**[6].

ز-**عبد الله بن الحسن الحرّاني أبو شُعيب(ت295هـ)** [7].

ح-**عبد الله بن محمّد بن ناجية(ت303هـ)** [8].

ط-**أبو القاسم بن محمّد بن بشّار الأنباري(ت305هـ)**[9].

ك-**محمّد بن المرزبان(ت306هـ)**[10].

5 ـ تلاميذه:

تلّقى العِلم عَنْ أَبي بكر الأَنباري كثيرون مِنْ لُغويين ونُحاة وقُرّاء ومفسّرين، ورواة شعر وأَخبار، أَذكر منهم:

1- محمّد بن عُزَيْز السجستاني(ت330هـ) [11].

---

(1) ينظر: تأريخ بغداد، ج3/ 182. وطبقات المفسّرين، للسيوطي، تحقيق: سالم فيض الله، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د،ط)، 1971م، ج1/ 150، وبغية الوعاة، للسيوطي، ج1/ 209.

(2) ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط1، 1963م، ج4/ 74.

(3) ينظر: غاية النهاية في طبقات القُرّاء، ابن الجزري(ت831هـ)، عني بنشره المستشرق الألماني (برجشتراسر)، الناشر: الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1988 م، ج1/ 317.

(4) ينظر: إنباه الرواة، ج1//319.

(5) ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري ج1/ 320.

(6) ينظر: المصدر السابق، ج1/ 320.

(7) ينظر: تأريخ بغداد، للخطيب البغدادي، 435 ـ 437، وإنباه الرواة، للقفطي، ج2/ 115.

(8) ينظر: المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، جمال الدين ابن الجوزي(ت597هـ)، الناشر: حيدر آباد، ط1، 1357هـ: ج6/ 125.

(9) ينظر: تأريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ج330/10 ، وغاية النهاية، لابن الجزري، ج24/3، وإنباه الرواة: للقفطي ج3/ 28.

(10) ينظر: معجم الأدباء، للحموي، ج9/ 52.

(11) ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ج2/ 193.

2- أبا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي النَّحوي البغدادي(ت337هـ) [1].

3- أبا الفرج عليّ بن الحسين الكاتب الأَصفهاني(ت337هـ) [2].

4- أبا جعفر أَحمد بن محمّد بن إسماعيل النحَّاس النَّحوي المصري (ت338هـ)[3].

5- عبد الواحد بن أَبي هاشم(ت344هـ) [4].

6- أَبا علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي(ت356هـ) [5].

6 ـ آثاره العلمية:

لأَبي بكر بن الأَنباري كُتب كثيرة سأذكر **المطبوع** منها الذي توفّرت على رؤيته، **والمخطوط** الذي ذكره المحقّقون مرتبة بحسب الترتيب التأريخي للنشر:

1- الأضداد، نُشِرَ فِي القاهرة غير محقّق عام 1907م، ثمّ حقّقه محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، الكويت سنة، (1960م).

2 - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السَّلام محمد هارون، ط1، مصر، 1963م.

3 - إيضاح الوقف والابتداء فِي كتاب الله عزَّ وجلّ، حققه محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط 1، دمشق، 1971م

4 - الهاءات فِي كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ، نُشِرَ بعضه بتحقيق نوّار محمد حسين آل ياسين، مجلة البلاغ (الجزءان 4،5)، بغداد، 1976 م.

5- المذكّر والمؤنّث، حقّقه الدكتور طارق الجنابي، ط1، بغداد، 1978 م.

6 - الزاهر فِي معاني كلمات النَّاس، حقّقه، حاتم صالح الضامن. ط1، بغداد، 1979م. والطبعة الثانية، بغداد، 1987 م.

7 - شرح الألفات المبتدآت فِي الأَسماء والأَفعال، تحقيق: أَبي محفوظ الكريم المعصومي، مجلة المجمع العِلمي، دمشق، المجلد 34، الجزآن 2، 3

---

(1) ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلّكان(ت681هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1998 م، ج65/2.

(2) ينظر: المصدر السابق، ج2/ 46.

(3) ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ج1/ 67. ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ج1/ 58.

(4) ينظر: إنباه الرواة، للقفطي، ج3/ 202.

(5) ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ج1/ 122. وبغية الوعاة، للسيوطي، ج1/ 453.

8- شرح خطبة عائشة أُم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ فِي أَبيها، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجّد، مجلة المجمع العلمي، دمشق، المجلد 37، الجزء3. [1]

أمّا المخطوط فهو:

1 ـ شرح غاية المقصود فِي المقصور والممدود لابن دريد، مخطوطة فِي دار الكتب المصرية ضمن مجموع (755) مجاميع، ذكره حاتم فِي مقدمة تحقيقه.

2 ـ قصيدة مشكل اللُّغة وشرحها، منها نسختان فِي دار الكُتب الظاهرية، وثالثة فِي مكتبة البلدية بالإسكندرية، ورابعة فِي جامعة بيل [2].

وهُناك كُتب أُخرى بلغت أَربعةً وأَربعين مصنفًا ذكرها القُدماء فِي كتبهم، وهُناك كُتب نُسبت إِليه، لكنَّ المحقّق حاتم الضامن بيَّن خطأ نسبتها إِليه [3].

7 ـ وفاته:

تُوُفِّيَ أَبو بكر بن الأَنباري ــ رحمه الله تعالى ــ فِي بغداد سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة هجرية(ت328هـ)، ودُفِنَ فِي داره [4]، ومضى فِي الخالدين مخلّفًا وراءه إِرثًا كبيرًا من كُتب اللُّغة والنحو وعُلُوم القرآن والحديث والأَمثال وغيرها.

ثانياً ـ التَّعريف بكتاب(الزاهر فِي معاني كلام النَّاس):

1 ـ منهج الكتاب:

لكتاب الزاهر منهج محدّد فهو معجم يعرض الأقوال والأمثال مِنْ غير نظام أَو ترتيب، ويبدأ بطريقة عرض هذه الأَقوال، وذلك بذكر القول ثمَّ يبدأ شرحه، ونعرض مثلاً واحدًا لذلك: قولهم: (ما فِي الدارِ مِنْ صافر)، قال أَبو بكر: فيه قولان، يُقال: ما فِي الدارِ شيءٌ يُصفر به، قالوا: معنى صافر: مصفور، كما يُقال: ماء دافق فيكون معناه: ماء مدفوق، وسرّ كاتم، معناه: سرّ مكتوم، والقول الثَّاني: أَنْ يكون المعنى: ما بالدار أَحدٌ، قال الشاعر:

---

(1) ينظر: كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 22..

(2) ينظر: المصدر السابق، ج1/ 22.

(3) ينظر: الزاهر، للأنباري، ج1/ 25 . 27.

(4) ينظر: كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج1/ 18، وإنباه الرواة، للقفطي، ج3/ 206. وبغية الوعاة، للسيوطي،ج187/1 .

خَلـــتِ المَنَـــازلُ مـــا بِهَـــا مِمّـــنْ عهـــدت بهـــنَّ صـــافرُ [1]

وهذه هي الطريقة المتّبعة فِي كتاب الزاهر مِنْ أَوَّلِهِ إِلى آخِره.

ومِنْ أَبرز السِّمات التي تُوضّح منهج الزاهر اللُّغوي مَا يأتي:

أ- يشرح القول أَو المثل، ويبيّن غريب مفرداته مستشهدًا على ذلك بالآيات القرآنية، والأَحاديث والشعر، مِنْ ذلك قوله: وقولهم: فلانٌ شاطرٌ، قال أَبو بكر فيه قولان: قال الأَصمعي: الشاطر معناه فِي كلام العرب المتباعد من الخير، أُخِذَ مِنْ قولهم (نوىً شُطرٌ) أي: بعيدة، واحتجَّ بقول إمرىء القيس:

وشـــاقكَ بـــينَ الخلـــيطِ الشُـــطُر وفـــيمنْ أَقـــامَ مـــع الحـــيِّ هِـــرُّ [2]

وقال أَبو عبيدة: الشاطرُ معناه فِي كلامهم الذي شطر نحو الشرّ، وأَراد مِنْ قول الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿فولِّ وجهكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ﴾ معناه: نحو المسجد الحرام، قال الشاعر:

إنَّ العســـيرَ بهـــا داءٌ مُخامرُهـــا فشَـــطْرَها نَظَـــرُ العينـــينِ محســـورُ [3]

والعسير الناقة التي لم ترضع[4].

ب - يذكر أَقوال العُلماء فِي المسائل التي يُوردها بغير تعليل لها، مِنْ ذلك قوله:

وقولهم: (ما بهِ من قَلَبَة)، قال أَبو بكر: فيه أَقوال: قال الطائي: معناه ما به شيءٌ يُقلقُهُ فيتقلّب مِنْ أَجل تقلقلهِ على فراشه لحزنه وغمّه، قال النمر بن تولب:

أودى الشبابُ وحبُّ الخالةِ الخَلَبَة وقد برئت فما في الصدرِ من قَلَبَه [5]

وقال الأَصمعي: أَصل القَلَبَة فِي الدوابّ، يُقالُ: ما بالفرسِ قَلَبَةٌ، أَي: ما به وجعٌ يقلّبُ حافرهُ مِنْ أَجله. قال الراجز:

ولـــمْ يقلّـــبْ أرضَـــها البيطـــارُ ولا لحَبْليـــــهِ بهـــــا جِبـــــارُ [6]

---

(1) ينظر: الزاهر، للأنباري، ج307/1 ، وينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (صفر)، والبيت لا يعرف له قائل، وهو من بحر الكامل.

(2) ينظر: ديوان امرىء القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1969م، 424، والبيت من بحر المتقارب.

(3) ينظر: شرح أشعار الهذليين، السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: مصر، (د،ط)، 1384هـ، 607. والبيت من البسيط، لقيس بن خويلد.

(4) ينظر: كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج224/1.

(5) شعر النمر بن تولب، صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي، بغداد، 1969م، 37، والبيت من الكامل.

(6) ينظر: صحاح الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، الناشر: دار العلم للملايين، ط4، 1990م، مادة (قلب)، والبيت من بحر الرجز، لحميد الأَرقط.

وقال الأَصمعي: ما بهِ قَلَبَةٌ معناه ما بهِ داءٌ، قال: وهو مأخوذ مِنْ القُلاب، وهو داءٌ يُصيب الإبل فِي رؤوسها فيقلبها إلى فوق [1].

ج ـ يذكر أَقوال العُلماء البصريين والكوفيين مِنْ غير تعصّب ظاهر، بل ربَّما ذهب إلى تأييد البصريين فِي بعض المسائل، قال، قال الأَصمعي: "تركه جوف حمار معناه: لا خير فيه ولا يوجد فيه شيءٌ يُنتفَع به، وذلك أَنَّ جوف الحمار لا يُنتفَع منه بشيء ولا يُؤكل مِنْ بطنه شيء. ومِمّا يدلّ على صحّة قول الأَصمعي قول امرىء القيس:

وخَرْقٍ كجوفِ العيرِ قَفْرٍ قطعْتُهُ بأتلعَ سامٍ ساهمِ الطرفِ حُسّانِ" [2]

وقولهم (أَخذَهُ أَخْذَ سَبُعةِ)، قال أَبو بكر: قال الأَصمعي: معناه أَخذهُ أَخذَ سبُعةِ، بضمّ (الباء)، والسبُعةُ: اللَبُوْة، فسكّنَ (الباء)، ومِمَّا يدلّ على صحّة قول الأَصمعي أَنَّ طلحة بن مصرّف وغيره قرؤوا: " ما أَكلَ السَبُعُ إلاَّ ما ذكّيتُمْ " بتسكين (الباء) [3].

د ــ لا يخلو كتابه من المسائل اللُّغوية كالأضداد، والإتباع، والإبدال والتأنيث والتذكير، والمقصور والممدود، قال: " والجلل حرف من الأضداد، يكون العظيم، ويكون اليسير "[4] ، وقال قولهم: "قد ذهبَ منه الأطيبان، قال أبو بكر: قد ذهب منه الأَكل والنكاح، والأطيبان من الأَشياء التي جاءت مثنّاة لا يُفرد واحدها على مثل معناها فِي التثنية " [5]. وقال: " والسبيل: الطريق، يُذكَّر ويؤنَّث، والطريق بمنزلة السبيل يُذكَّر ويُؤنّث " [6].

هـ ـ يعتمد كثيرًا في شروحه على أَقوال أَهل التفسير، قال فِي قولهم: " وهو فِي معيشةٍ ضنكٍ " قال أَبو بكر: " (الضنك الضيق) وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ومَنْ أعرضَ عن ذكري فإنَّ لهَ معيشةً ضَنْكًا﴾"، وقال قتادة: (المعيشة الضنك جهنّم) وقال الضحّاك: (المعيشة الضنك: الكسب الحرام)، وقال عبد الله بن مسعود: (المعيشة الضنك عذاب القبر) " [7].

ويعرض لكثير مِنَ المسائل النحوية والصرفية، وقد أَشار إلى ذلك فِي المُقدّمة بقوله: "

---

(1) ينظر: كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 334.

(2) ينظر: المصدر السابق، ج1/ 459، وديوان امرىء القيس، 92، والبيت من بحر الطويل.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبد الله التريكي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، (د،ط)، 2006 م، 6ج/50، والزاهر، الأنباري، ج1/463.

(4) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 546.

(5) الزاهر، للأنباري، ج1/ 548 .

(6) المصدر السابق، ج2/ 208.

(7) المصدر نفسه، ج1/ 590.

ولن أُخْليه مِمَّا استُحسنَ إدخاله فيه من النحو والغريب واللُّغة والمصادر والتثنية والجمع " [1]، وقولهم للذي يقدم مِنَ الحجّ: (مبرورًا مأجورًا) قال أَبو بكر: فيه وجهان: مبرورًا مأجورًا بالنصب على الدعاء، أَي: جعلك الله مبرورًا مأجورًا، وأَجاز النحويون مبرور مأجور بالرفع على معنى: أَنتَ مبرور مأجور" [2].

وقدّ ذكر كثيرًا مِنَ القضايا الصرفية، مِنْها: قال ما ذكره الأَنباري فِي (استكانوا) بأَنَّ في اشتقاقه قولين: أَحدهما: أَنَّهُ (استفعلوا) من كانَ: يكونُ، أَصله: استكونوا، فحُوِّلت فتحة (الواو) إلى (الكاف)، وجُعِلتْ (الواو) (ألفًا)، لانفتاح ما قبله وتحرّكها فِي الأَصل، كما قالوا: استقام وأَصلها (استقومَ). والقول الآخر: إنَّ (استكانَ) افتعلَ مِنَ السكون؛ لأَنَّ من صفة الخاضع تقليل الكلام فكان أَصل الحرف على هذا الجواب: استكنَ الرجلُ فوُصِّلت فتحة الكاف بالألف؛ لأنَّ العرب رُبَّما وصلت الضمّة بالواو، والفتحة بالألف، والكسرة بالياء [3].

2 ـ شواهد الكتاب:

استشهد أَبو بكر بن الأَنباري فِي كتابه الذي يُعَدُّ مجالاً للبحث والدراسة بشواهد متنوّعة أَذكر منها على سبيل المثال:

أ ـ القرآن الكريم:

1 . استشهد ابن الأَنباري بقوله تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنسِيًا﴾[4] فِي معنى قولهم: (قد صامَ الرجلُ) قال أَبو بكر: معناه فِي اللُّغة قدّ أمسكَ عن الطعام والشراب، أَو عن الكلام، فهو عند العرب صائم، مِنْ ذلك قوله تعالى " [5]، واستشهد بالآية الكريمة.

2 . استدلَّ ابن الأَنباريّ بقوله تعالى: ﴿فمَنْ شاءَ فليُؤمنْ ومَنْ شاء فليكفرْ﴾[6] فِي حذف (على) للدَّلالة على المعنى فِي قولهم: (اللهُمَّ إنّا نعوذُ بكَ من الحَوْرِ بعدَ الكون)، معناه اللهُمَّ إنّا

---

(1) نفسه، (المقدمة) ج3/1.

(2) نفسه،ج1/ 336.

(3) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الأستراباذي (686 هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005 م، ج96/1، وكتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج309/2.

(4) سورة مريم، الآية: (26).

(5) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج1/ 139.

(6) سورة الكهف، من الآية: (29).

نعوذَ بك مِنَ الرجوع والخروج عَنِ الجماعة بعد الكون على الاستقامة [1].

3 ـ اعتدَّ ابن الأَنباري بالشاهد القرآني على مذاهب النُّحاة، فيرجِّح أَقوالهم فِي ضوء ذلك الشاهد للاستدلال به على مسألة نحوية، قال: تُحذف (من) مِنْ مواضع الإِخبار، ولا تُحذف فِي مواضع الأَسماء، وذلك فِي قولهم: (اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ).

قال أَبو بكر: قال أَبو العبّاس، وقال النحويون: (اللهُ أَكبرُ)، معناه: اللهُ أَكبرُ مِنْ كلِّ شيء فحُذِفت(من)، لأَنَّ (أفعلُ) خبر [2]، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدؤ الخلقَ ثمَّ يُعيدُهُ وهُوَ أَهونُ عليهِ ولَهُ المثَلُ الأعلى فِي السمواتِ والأَرضِ وهو العزيزُ الحكيمُ﴾[3]. وهو مِمَّا استدلّ به فِي معنى (أَهونُ عليه)، معناه: (الإِعادةُ أَهونُ عليه مِنَ الابتداء).

ب ـ الحديث الشريف:

يُعَدُّ ابن الأنباري واحداً مِنَ اللُّغويين الذين استشهدوا بالحديث النبوي الشريف، وأَحاديث الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، وكان جُلّ اعتماده فيها على كتاب (غريب الحديث) لأَبي عبيدة، وكان أَحيانًا يذكر سند الحديث، ومِنْ أَمثلة ذلك:

1- استدلّ ابن الأنباريّ بالحديث الشريف للإثبات أنَّ العرب تُبدل مِنَ (الواو) همزة ليزدوج الكلام كما قال النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ : " ارجِعْنَ مأزوراتٍ غيرَ مأجوراتٍ " [4]، أَراد: موزورات؛ لأنّه مِنَ الوِزْر فهمزه ليزدوج مع مأجورات [5].

2- استدلّ بالحديث النبوي الشريف لتبيان معنى لفظة، ففي معنى كلمة (توضّأ)، ذكر أَنَّ: (توضّأ) فِي كلام العرب بمعنى (تنظّف وتحسّن)، أُخذَ مِنَ الوَضاءة وهي النظافة والحُسن، يُقال: وجهٌ وضيء، أَي: حَسَن... وكلّ مَنْ غسلَ عضوًا مِنْ أَعضائه فقد توضّأ، والدليل

---

(1) ينظر: كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج119/1.

(2) المصدر السابق، ج122/1.

(3) سورة الروم، الآية: (27).

(4) النهاية في غريب الحديث، مجد الدين بن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، الناشر: البابي الحلبي مصر، (د،ط)، 1963م ج5/ 189، وسنن ابن ماجه(ت275هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1952م، ج1/ 503.

(5) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج157/1.

على هذا قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: " توضّأوا مِمّا غيّرتِ النارُ " [1]، معناه: اغسلوا أَيديكم ونظّفوها مِنَ الزُّهُمة، والزُّهُمة: الرائحة الكريهة [2]،.

3- تحدّث عَنْ معنى (العِرْض) فِي اللُّغة، وذكر أَنَّ العِرْض عند العرب: الأَسلاف والآباء، ذكر ذلك أَبو عبيدة وأَنكر عليه عبد الله بن مسلم بن قتيبة أَنْ يكون العِرضْ الآباء والأَسلاف، وقال: العِرْض نفس الرجل، واحتجَّ بالحديث الذي يُروى عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فِي صفة أَهل الجنّة: " لا يبولون ولا يتغوّطون، إنّما هو عَرَقٌ يجري من أَعراضهم مثل المسك "، قال: فمعنى مِنْ أَعراضهم: مِنْ أَنفسهم وأَبدانهم [3].

4- استدلّ أَبو بكر فِي معنى كلمة (أنعما) حين ذكر لها ثلاثة معانٍ بقوله: " ففي (أَنعما) ثلاثة أَقوال، قال الكسائي وأَبو عبيد معناه وزادا على ذلك، ويُقال: معناه وبالغا في الخير، وذكر الفرّاء معناه: صارا إِلى النعم ودخلا فيه، واحتجّ بحديث النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: " إِنَّ أَهل الجنّة لَيتراءونَ أَهل علّيّين كما ترون الكوكب الدُريّ فِي أفق السماء، وأَنَّ أَبا بكر وعمر منهم وأَنعما " [4].

ج ـ كلام العرب (الأَقوال والأَمثال):

عرّف ابن بَرْهَان العُكبري(ت456 هـ) المَثَل بأنّه "القول الوجيز المُرسل"[5]، ويمكن حدَّهُ حدَّهُ بأنّه " قول يُرتجل فِي حادثة معيّنة فيعلق فِي أَذهان سامعيه، ويُردّد فِي الحوارات المشابهة، أو هو قول سائر تُشبّه به حال الثَّاني بالأَوَّل، والأَصل فيه التشبيه " [6].

والأَمثال مِنَ الشواهد التي حفلت بها كُتب النحاة واللُّغويين فهي حكمة العرب فِي الجاهلية والإسلام، وبها تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت مِنْ حاجاتها فِي المنطق بكتابةٍ غير تصريح فيجتمع لها بذلك: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وقد احتجَّ أَبو بكر

---

(1) المصدر السابق، ج1/ 133، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ج5/ 195.

(2) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (زهم).

(3) المصدر نفسه، ج2/ 67. وغريب الحديث، أبو عبيد الهروي، الناشر: حيدر آباد .الهند، ط1، 1965م: ج1/ 154.

(4) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج1/ 295، وغريب الحديث، أبو عبيدة الهروي، ج141/1.

(5) ينظر: شرح اللمع، ابن برهان العكبري، تحقيق: د. فايز فارس، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1984م، ج421/2.

(6) ينظر: مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط2 1987م، ج7/1.

الأنباريّ بالأمثال، وأَقوال العرب، ومِنْ أَمثلة ذلك ما يلي:

1- اعتمد ابن الأَنباري على كلام العرب مِنْ أَقوال وأَمثال فِي إرساء القواعد النحوية واللُّغوية، مِنْ ذلك استشهاده بالمثل(جاءَ بالطِمّ والرِمّ)، وهي للتكثير إذا جاء بالطِمّ والرِمّ بكسر (الطاء) و(الراء)، فإذا أُفرد الطِمّ، ولم يذكر بعد الرِمّ فُتِحت (الطاء) فقيلَ: جاء بالطمّ يا هذا [1].

2- يأتي بالمَثَل مع بيان أَصل الكلمة فِي قولهم: (تسمعَ بالمعيدي خيرٌ من أنْ تراه)، ذكر أَبو بكر الأَنباري أَنَّ: المُعيديّ تصغير المعدي، وهو منسوب إلى معدّ، و(الدال) مخفّفة مكسورة، وقوم يثقلون (الدال) فيقولون بالمُعيدي فمن خفّف (الدال) الأُولى مِنْ معدّ تخفيفًا واختصارًا، ومَنْ شدّدها أَخرج الحرف على أَصله، وهذا يُضرب مثلاً عند الرجل يبلغك عنه أَمر جميل فإذا رأيته اقتحمته عينُك [2].

3- يستدلّ ابن الأَنباري بعدّة أَقوال فِي موضوع واحد لبيان المعنى، مثل: ما فِي الدارِ كتيع، وما بالدارِ شُفر، وقال: وما فِي الدارِ غريب، ويُقال (ما بالدارِ آرِم) على وزن فاعِل، و(ما بالدارِ أريم)، و(ما بالدارِ إرميّ)، ويُقال: (ما بالدارِ وابِر)، و(ما بالدارِ داريّ)، و(ما بالدارِ كرّاب)، و(ما بالدارِ عين)، أَي: ما بها أَحد، و(ما في الدارِ ديّار)، معناه: (ما فِي الدارِ أَحد) [3].

د ـ الشواهد الشعرية:

أَكثر أَبو بكر الأَنباريّ مِنَ الاستشهاد بالأَشعار والأَرجاز على النحو الآتي:

1- يستدلّ ابن الأَنباري بالشواهد الشعرية، وينسب الأَبيات إلى قائليها مع بيان قصّة البيت الشعري أَو أَحيانًا يقول: (قال الشاعر) أَو (قال الآخر)، أَو (أنشدنا رجل)، أَو (أَنشدنا أَبو العبّاس) أَو (أَنشدنا الأَصمعي) أَو (أَنشدنا سيبويه).

2- . قد يجيء ابن الأنباري بالشاهد الشعري للاستدلال به على أقوال عُلماء اللُّغة واستدلّ بالشاهد الشعري على قول الفرّاء: السلطان يُذكّر ويُؤنّث، واستدلّ بقول الشاعر:

أو خِفتَ بعضَ الجَوْرِ مِنْ سلطانهِ فدعَهُ ينفذهُ إلى أَوانِهِ [4]

---

(1) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج1/ 440 ـ 441.

(2) المصدر السابق، ج1/427.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ج1/ 366 ـ 367.

(4) ينظر: المذكر والمؤنّث، لابن الأنباي، 220. وكتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج2/ 29، والبيت من الرجز، لشاعر عماني.

وفِي التأنيث قال الشاعر:

أحجّاجُ لولا الملكُ هُنْتَ وليس لي بما جَنَتِ السلطانُ منكَ يدانِ [1].

والشاهد فِي هذا البيت أَنَّ كلمة (السلطان)، تُذكَّر وتؤنَّث.

3 ـ يستدلّ ابن الأَنباري بشواهد شعرية لبيان معنى الأسماء، (الخرطوم أوّل ما ينزل مِنْ الخمر)، واستدلَّ بقول الشاعر:

أبا حاضرٍ مِنْ يَزَن يُعرفُ زناؤه ومَنْ يشربِ الخُرطومَ يُصبح مُسكَّرا[2]

4 ـ يستشهد ابن الأَنباري بالشاهد على بيان معنى القول، ويذكر صاحب الشاهد الشعري وقصته، قال: إنَّ الحمق عند العرب الخمر، واحتجَّ بقول النمر بن تولب :

عشيّةَ حمّق فاستحضنتْ إليه فجاءَ معها مُظلما[3]

وذلك أنّ أخت لقمان بن عاد كانت تكره ألاّ يكون لأخيها نسل وتحبّ أنْ يكون ولد وكانت زوجته لا تأخذ على الرجال فلمّا شرب الخمر وسَكِرَ تزيّنت وجاءت إليه فِي الظلمة فوطئها وهو يظنّ أنّها امرأته فولدت لُقيم بن لقمان [4].

وفِي الفصول التَّالية دراسة لظواهر الدَّلالة التي وردت فِي كتاب (الزاهر)، لأَبي بكر الأَنباري.

ثالثًا– مفهوم الدَّلالة فِي اللُّغة والاصطلاح وتأصيلها فِي التراث:

1– مفهوم الدَّلالة فِي اللُّغة والاصطلاح.

ـ الدَّلالة لغةً واصطلاحًا:

الدَّلالة لغةً: الهداية والإرشاد، ودَلَّ يَدُلُّ إذا هدى، والدليلُ من الدَّلالة بالكسر والفتح،

---

(1) ينظر: المذكر والمؤنث، لابن الأنباري، 220 / 221، والبيت من الطويل، للشاعر جحدر السعدي.

(2) ينظر: ديوان الفرزدق(ت732هـ)، الناشر: دار، صادر، بيروت، 1966م: 373ا، والزاهر، لابن الأنباري، ج27/2، والبيت من الطويل.

(3) ينظر: ديوان النمر بن تولب: 106. والزاهر، لابن الأنباري، ج24/2، والبيت من الوافر.

(4) ينظر: كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج24/2.

ودلّ إذا مَنَّ بعطائهِ، والأدلُّ المنّانُ بعلمهِ، ودللْتُ بها الطريقَ دلالةً، أي: عرفتهُ [1].

والدَّلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدالّ مَنْ حصل منه ذلك، والدليل فِي المبالغة كعالم وعليم وقادر وقدير، ويُسمّى الدالّ والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره[2].

وحرف الدال من كلمة (الدَّلالة) يُضبط بالحركات الثلاثة (الفتحة، والضمّة، والكسرة)، فتقول (الدَلالة، والدُلالة، والدِلالة) فهو مِنْ المثلّثات اللُّغوية، وبالفتح اللُّغة العالية والأَفصح [3].

وذكر أَبو نصر حمّاد بن إسماعيل الجوهري(ت 398هـ): " والدليل الدالّ، وقد دَلَّهَ على الطريق دِلالةً ودَلالةً ودُلولة والفتح أعلى " [4].

وقدّ فرّق بعض العُلماء بين معنى (دَلالة) بالفتح، و(دِلالة) بالكسر، قال أَبو البقاء أَيوب بن موسى الكوفي(ت1094هـ): " ومَا كان للإنسان فيه اختبار فِي معنى الدَّلالة فهو بفتح الدالّ، ومَا لم يكن له اختيار فِي ذلك فيكسرها، مثاله، إذا قلت: دلالة الخير لزيدٍ، فهو بالفتح، أَي له اختيار فِي الدَّلالة على الخير، وإذا كسرتها فمعناه حينئذٍ صار سجيّةً لزيد، فيصدر منه كيف كان " [5].

ويتّضح ممَّا سبق أَنَّ الفعل (دَلَّ) جاء بمعنى هدى وأَرشدَ، وأَنَّ الأَصل فِي الدَّلالة حسيّ يُراد به الاهتداء إِلى الطريق، فيُقال: " دَلَّه على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدلّاؤها، وأدللتُ الطريق اهتديتُ إِليه " [6].

ويمكن القول إِنَّ (دَلالة) بالفتح هي الصحيح الذي يدلّ على دراسة المعنى، وأَنّ (دِلالة) بالكسر على وزن (فِعالة) تدلّ على المهنة أو الحرفة، مثل: زراعة، وتجارة وغيرهما.

أَمّا اصطلاحًا: فقد تباينت (الدَّلالة) كثيرًا بين العُلماء كالمناطقة والأصوليين، والبلاغيين، واللُّغويين، وغيرهم مِمَّن لهم علاقة بهذا المصطلح؛ لأَنَّ تعريفات هؤلاء تكاد تنطلق من المفهوم المنطقي لها بعيدًا عن تقسيمها إِلى أَنواع كثيرة، ولذلك فإِنَّ الدَّلالة عندهم هي: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأَوّل الدالّ، والآخر المدلول[7].

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: إبراهيم الأنياري، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت ط1، 1990م مادة (دلل) ج66/14.

(2) ينظر: مفردات ألفاظ غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط1،(د،ت)، 173.

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، 1965م، مادة (دلل) ج393/4.

(4) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، حماد بن إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفّار عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1956م، مادة (دلل)، ج4/ 1698.

(5) الكليات، أيوب بن موسى، تحقيق: عدنان درويش وجماعة، الناشر: دمشق، ط1، 1975 م ج2/ 321 . 322.

(6) أساس البلاغة أبو القاسم الزمخشري، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر.، بيروت، 1404هـ، ج280/1.

(7) ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة،(د.ط، د.ت)، بغداد، 1986 م، 139.

وقد عرّفها بعض العُلماء بأنّها (دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعنى) أو الفرع الذي يدرس الشروط الواجبة توافرها في الرمز حتّى يكون قادرًا على حمل المعنى [1].

فالدَّلالة إذًا، وحدة تقوم على نسبة بين شيئين مرتبطين ارتباطًا لا انفصام فيه، الشيء الأوّل: الدالّ وهو الذي إذا عُلِمَ بوجوده يستدعي انتقال الذهن إلى وجود شيء آخر وهو المدلول، أَو الشيء الثَّاني [2].

وترتبط لفظة (الدَّلالة) فِي الاصطلاح بدلالته فِي اللُّغة حيثُ انتقلت اللفظة من معنى الدَّلالة على الطريق، وهو معنى حسيّ إِلى معنى الدَّلالة على معاني الأَلفاظ وهو معنى عقلي مجرّد [3].

مِمَّا تقدَّم يمكن تعريف الدَّلالة بأَنَّها: علاقة بين شيئين متلازمين يرتبط ذكر أَحدهما بمعرفة الثَّاني ارتباطًا لازمًا .

2- تأصيل الدَّلالة فِي التُّراث:

لعلم الدَّلالة جذور ضاربة فِي تراثنا العربي قبل أَنْ يعرفه الغربيون، فقد كان الخليل بن أَحمد الفراهيدي(ت175هـ)، هو الرائد الأَوَّل حين أَلّف معجمه(العين)، الذي كان يقوم بتبيان دلالة الأَلفاظ بطريقته اللُّغوية الإِحصائية، ثُمَّ يأتي الجاحظ(ت255هـ)، فِي كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان)، فيتحدّث عن الدَّلالة السياقية، ودلالة الأَلفاظ على المعاني، ومناسبة الكلام لمقتضيات المقام، فقد تحدَّث الجاحظ عن جهود ابن جنّي(ت392هـ)، حينما يميّز بين الدَّلالة اللفظية والدَّلالة الصناعية والدَّلالة المعنوية بقوله: " فأقواهُنَّ الدَّلالة اللفظية ثمّ تليها الدَّلالة الصناعية، ثُمَّ تليها الدَّلالة المعنوية فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه... " [4] . ثُمَّ جهود أَحمد بن فارس(ت395هـ) فهو صاحب نظرية (دلالة الألفاظ)، حيثُ كشف فِي كتابه (مقاييس اللُّغة) الصلة القائمة بين الأَلفاظ والمعاني فِي أَكثر من وجه، ثمَّ تتوالى الجهود الدَّلالية فيأتي الراغب الأَصفهاني(ت425هـ)، الذي وضع مفهومًا عامًّا للدَّلالة، وذكر أَنَّها ما يُتوصل به إِلى معرفة الشيء كدلالة الأَلفاظ على المعاني، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة، والعقود في الحساب[5].

---

(1) ينظر: علم الدَّلالة، د. أحمد مختار عمر، الناشر: مكتبة العروبة، الكويت، ط1، 1982م، 11.

(2) ينظر: البحث الدَّلالي عند ابن قيم الجوزية، د.خيري جبير الجميلي، الناشر: مطبعة الآداب، بغداد، ط1، 2000 م، 27..

(3) ينظر: علم الدَّلالة (دراسة نظرية وتطبيقية)، د. فريد عوض جبر، الناشر: مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2005م، 12. 12.

(4) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: حسن السندوبي، الناشر: المكتبة الرحمانية، القاهرة، ط1، 1932 م، ج139/1.

(5) ينظر: مفردات ألفاظ غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، 173.

ويُعدُّ أَبو منصور الثعالبي(ت429هـ)، أوّل من بحث فِي الحقول الدَّلالية، فكان ينتقل من دلالة لُغوية إِلى دلالة مجازية إِلى دلالة أُخرى نقدية، هكذا تصاعديًا فِي لفظ يكاد يكون مترادفًا فِي دلالة ثابتة مترقّيًا بذلك اللفظ ترقية بالدَّلالة من صيغة إِلى صيغة وإِنْ تغيّر جنس اللفظ إِلى جنس من المعنى، ولكنّه مرتبط باللفظ الأوّل ليكون حقيقة أُخرى بتدرّجه فِي المنازل وتقلّبه على المعاني شدّةً وضعفًا [1].

ويبلغ الدرس الدَّلالي ذروته على يد الإِمام عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) حين اهتمّ بمسألة (اللفظ والمعنى) التي طرقها الجاحظ من قبل، فقد درسها مِنْ خِلال (نظرية النظم)، التي أَقامها على النحو (العلم بالتركيب) وعلم المعنى (العلم بالدَّلالة)، فكان أَوَّل مَنْ درس دلالة النحو أَو النحو الدَّلالي أَو ما سمَّاه بـ (معاني النحو) [2].

وهكذا فإِنَّ الباحث فِي التراث العربي يجد كثيرًا من الجهود الدَّلالية مبثوثة فِي تضاعيفه، ويمكن التحقق من ذلك فيما يلي:

أ- تأصيل الدَّلالة فِي القرآن الكريم:

هُناك عدة آيات قرآنية كريمة ورد فيها الفعل (دلّ) كما فِي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]. وقوله: (أَدُلُّكُمْ)، استعمال مجازي يدلّ على الهداية المعنوية، وهي دلالة الإِيمان، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾[4]، وهنا استعمال حقيقي مادّي يدلّ على وجدان الشيء فقد اهتدت دودة الأَرضة إِلى عصا سليمان -عليه السلام-، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾[5]. فهاتان كذلك استعمال حقيقي مادّي بمعنى تهتدي إِلى مَن يكفله.

ب ـ تأصيل الدَّلالة فِي الحديث الشريف:

وردت أَحاديث نبوية دلّت فيها أَلفاظها على معنى الدَّلالة، مِنْ ذلك قول الرسول ـ صلّى الله عليه وسلم ـ : "هل أَدلّكُم على شيءٍ إِذا فعلتموه تحاببتمْ افشوا السلام بينكم " [6]. والمعنى واضح وهو الهداية إِلى شيء يجعلهم متحابين.

---

(1) ينظر: فقه اللغة وسرّ العربية، أبو منصور الثعالبي، الناشر: المطبعة الأدبية، القاهرة، (د.ط) 1317 هـ، 171.

(2) ينظر: دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1989م، 68.

(3) سورة الصف، الآية: (10).

(4) سورة سبأ، من الآية: (14).

(5) سورة طه، من الآية: (40).

(6) سنن أبي داوود، الحافظ أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: العلامة الشيخ محمد ناصر الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1424هـ، ج939/2.

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: " الدَّالّ على الخير كفاعله "[1]. والمعنى واضح جدًا.

ج- تأصيل الدَّلالة فِي الشعر العربي:

حظي هذا الجذر اللُّغوي (د. ل.ل) وما يُشتقّ منه من مواد لُغوية مثل (دلالة، دليل ' يدلّ... الخ) منزلةً في الاستعمال الشعري، وقد وردت لفظة (دليل) في قول الشاعر ابن السَلَماني وهو شاعر إسلامي قبض عليه والي اليمامة مأسورًا وهو فِي طريقه إلى المدينة فقال أَبياتًا منها قوله:

عليها دليلٌ بالفلاةِ نهارَهُ وبالليلِ لا يُخطي لها القصدُ مَنْسِمُ[2]

وهنا كلمة (دليل) .

وكقول الإمام عليّ ـ رضي الله عنه ـ في شهادة عمّار بن ياسر ـ رضي الله عنه:

ألا أيّها الموتُ الذي ليس تاركي أرِحْني فقدْ أفنيتَ كلَّ خليلِ

أراكَ مُضرًّا بالذينَ أُحبّهُمْ كأنّكَ تنحو نحوَهُمْ بدليلِ[3]

---

(1) الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، (د،ط)، 1375هـ: 71، وسنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، (د،ط / د،ت)، ج40/5.

(2) ينظر: ديوان الحماسة لأبي تمّام، تحقيق: د.عبد المنعم أحمد صالح، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1980 م، 215، والبيت من بحر الطويل.

(3) ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه)، جمعه عبد العزيز سيّد الأهل، الناشر: دار صادر، بيروت، (د،ط) ،1973م، 91، والبيتان من بحر الطويل.

الفصل الأَوَّل

معالم الدَّلالة الواردة فِي كتاب (الزاهر)

توطئة.

المبحث الأَوّل: الدَّلالة الصوتية.

المبحث الثَّاني: الدَّلالة الصرفيّة.

المبحث الثّالث: الدَّلالة النحويّة.

المبحث الرابع: الدَّلالة المعجمية.

توطئـــــة:

الدَّلالـة نوعـان: دلالـة الألفاظ، ودلالـة التراكيـب. لكنَّ الدارسين القدامى أهملوا جانـب التراكيب، واهتموّا بدراسة دلالة الألفاظ، علمًا أنّ عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، هو أوّل من درس دلالة التراكيب فِي كتابه(دلائل الإعجاز)، وقيل سبقه سيبويه بذلك فِي كتابه(الكتاب)، وقد تصدّى القُدماء مثل: عُلمـاء اليونـان والهنود والعرب لدراسـة الدَّلالـة حينمـا درسوا علاقـة اللفظ بالمعنى فقد ذكر أرسطو " أنَّ العلاقة بين اللفظ والمعنى اصطلاح ناجم عن اتّفاق أو تراضٍ بين البشر، ثمّ بنى تقسيمه لأنواع الكلام على أساس دلالي، فالاسم كما يرى له دلالـة مجرّدة على الزمن في حين أنّ الفعل لـه دلالـة على الحدث والزمن، أمّا الحرف فليس لـه فـي نفسـه أيّ معنى"[1].

أمّا اللُّغويون العرب القدامى فمالوا إلى القول بالصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله لِما رأوا فِي اللُّغة العربيـة مِنْ ميزات قلّما تجتمـع فِي غيرها مِنَ اللُّغات فدفعهم الاعتزاز الشديد بها إلى تلمّس معانٍ للأصوات المجرّدة، وتأويل معانٍ للأَصوات إذْ عجزت قواعدهم عَنْ تفسير معاني بعض الأَلفاظ؛ لهذا نجد إشارة إلى الصلة بين اللفظ ومدلوله فِي القرن الثَّاني الهجري منسوبة إلى الخليل بن أَحمد الفراهيدي(ت175هـ)، وابن جنّي(ت392هـ) فِي كتابه(الخصائص)[2] فِي باب أَسماه(أَمساس الأَلفاظ أَشباه المعاني)، أَنَّ هذا موضـع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه وتلقّته الجماعة بالقبول لـه والاعتراف بصحّته، قال الخليل: "كأَنّهم توهّموا فِي صوت الجندب استطالةً ومدًّا فقالوا: صرّ، وتوهّموا فِي صوت البازي تقطيعًا فقالوا: صَرْصَرْ"[3]. وكذلك التفت تلميذه سيبويه إلى ذلك فقد أَشار إلى الدَّلالة الصرفية دلالة الصيغ بقوله: " المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النَزَوان والنَقَزَان وإنّما هذه الأَشياء فِي زعزعة البدن واهتزازه فِي ارتفاع ومثله العَسَلان والرَتَكان "[4]. وناقش ابن جنّي أمورًا مهمّة فِي الدَّلالة[5].

---

(1) تأريخ علم اللغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة بدر الدين القاسم، الناشر: جامعة حلب، سوريا، ط1، 1981م، 91.

(2) الخصائص، لابن جنّي، تحقيق: محمد علي النجّار، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1956 م، ج152/2.

(3) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجبل بيروت، ط1، 1966 م: ج14/4.

(4) الخصائص، لابن جني، ج152/149/146/2.

(5) ينظر: المصدر السابق، ج146/2.

ويُعدُّ علم الدَّلالة مِنَ الدراسات الحديثة التي بدأت منذ مطلع القرن التاسع عشر ولكنّها لم تكتسب صنعتها العلمية إلاَّ فِي أَواخر هذا القرن، وقد كان الفرنسي(بريال) أَوَّل مَنْ فطن إلى المصطلح، وذلك سنة (1883م)، قاصدًا به (علم المعنى) أو (علم الدَّلالة)، ثمّ انفتحت المناهج فالذين جاؤوا بعد(بريال) فطنوا إلى الناحية الاجتماعية فِي تطوّر المعنى والعوامل الإنسانية[1].

وقد امتاز علم الدَّلالة الحديث بأهمّيته المتزايدة بدراسة المعنى دراسة علمية وموضوعية وبالتحديد لعلاقة الدَّلالة بالعلوم الأخرى كالنحو، وعلم النفس[2].

أَمَّا أنواع الدَّلالة فهي: الدَّلالة الصوتية، والدَّلالة الصرفية، والدَّلالة النحوية، والدَّلالة المعجميَّة.

وفِي هذا الفصل سأَتحدث عَنْ معالم الدَّلالة الواردة فِي كتاب (الزاهر)، ـ إِنْ شاء الله تعالى ـ وذلك على النحو الآتي:

(1) ينظر: لحن العامة والتطوّر اللغوي، د. رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1967م، 38.

(2) ينظر: علم الدَّلالة، (جون لاينز)، ترجمة، مجيد عبد الحليم، وأخرون، الناشر: مطبعة جامعة البصرة، كلية الآداب، (د،ط)، 1980م،

المبحث الأَوَّل
الدَّلالة الصوتية

أَوَّلاً– دلالة التسكين.

ثانيًا– دلالة الهمز.

ثالثًا– دلالة الإعلال.

رابعًا– دلالة الإبدال.

خامسًا– دلالة المُخالفة.

أَوَّلاً ـ دَلالة التسكين:

لقد عوملَ خلوّ الموضع مِنْ خلّو صوت المدّ القصير بالسكون أَو التسكين فأصبحت أَربع وحدات(الضمّة، الفتحة، الكسرة، االسكون)، وقد عاملها العرب القُدماء على أَنَّها علامات إعرابية، فكان السكون الوحدة الصوتية الرابعة ذات قيمة على المستوى الوظيفي؛ لأَنَّها تمتلك قدرة على التمييز بين المعاني[1]، أي أنَّ للسكون قيمة فونيمية خاصّة به، وهو ما ذهب إليه كمال بشر مِنْ أَنَّ السكون فِي العربية يمثّل فونيمًا[*] لقدرته على التمييز بين المعاني، ولأَنَّ له وظيفة تُقارن بوظائف أَصوات المدّ القصيرة لكنَّهُ يتّصف بأنّه فونيم ثانوي خارج التركيب[2]؛ بسبب أَنَّ السكون لا يملك تحقّقًا صوتيًا فِي الواقع النطقي، أَي: أَنَّهُ صوت مدّ صفر[3].

وقد استعملت العربية السكون استعمال أَصوات المدّ القصيرة تمامًا فهو أَحد عناصر التمييز بين الصيغ الصرفية كما استعملته أَيضًا فِي التمييز بين بعض المعاني فِي المواقع العربية، ويُلحظُ إلى جانب ذلك أَنَّهُ قد حمل بعض التداخل الفونيمي مع أَصوات المدّ القصيرة فِي بعض السياقات، مِنْ نحو ما نجد فِي ظاهرة التخفيف فِي نحو قولنا: (كَتِف، كِتْف) أَو(عُنُق وعُنْق) أَو(قِمَعَ و قِمْع) مِنْ غير أَنْ يتغيّر المعنى، ومِنْ ذلك أَيضًا ما أورده ابن سيده(ت458 هـ)، فِي كتابه (المخصّص) فِي باب(فِعَل وفِعْل) بمعنى، أَو باب(فِعَلة وفِعْلة) بمعنى[4].

وقدْ عدَّ عُلماؤنا القُدماء السكون ذا وظيفة إعرابية؛ إذْ إِنَّهُ علامة إعرابية فِي الأَفعال المضارعة المجزومة.

وقد ورد التسكين عند ابن الأَنباري فِي مواضع قليلة مِنْ كتابه (الزاهر)، وذلك على النحو الآتي:

يقول أَبو بكر الأَنباري: "أَجاز أَبو العبّاس: اللهُ أكبر اللهُ أكبر، واحتجَّ بأنَّ الأَذان سُمِعَ وقفًا لا إعراب فيه كقولهم: حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح، فكان الأَصل فِيه الله أَكبرْ اللهُ

---

(1) ينظر: دراسات في علم اللغة، د. كمال محمد بشر، الناشر: دار المعارف القاهرة، ط1، 1969م: 186 ـ 187.

(*) الفونيم، أصغر وحدة لغوية ذات سمات صوتية مميزة، ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد سعيد احديد (الزاوية: جامعة السابع من أبريل، 1990م، 47.

(2) ينظر: المصدر السابق، 222.

(3) ينظر: المصدر نفسه، 228.

(4) ينظر: المخصّص، لابن سيده، المكتب التجاري للطباعة، الناشر: (أوفسيت عن طبعة المطبعة الأميرية الكبرى بالقاهرة)، (د،ط)، 1321هـ، ج81/15.

أَكبرْ بتسكين الراء فألقوا فتحة الأَلف من اسم الله عزَّ وجلّ وانفتحت الراء وسقطت الأَلف كما قال –عزَّ وجلّ– ﴿ ألمَ اللهُ لا إلهَ إلاّ هوَ ﴾[1]، كان الأَصل فيه ـ والله أعلم ـ ألمْ اللهُ لا إلهَ إلاّ هو، بتسكين الميم فأُلقيت فتحة الأَلف على الميم وسقطت الأَلف، قال أبو النجم:[2]

أقبلتُ مِنْ عندِ زيادٍ كالخرِفْ تخُطُّ رجلايَ بِخطٍ مُختلفْ

كأنَّما تُكتّبانِ لامَ ألفْ.

أَراد: (لام أَلف) فألقى فتحة (الأَلف) على (الميم) وأُسقطت (الأَلف)، قال الكسائي قرأ عليَّ رجلٌ من العرب: " بسم الله الرحمن الرحيمَ الحمدُ لله، ففتح (الميم)؛ لأنّه أَراد أَنْ يسكنها لأنّها رأس آية ثمَّ ألقى حركة (ألف) الحمد على (الميم) من الرحيم وأَسقط (الأَلف)"[3]. وهنا ذكر ابن الأَنباري أَقوال القدماء فِي هذه المسألة كأبي العبّاس المبرد(285هـ)، والكسائي(189هـ)، وهم يعنون بـ (الأَلف) (الهمزة)، وليس هناك أَلفًا بالمصطلح الدقيق بل إنَّ القدماء أَطلقوا على همزة الوصل(ألف الوصل).

ثانيًا ـ دلالة الهمز:

تتباين اللهجات العربية القديمة حول ظاهرتي الهمز والتسهيل، فقد جنحت طائفة منها إِلى الهمز في حين جنحت أُخرى إِلى التسهيل، ويمكن أَنْ نلحظ ظاهرة (الهمز) بوضوح فِي واحدة مِنْ أَهمّ اللهجات النجدية فقد أَشار اللُّغويون العرب إِلى أَنَّ الهمز كان متلئبًا فِي لهجة تميم حين يكون فِي موضع العين مِنَ الفعل (أَلف) ساكنة ما قبلها مفتوح نحو(رأس وفأس وكأس فِي راس وفاس وكاس) أَو ياء ساكنة مكسور ما قبلها نحو(ذئب وبئر في ذيب وبير) أَو (واو) ساكنة مضموم ما قبلها نحو(شؤم ولؤم في شوم ولوم) في حين كانت اللهجات الحجازية تميل إِلى التسهيل فِي ذلك كلّه[4].

أَمَّا المسائل المُتعلّقة بالهمز التي ذكرها أَبو بكر بن الأَنباري فهي نوعان:

---

(1) سورة آل عمران، الآية: (2.1).

(2) ينظر: ديوان أبو النجم العجلي، جمعه وشرحه: محمد أديب عبد الواحد، 2006م، والبيت من بحر الرجز.

(3) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج126/1 / 127.

(4) ينظر: المخصّص، لابن سيده، ج540/5.

أ ـ همز (الواو) إذا ضُمّتِ (الواو):

ذكر أَبو بكر الأنباري: " من ذلك قراءة الفرّاء: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[1]. قال الفرّاء: " التناؤش بالهمز: التناول، فيكون الأَصل فِيه(التناؤش) فلمَّا انضمَّت (الواو) همزتها، قال الله –عزَّ جلّ– ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[2]، والأَصل فيه(وقِّتت)؛ لأَنَّهُ من (فُعِّلِت)، مِنَ الوقت فلمَّا انضمَّت (الواو) هُمِزَت، وكما قالوا: هذه أُجوه حِسان، فالأَصل فيه(وُجوه) فلمَّا انضمَّت (الواو) هُمزت"[3].

وفِي موضع آخر قال أَبو بكر الأَنباري: " فِي المؤونة ثلاثة أَقوال: يجوز أَنْ تكون مأخوذة مِنْ مُنْتُ الرجلَ إذا عُلْتُهُ، سمعتُ أَبا العبّاس يذكر هذا، فإذا كانت مأخوذة مِنْ(مُنْتُ) فالأَصل فِيها مَوُونة بغير همز فلمَّا انضمّت (الواو) هُمِزت، كما قالوا: هو قؤول للخير، وفلانٌ صؤول، وفلانٌ نؤوم مِنَ النوم، كما قال امرؤ القيس:

ويُضحي فتيت المسكِ فوقَ فراشها نؤومُ الضحى لم تنتطقْ عن تفضّلِ[4]

وقد ذكر سيبويه هذه المسألة فِي باب(باب ما كانت الواو فيه أوّلاً وكانت فاءً) بقوله:

"واعلمْ أنَّ هذه (الواو) إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إنْ شئتَ تركتها على حالها وإنْ شئتَ أَبدلتَ الهمزة مكانها وذلك نحو: وُلِدَ أَلِدَ، وفي وُجوه أُجوه، وإنَّما كرهوا (الواو) حيثُ صارت ضمة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قؤول ومؤونة، أَمَّا الذين لم يهمزوا فإنّهم تركوا الحرف على أَصله كما يقولون قوُول فلا يهمزون "[5].

ومِنْ خِلال نصّ سيبويه أَستنتج أَنَّ المتكلّم مخيّر بين الهمز وعدم الهمز، لكنّه يجعل الإبدال مطّردًا أَي قياسيًا بقوله: " ولمّا كانوا يبدلونها وهي مفتوحة وهي مفتوحة فِي مثل: وَناة وأَناة وقالوا أَحد وأَصله وَحّدَ لأنّه واحد فأبدلوا الهمزة لضعف الواو عوضًا لما يدخلها مِنَ الحذف والبدل "[6].

وقد ذكر ابن عُصْفُور الإشبيلي(ت669هـ) فِي (باب إبدال الهمزة مِنَ الواو) " فإِنْ كانت

---

(1) سورة سبأ، الآية: (52).

(2) سورة المرسلات، الآية: (11).

(3) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج1/344 . 345.

(4) ينظر: ديوان امرئ القيس، والبيت من بحر الطويل.

(5) الكتاب، لسيبويه، ج4 /330.

(6) المصدر السابق: الموضع نفسه.

وحدها فلا يخلو مِنْ أَنْ تكون مضمومة أَو مكسورة أَو مفتوحة فإِنْ كانت مكسورة أَو مضمومة جاز أَنْ تبدل همزة فتقول فِي(وُقِتتْ)، (أُقّتِت)، وفِي(وِسادة)، (إِسادة)... وكذلك تفعل فِي كلّ (واو) تقع أوّلاً مكسورة أَو مَضْمُومة "[1].

ب ـ تحقيق الهمزة وتليينها:

ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " قال الله عزَّوجلّ: ﴿ليواطئوا عدّةَ ما حرّمَ الله﴾"[2].، فمعناه توافقوا، وفيه ثلاثة أَوجه: يُقال: واطئتُ فلانًا على كذا، وهو مذهب التحقيق فِي الهمز، وواطات فلانًا على كذا، وهو مذهب الانتقال مِنَ الهمز إِلى (الياء)، فواطيتُ على مثال قاضيتُ ورامِيتُ، ويُقال: فلانٌ لم يُواطىء فلانًا بالهمز، ولم يواطي بإثبات (الياء) على تليين الهمز، وفلانٌ لم يواطِ فلانًا تُحذف (الياء) على الانتقال مِنَ الهمز "[3].

وذكر فِي موضع آخر: " وقولهم: (الخابية والخوابي)، قال أَبو بكر: الخابية مِنْ خبّأت، بُنيت على ترك الهمز، كما بُنِيَ النبيّ على ترك الهمز، وهو مأخوذ من النبأ، ويُقال: خبأتُ الشيءَ وخبّأته، خبّيته "[4].

وقد بيَّن سيبويه هذه المسألة فِي(باب الهمز) بقوله: " اعلمْ أَنَّ الهمزة تكون فِيها ثلاثة أَشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل، فالتحقيق قولك: قرأتُ ورأسٌ وسألَ ولَؤُمَ وأشباه ذلك، وأَمَّا التخفيف فتصير الهمزة فيه بينَ بينَ... اعلم أَنَّ كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإِنّك تجعلها إِذا أَردت تخفيفها بين الهمزة والأَلف الساكنة، وتكون بزنتها مُحقّقة، غير أَنَّك تضعّف الصوت ولا تتبعه وتُخفي لأَنّك تُقرّبها مِنْ هذه الأَلف، وذلك قولك سَأَلَ فِي لُغة أَهل الحجاز "[5].

وذكر فِي موضع آخر الإِبقاء على الهمز أَو تركه بقوله: " وقالوا نَبيّ وبَرِيّة فألزمها أَهل التحقيق البدل وليس كلّ شيء نحوهما يُفعَلُ به، إِنّما يُؤخذ بالسمع، وقد بلغنا أَنَّ قومًا من أَهل الحجاز يحقّقون نبيء وبريئة وذلك قليل ورديء"[6]. و فِي رأَيي أَنَّ سيبويه يقلّل مِنْ قيمة همز

---

(1) الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الناشر: الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط5، 1983 م، ج332/1.

(2) سورة التوبة، من الآية: (37).

(3) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج629/1.

(4) المصدر السابق، ج122/2 ـ 123.

(5) الكتاب، لسيبويه، ج531/3.

(6) المصدر السابق، ج541/3 ـ 543.

هذه الكلمات ولا أَدري لِمَ يفعل هذا، ورواية قالون عَنْ نافع تذهب إلى الهمز فِي هذه الكلمات فِي جميع القرآن الكريم، ويبدو لي أَنَّ هذا جائز لأَنَّهُ اختلاف لهجي، وليس هُناك قلّة أَو رداءة كما ذكر سيبويه ـ رحمه الله ـ.

ثالثًا – دَلالة الإعلال:

الإعلال فِي الأَصل مصدر الفعل الثُّلاثي المزيد بحرف(أعلَّ)، ويُعنى به فِي اللُّغة العامة الإصابة بالعلّة، أَمَّا معناه فِي الدراسات الصوتية والصرفية: هو تغيُّر أَحرف العلّة أَو ما يُشبهها مِنْ حالٍ إلى حال، فقد تتحوّل (الياء واوًا)، و(الواو ياءً)، وقد تتحوّل (ألفًا)، وقد تكون (الواو) أَو (الياء)، متحرّكة فتُحذف حركتها، أَي أَنَّ الإعلال يدرس التغيُّر الذي يطرأ على حرف العلّة فِي الكلمة مِنْ جرّاء تأثّره بالأَصوات المجاورة له، ولا سِيَّما حين يتحوّل مِنْ صوت إلى آخر، وهو أَنواع: الإعلال بالحذف، والإعلال بالتسكين، والإعلال بالقلب[1].

والإعلال هو أَحد الأَساليب التي يلجأ إليها الناطق لتخفيف المجهود العضلي المبذول مِنْ أَعضاء جهاز النطق. وسأتناول أَهم المسائل التي أَوردها أبو بكر بن الأَنباري فِي كتابه، وذلك على النحو الآتي:

1 – الإعلال بالقلب:

أ ـ قلب (الواو ياءً)، إذا اجتمعتا وكان السابق ساكنًا، فمن مسائل الإعلال بالقلب التي تناولها صاحب كتاب (الزاهر):

مسأَلة (القيّوم):

يقول أَبو بكر بن الأنباري " فالقيّوم الفَيْعول أَصله: القيووم، فلمَّا اجتمعت (الياء والواو) والسابق ساكن جُعِلتا (ياءً) مشدّدة، والقيّام الفيْعال، أَصله القَيْوام، فلمَّا اجتمعت (الياء والواو) والسابق ساكن جُعلتا (ياءً) مشدّدة"[2].

مسأَلة (القيّم):

ذكر أَبو بكر بن الأَنباري اختلاف النحاة فِي هذه المسألة بقوله: " وأَمَّا(القيّم) فإنَّ سيبويه والفراء(207هـ)، اختلفا فيه، فأَمَّا سيبويه فقال(القيّم) على(فَيْعِل) وأَصله(القَيْوِم)، فلمّا اجتمعت

(1) ينظر: الصرف، د. حاتم صالح الضامن، الناشر: دار الحكمة الموصل، العراق، ط1، 1991م، 191.
(2) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج1/186 ـ 187.

(الياء والواو)، والسابق ساكن أُبدلوا مِنَ (الواو ياءً)، وأُدغموا فِيها التي قبلها فصارتا (ياءً) مشدّدة، وكذلك قال: فِي سيِّد وجيِّد وميِّت وهيِّن وليِّن ومَا أَشبهه فهو فَيْعِل أَصله(سَيْوِد وجَيْوِد ومَيْوِت وهَيْوِن ولَيْوِن)، وأَنكر الفرّاء هذا وقال:" ليس فِي أبنية العرب(فَيْعِل) أَنَّماهو(فَيْعَل) مثل: ضَيْزَن وخَيْفَق وضَيْغَم، وقال: فِي قَيِّم وسيِّد هذا مِنْ الفعل فَعِيل قَوِيم وسَوِيد وجَوِيد على وزن كَرِيم وظريف، فكان يلزمهم أَنْ يجعلوا الواو ألفًا لانفتاح ما قبلها، ثم يسقطوها لسكونها وسكون الياء التي بعدها، فلمَّا فعلوا ذلك صار فعيل على لفظ فَعْل فزادوا (ياءً) على الياء ليكمل بها بناء الحرف "[1].

ومِمَّا تقدَّم فِي هذه المسألة الصوتية فإنَّ (الواو، والياء) فِي تتابعين صوتيين وهما: الواو والياء، فتتأثّر (الواو) فِي التتابعين فتُقلب (الواو ياءً)، ثمّ تُدغم مع (الياء) الأُخرى، فقد ذكر أَبو العبّاس المبرّد(ت285هـ) " حكم (الواو والياء)، إذا التقتا والأَوَّل منهما ساكن أَنْ تُقلب (الواو) إلى (الياء) وتُدغم إحداهما في الأخرى "[2].

وذكر ابن كَيْسَان(ت299هـ): " أَنَّ كلّ (ياء) و(واو) سُبِقَ أَحدهما والآخر بسكون فإنَّ (الواو) تصير (ياءً) فِي ذلك الموضع، وتُدغم إحداهما فِي الأُخرى، من ذلك: أَيّام أَصلها أَيْوام، ومثلها سيّد "[3].

وقدَّ تناول القُدماء العلة مِنْ هذا القلب والإعلال والإدغام، حيثُ ذكر الأَخفش الأَوسط سعيد بن مسعدة(ت215هـ): هي خفّةٌ (الياء) عن (الواو)، مستدلاً بفرار العرب إلى (الياء) مِنَ (الواو)، وعدم فرارهم إلى (الواو مِنَ الياء)[4].

أَمَّا المبرّد فعنده هي خفّة (الياء) العائدة إلى موضع نطقها الذي توسّط الفم وتكّمن مِنْ مُخالطة أَكثر الحروف بخلاف موضع نطق (الواو) الذي لم يُشركه إلاَّ (الباء والميم)[5]

أَمَّا ابن جنّي فيرى أَنَّ العلة تكمن فِي إيثار العرب، (الياء) دون (الواو) طلبًا للخفة[6]،

---

(1) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج187/1.

(2) المقتضب، أبو العبّاس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: مطابع الأهرام، القاهرة، ط1، 1963م، ج308/1.

(3) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، ج646/1.

(4) ينظر: معاني القرآن، الأخفش الأوسط تحقيق: فائز فارس، (د.ن)، الكويت، ط1، 1979م، ج379/2.

(5) ينظر: المقتضب، للمبرد، ج310/1.

(6) ينظر: الخصائص، لابن جني، ج230/2، والمنصف في شرح التصريف، ابن جنّي، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله آمين، ومصطفى السقا، الناشر: مطابع الأهرام، القاهرة، ط1، 1964 م، 17/2.

ولم يذكر ابن جنّي سبب هذه الخفّة الناجمة عن سهولة نطقها إذا قيست بنطق (الواو)، فنطق (الياء) يتمّ بارتفاع وسط اللسان مع انفراج الشفتين، أَمَّا (الواو) فيتمّ نطقه بارتفاع أَقصى اللسان مع استدارة الشفتين وهما وضعان لم يتّسما بالخفّة والسهولة.

وقد ذكر سيبويه هذا النوع مِنْ القلب بقوله: " وذلك لأنَّ (الياء والواو) بمنزلة التي تدانتْ مخارجها؛ لكثرة استعمالهم إيِّاها وممرّهما على أَلسنتهم، فلمَّا كانت (الواو)، ليس بينها وبين (الياء)، حاجزًا بعد (الياء)، ولا قبلها كان العمل مِنْ وجه واحد ورفع اللسان مِنْ وضع واحد أَخف عليهم وكانت (الياء)، هي الغالبة فِي القلب لا (الواو)... وذلك قولك فِي فَيْعِل: سيّد وصيّب وإنّما أَصلهما: سَيْوِد وصَيْوِب "[1].

وقد أَطلق المحدثون على هذه العملية الحاصلة نتيجة القلب الإدغام بـ(المُماثلة)[2]

مسألة قلب الواو ياءً بسبب سكون (الواو) وانكسار ما قبلها:

قال أَبو بكر بن الأَنباري: " أَراد بالميسم العلامة التي يُعرفون بها، والأَصل فِي مَيْسم (مِوْسم) فصارت (الواو) (ياءً)، لسكونها وانكسار ما قبلها "[3].

وقدّ ذكر المبرّد: " أَنْ (الياء) تكون بدلاً مِنْ (الواو) إذا انكسر ما قبلها وهي ساكنة "[4] وجعل السِّيرافي (ت368هـ) الاستثقال سببًا للقلب بقوله: " وإنّما امتنعت العرب من (واو) ساكنة بعد كسرة استثقالاً للجمع بينهما "[5].

ومِمَّا سبق يُفهم أنَّ للتتابع الصوتي المكوَّن مِنْ الكسرة ثمَّ (الواو) الساكنة ثقلاً فِي النطق سبّب لها القلب إلى (الياء)، وبيّن ابن جنّي هذا الاستثقال بقوله: " إنَّما هو استثقال منهم للخروج مِنْ ثقيل إلى ما هو أَثقل منه... وكذلك لو تكلّفتَ الكسرة قبل (الواو) الساكنة المفردة أَو الضمّة قبل ا(لياء) الساكنة المفردة لتجشّمت فيه مشقة وكلفة "[6].

---

(1) الكتاب، لسيبويه، ج368/4.

(2) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د.عبد الصبور شاهين، (د،ن)،الكويت، ط1، 1980م، 189.

(3) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج144/2 ـ 145.

(4) المقتضب، للمبرد، ج310/1.

(5) شرح السيرافي على كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: د. رمضان عبد التوّاب، (د،ن)، القاهرة، ط1، 1982 م، ج606/6.

(6) سرّ صناعة الإعراب، لابن جني ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، الناشر: مطابع الأهرام، القاهرة، ط1، 1959م، ج21/1.

أَمَّا المحدثون فقد أَبدوا رأيهم فِي هذه المسألة فقد قال (هنري فليش): " ترى نوعًا مِنْ تكلّف النطق وثقله فلكي ننطق بـ (الواو) تستدير الشفتان، ولكي ننطق بالكسرة يحدث العكس فتنفرجان"[1]، وأَكّد عبد الصبور شاهين أَنَّ ثقل وقوع (الياء) ساكنة بعد ضمّ، وثقل وقوع الواو ساكنة بعد كسر؛ ولثقل هذا التتابع تخلّص منهما الناطق العربي[2].

لكنَّ عبد الصبور اختلف مع القدماء فِي موضع القلب فقد اجتهد ورأَى أَنَّ القلب وقع بين الحركات لا بين أَحرف العلة كما ذهب القدماء، ففي(مِوْسم) وقع القلب بين الكسرة والضمّة وليس بين (الواو، والياء)، على تقدير الآتي: أَسقطنا عنصر الضمّة وعوضنا عنه بكسرة قصيرة ثمّ نضيف الكسرة إلى الكسرة التي قبلها فتصبحان كسرة طويلة(ياء) فتصيح(ميسم)، وأَيّ القولين أَخذنا به، فالنتيجة هي إحلال صوت (الياء) مكان (الواو) المحذوفة مِنْ أَجل إيجاد التناسب والانسجام الصوتي[3].

رابعًا – دَلالة الإبدال:

ظاهرة الإبدال مِنَ المتغيّرات الصوتية التي لاحظها عُلماء العربيّة وعدّوها سنّة مِنْ سنن العرب، والإبدال عندهم على نوعين: إبدال صرفي وهو المُسمَّى بالإبدال المطّرد أو القياسيّ، وهو نوع التزم به النحاة ورأوا وقوعه في حروف محدّدة تُسمّى(حروف الإبدال)، وإبدال لغوي وهو المُسمّى بالإبدال غير المطّرد أَو السماعي، وهو نوع التزم به اللُّغويون، ورأوا وقوعه فِي جميع حروف اللُّغة إذ أَنَّهم لم يجدوا حرفًا إلاَّ قد جاء فيه البدل ولو نادرًا، وهذا جاء مِنْ خِلال جمع اللُّغة مِنْ بيئات لهجية عربية متعدّدة إضافة إلى عوامل أُخرى إذ وجدوا أَلفاظًا كثيرة متّحدة فِي معانيها، متقاربةً فِي أَصواتها، ولم تختلف إلاَّ في صوت واحد لم يتّفق فِي ماهية إبداله؛ لذلك اشترط النحاة العلاقة الصوتية بين المُبدل والمُبدل منه، قال الفرّاء (ت207م): " إذا تقارب الحرفان فِي المخرج تعاقبا فِي اللُّغات "[4]، وذكر أَبو العبّاس المبرّد فِي اشتراط العلاقة الصوتية " " قُلِبتِ الميم باءً؛ لأَنَّهما مِنْ الشفة "[5]. وذكر أَبو علي الفارسي(ت377هـ)، " أَصل القلب فِي

---

(1) العربية الفصحى(هنري فليش)، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، بيروت، ط1، 1966 م، 204.

(2) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، 191.

(3) ينظر: المصدر السابق، 193.

(4) معاني القرآن، للأخفش الأوسط، ج241/3.

(5) الكامل في اللغة والنحو والأدب، أبو العبّاس المبرّد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيّد شحاته، (د،ن)، القاهرة، ط1، 1954 م، ج82/2.

الحروف إنّما هو فيما تقارب منها، ذلك، (الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء والهاء والهمزة والميم والنون)، وغير ذلك مِمَّا تدانت مخارجه "[1]. وذكر ابن جنّي " وكلّما تدانى الحرفان أَسرع انقلاب أَحدهما إلى صاحبه "[2]، وأَضاف ابن جنّي شرطًا آخر وهو إثبات أَصالة إحدى اللفظتين وفرعية الأخرى[3].

ويمكن ذكر هذا النوع مِنَ الإبدال فيما ورد عند أَبي بكر بن الأَنباري، على النحو الآتي:

أ ـ صيغة(افتعلَ): فِي إبدال(تاء) افتعلَ(دالاً):

ذكر أَبو بكر الأَنباري "وازدملَ افتعلَ أَصله(ازتملَ) فلمّا جاءت (التاء) بعد ا(لزاي) جُعِلت دالاً، قال الكميت:

كما تُوضعُ الأثقالُ وهي مُهمّةٌ بِمسلمةَ استيلاؤها وازدمالُها[4]

والشاهد فِي البيت السابق قول الشاعر: (ازدمالها) حيث قلب (تاء) افتعل (دالاً) مِنْ أَجل (الزاي)، والأَصل: (ازتمالها)، وقدّ ذكر الفرّاء: " وإذا كان الحرف أَوَّله زاي صارت تاء الافتعال فيه دالاً "[5]. ويمكن مُلاحظة الصوت المتقدّم(الزاي) الذي أَثّر فِي الصوت المتأخّر(التاء)، وهو تأثير مقبل كما سمَّاه المحدثون[6].

وأَوضح أَبو سعيد السيرافي أَنَّ: " تاء الافتعال يلزم قلبها دالاً مع ثلاثة أَحرف... هي الدال والذال والزاي "[7]. وهو إبدال للتقريب ولتسهيل النطق، وليس مُمَاثلة تامّةً.

ولا بُدّ مِنْ معرفة العلّة فِي هذا القلب، وهي تجاور صوتين أَحدهما مهموس(التاء) والآخر مجهور(الزاي)، والأَوَّل عندهم يُدغم فِي الثَّاني، وهذا يعني ذهاب جهر(الزاي) بذهاب صوته الأَساسي لإدغامه فِي(التاء)؛ فمن أَجل هذه المحافظة على هذه المزية أُبدِلَ(التاء) صوتا مِنْ موضعه مجهورًا وهو(الدال)، ولم يُبدلوه (طاءً)، وإنْ كان مِنْ موضعه؛ لأَنَّه يحمل صفة

---

(1) سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، ج197/1.

(2) الخصائص، لابن جني، ج151/1.

(3) ينظر: المصدر السابق، ج83/2.

(4) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج49/2، والبيت من بحر الطويل.

(5) معاني القرآن، للأخفش الاوسط، ج106/3.

(6) ينظر: التطوّر اللغوي(مظاهره وعلله وقوانينه)، د. رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1983م، 26.

(7) شرح كتاب سيبويه، السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، (د،ط)، (د،ط)، 1971م، ج559/6.

جديدة غير موجودة فِي الأوّل، وهي صفة الإطباق، وهذا ما أَوضحه المبرّد وهو يتحدث عن(الدال) بقوله: "وهي تُبدل مكان في مفتعل وما تصرّف منه إذا كان قبلها حرف مجهور مِنْ مخرجها ومِمَّا يدانيها مِنْ المخرج نحو(الذال والزاي)"[1]. وكذلك ذكر السِّيرافي: " التمسوا حرفًا مجهورًا مِنْ مخرج (التاء) موافقًا لهذه الحروف غير مطبق... وهو (الدال)"[2].

ب . إبدال الهمزة من الهاء:

ذكر القُدماء الهمزة (الهاء) ضمن الحروف الحلقية لكنّ سيبويه حدّد موضع هذين الصوتين بقوله: " أَقصى الحلق ومنه الهمزة والهاء والأَلف "[3]، أَمَّا المحدثون فجعلوا مخرجها مِنَ الحنجرة بقولهم: " والهمزة والهاء مِنَ الأَصوات الحنجرية، فالهمزة صوت مهموس انفجاري مرقّق، والهاء صوت مهموس احتكاكي مرقّق "[4]، وبسبب هذا التقارب المخرجي يحدث الإبدال بينهما، ذكر أَبو بكر بن الأَنباريّ فِي قولهم: "(ومهيمنًا عليه)، قال بعض نحويي البصرة أَصل مهيمن(مؤيمن)، فأبدلوا مِنْ الهمزة هاءً، كما قالوا: أَرَقْتَ الماءَ وهرقْتَ الماءَ، وإيّاكَ وهيّاكَ"[5]، وهنا يتحدّث أَبو بكر بن الأَنباريّ عن إبدال الهمزة مِنَ الهاء، فقدّ ذكر ابن عُصْفُور الإشبيلي(ت669هـ)، فِي باب(إبدال الهمزة مِنَ الهاء) " أُبدِلتِ الهمزة مِنَ الهاء فِي(ماء) وأَصله(مَوَه) فقُلِبت الواو أَلفًا والهاء همزةً والدليل على ذلك فِي الجمع(أَمواه)... وأُبدلِتْ أيضًا منها فِي(آل) أَصله(أَهل) فأبدلت الهاء همزة فقيل(أَأْل) ثُمَّ أُبدلت الهمزة ألفًا، فقيل(آل)"[6].

ج - إبدال (التاء) مِنَ (الواو):

تُبدل (التاء) مِنَ (الواو) على غير اطّراد كما ذكر اللُّغويون كقولهم: (تُجاه) مِنَ الوجه، و(تراث) من(وَرِثَ)[7]، ذكر أَبو بكر بن الأَنباري "ولم يُتكلّم فِي معنى التوراة غير الفرّاء، وقال البصريون: التوراة وزنها فَوْعَلة وأَصلها: وَوْرَية فأبدلوا مِنَ الأُولى تاءً كما قال جرير: متّخذاتٍ مِنْ

---

(1) المقتضب، للمبرد ج203/1.

(2) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج559/6.

(3) الكتاب، لسيبويه، ج433/4 ـ 434

(4) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، (د، ن)، القاهرة، ط6، 1994م: 88 ـ 89.

(5) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج168/1.

(6) الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، ج348/1.

(7) المصدر السابق، ج349/1.

ضَعَواتٍ تَوْلجا فتولج (فَوْعَل): أَصله وَوْلَج، فأبدلت العرب مِنَ الواو تاءً "[1].

وفِي موضع آخر فِي قولهم: (رجل تقيّ)، ذكر أَبو بكر الأَنباري: أَنَّ معناه فِي كلامهم موقّ نفسه من العذاب بالعمل الصالح، وأصله. وقيتُ نفسي، فقد ذكر النحويون أنَّ الأصل فيه "وقُوي فأبدلوا مِنَ (الواو) الأُولى (تاء)، لقرب مخرجها مِنْها كما قالوا: مُتّزر وأَصله مؤتزر فأبدلوا مِنْ (الواو) (تاءً) لقرب مخرجها منها " [2]، وذكر ابن عُصْفُور علّة أخرى لهذا الإبدال بقوله: "فأبدلوا الواو الأُولى تاءً؛ لأنّهم لو لم يفعلوا ذلك لأبدلوا منها همزة هروبًا مِنْ اجتماع الواوين فِي أَوَّل الكلمة "[3].

أَمَّا سبب هذا الإبدال فقد ذكر ابن عُصْفُور: " لأنَّ التاء قريبة المخرج مِنَ الواو؛ لأنّها مِنْ أُصول الثنايا والواو مِنْ الشفة "[4].

خامسًا ـ دَلالة المُخَالفة:

المُخالفة ظاهرة صوتية تتمّ باجتماع صوتين متماثلين أَو أَكثر، ونزوع أَحدهما إلى مُخالفة الصوت الآخر، وقد فطن القدماء العرب إلى هذه الظاهرة، فقد ذكر الخليل بن أَحمد الفراهيدي " وأَمّا مهما فإنَّ أَصلها ماما ولكنْ أَبدلوا مِنَ الأَلف الأُولى هاءً ليختلف اللفظ "[5]. وتنبّه لها مِنْ بعده سيبويه[6] ثُمَّ الفرّاء بقوله: " والعرب تُبدل فِي المشدّد الحرف منه بالياء أَو الواو "[7]، وأَبو عبيدة معمر بن المثنّى(ت210هـ) بقوله: " العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء "[8]، والمبرّد بقوله: " وتُبدل مكان أحد الحرفين إذا ضوعفا"[9].

ومِنْ خِلال الآراء السابقة يتبيّن أَنَّ العُلماء اللُّغويين حدّدوا الظاهرة باجتماع حرفين متماثلين نُطِقا بصوت واحد مشدّد، أُبدِلَ أَحدهما بـ (ياء) أَو (واو)، يقول أَبو بكر الأَنباري "

---

(1) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج168/1.

(2) الزاهر، للأنباري، ج220/1.

(3) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج383/1.

(4) المصدر السابق، ج387/1.

(5) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار الشؤون الثقافية بغداد، ط1، 1988 م: مادة(مه)، ج358/2.

(6) ينظر: الكتاب، لسيبويه، ج3، ص59–60.

(7) معاني القرآن، للأخفش الأوسط، ج267/3.

(8) الإبدال، ابن السكّيت، تحقيق: د. حسين شرف، الناشر: البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط1، 1978 م: 133.

(9) المقتضب، للمبرد، ج62/1.

الأَصل فِي لبّيك(لبّبك) فاستثقلوا الجمع بين ثلاث باءات فأبدلوا من الأخيرة ياءً "[1].

ويستفاد مِنْ هذا النصّ بأنَّ هذه الظاهرة قد تشتمل على ثلاثة أَصوات متماثلة، إضافةً إلى بيان العلّة، فالعلة واضحة وهي كراهة الثقل الناشئ عَنْ تجاور صوتين مِنْ مخرج واحد ولا يُعترض عليه بأنَّهما يُنطقان بصوت واحد؛ ذلك لأنَّ اللسان لم ينفرج عن موضع نطق الصوت وإنَّما يمكث فيه مدّة أَطول مِنْ نطق الصوت المنفرد ليؤدّي ما فيه مِنْ تضعيف، وهذا الوضع يتطلّب مجهودًا عضليًا أَكبر فمالوا إلى تخفيف هذا الجهد بإبدال أَحد الصوتين أَو الأَصوات المضعّفة إلى أَحد الأَصوات التي خفَّ نطقها مِنْ أَجل تقليل الجهد العضلي المبذول فِي نطق التضعيف.

وقد أَقرَّ عُلماء اللُّغة بهذه الظاهرة وسوّغوها مِنَ الناحية الصوتية وأَطلقوا عليها مصطلح (التباين أَو المُخالفة أَو التخالف)[2]. وتتمّ هذه الظاهرة بإبدال أَحد الصوتين المتماثلين بصوت آخر لتتمّ المُخالفة بينهما، أَمَّا العلّة عندهم فهي: " أَنَّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما فِي كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يُقلب أَحد الصوتين إلى تلك الأَصوات التي لا تستلزم مجهودًا عضليًا كأَصوات اللين وأشباههما "[3].

أَمَّا المستشرق(برجشتراسر)، فذهب إلى أَنَّ: " العلة هي علّة نفسية تختلف باختلاف نوع المُماثلة فإذا كانت بين متماثلين منفصلين فإنَّ العلّة نفسية محضة "[4].

أَمثلة المُخالفة عند أَبي بكر بن الأَنباريّ:

1. ذكر أَبو بكر بن الأَنباريّ" أَنَّ " الأَصل في(لبّيكَ): لبّبكَ فاستثقلوا الجمع بين ثلاث باءات فأبدلوا مِنَ الأَخيرة ياءً، كما قالوا: ديوان وديناٍر، وأَصلها دوّان ودنّار، فاستثقلوا التشديد فأبدلوا من النون ياءً، قال الراجز:

تقضّيَ البازي إذا البازي كَسَر[5].

---

(1) كتاب الزاهر، ابن الأنباري، ج197/1.

(2)ا ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات،، ابن جني، تحقيق: علي النجدي، وآخرون، الناشر: عالم الكتب القاهرة، ط1، 1966م، ج314/2.

(3) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي،(د،ن)، تونس، ط1، 1966م: 26

(4) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، 211.

(5) ينظر: ديوان العجاج، رواية الأَصمعي، والبيت من الرجز.

أَراد: تقضّضَ البازي فاستثقلَ الجمع بين الضادات فأبدل من الأخيرة ياءً "[1]

وقد ذكر ابن جِنّي مسألة عدم وجود الصلة بين الكسرة فِي أَوائل الأَلفاظ فِي (دِنّار ودِوّان) وبين إبدالها (ياءً)، مستدلاً على هذا بإبدال أَحد المثلين المضعفين ياءً[2]، وبهذا تبقى الخفّة هي السبب الوحيد فِي اختيار صوت (الياء) لمعالجة ثقل أَحد المتضاعفين.

2. ذكر أَبو بكر بن الأَنباريّ: " ويُقال: بثبثتُ الرملَ إذا كشفته، فالأَصل فِي بثبثوه بثثوه فاستثقلوا الجمع بين ثلاث ثاءات فأبدلوا مِنَ الثَّانية باءً "[3].

3. ذكر ابن الأَنباري " وقال النحويون الأَصل فِي(تغلغلَ) الرجلُ: تغلّلَ، فاستثقلوا الجمع بين اللامات ففصلوا بينهما بالغين كما قالوا: قد صَرْصرَ الباب، والأَصل فيه قد صرّ الباب فاستثقلوا الجمع بين الراءات ففصلوا بينهما بالصاد "[4]. وعلل ابن عُصْفُور الإشبيلي هذا بالهروب مِنَ اجتماع الأَمثال بقوله: " وأُبدلت أَيضًا مِنَ النون فِي(تظنّيتُ) لأنّه(تفعّلتُ) مِنَ الظنّ، فأصله(تظنّنتُ) فأُبدلت النون ياءً هروبًا مِنَ اجتماع الأَمثال "[5].

---

(1) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج197/1.

(2) المحتسب، لابن جني، ج214/2.

(3) كتاب الزاهر، لابن الانباري، ج328/1.

(4) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(5) الممتع في التصريف، لابن عصفور، ج372/1.

المبحث الثَّاني
الدَّلالــة الصرفيّــة

أَوَّلاً– مفهوم الصرف والدَّلالة الصرفية.

ثانيًا– من معالم الدَّلالة الصرفية الواردة فِي كتاب(الزاهر)

ثالثًا– تناوب الصيغ الصرفية ودلالاتها فِي كتاب(الزاهر).

أَولاً– مفهوم الصرف والدَّلالة الصرفية:

الصرف لغةً: التحويل والتغيير، أَو الانتقال مِنْ حالة إلى أخرى أو من صورة إلى أخرى، ذكر ابن منظور " الصرف هو ردُّ الشيء عن وجهه، أي " تغييره وتحويله "[1] ومنه قوله تعالى: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[2]، أي: حوّلها عن الخير، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾[3].

والتصريف لغةً مصدر الفعل الثُّلاثي المزيد بالتضعيف(صَرَّفَ) وصيغة(فَعَّلَ) تدلّ على التكثير والمبالغة، والتصريف: التغيير والتحويل والتقليب [4]، وتصريف الرياح: صرفها من جهةٍ إلى أخرى وتحويلها من حالٍ إلى حالٍ جنوبًا وشمالاً، صَبًا ودَبورًا إلى غير ذلك من أنواعها، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِقونَ ﴾[6].

أمّا الصرف اصطلاحًا فكَثُرتْ فيه التعريفات، فقيل: " هو علمٌ بأصول يُعرفُ بها أحوال بِنية الكلم التي ليست بإعراب، وقال السِّيوطي(ت911هـ): " هو علمٌ يتعلّق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحّة وإعلال، وشبه ذلك "[7]. وقال الشيخ الحملاوي: " هو تحويل الأَصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلَّا بها.[8].

ومِنْ خلال هذه الحدود أَجد أنّ المعنى اللُّغوي يتوافق مع المعنى الاصطلاحي فِي مفهوم التغيير والتحويل، لكنّ مصطلح(التصريف) هو أَقرب إلى المصطلح مِنْهُ إِلى الصرف؛ لذلك أطلق عليه القدماء(التصريف)، مثل كتاب التصريف للمازني(ت249هـ)، والممتع فِي التصريف لابن عُصْفُور الإشبيلي الأَندلسي(ت669هـ).

---

(1) لسان العرب، لابن منظور، مادّة (صرف).

(2) سورة التوبة، من الآية: (127).

(3) سورة يوسف، من الآية: (24).

(4) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، وضع هوامشه، عبد المنعم خليل إبراهيم وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، مادة (صرف).

(5) سورة البقرة، من الآية: (164).

(6) سورة الأنعام، من الآية: (65).

(7) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيّوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الكويت، ط1، 1980م، ج2/ 212.

(8) ينظر: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، المدينة المنورة، ط5، 1411هـ، 17.

أَمَّا الدَّلالة الصرفية فهي تلك الدَّلالة التي يُعرِبُ عنها مبنى الكلمة[1].

وقد ظهر الصرف مقترنًا بالنحو في التأليف كما في كتاب سيبويه والمقتضب للمبرّد، وكان أبو عثمان المازني(ت247هـ)، أَوَّل مَنْ فصل الصرف عن النحو كما فِي كتابه(التصريف)، والفرق بين النحو والصرف، أنَّ النحو يدرس الجملة أَو التركيب ويبحث فِي أَواخر الكلمة، أَمَّا الصرف فيبحث عَنْ أَحوال بنية الكلمة[2]، وتشير الدراسات القديمة والحديثة إلى أَنَّ المستوى الصرفي هو الذي يبحث فِي العربية مِنْ حيثُ ترتيب حروفها وعددها وحركاتها ومَا يعتريها مِنْ تغيير فِي حركات المدّ الطويلة والقصيرة، أَو مَا يصيب حروفها الأَصلية مِنْ إعلال أَو إبدال وعلاقة كلّ ذلك بالمعنى[3]، والمصطلح الأَساسي فِي التحليل الصرفي عند المُحدثين هو المورفيم الذي تُعدّ أَصغر وحدة فِي بنية الكلمة تحمل معنىً[4]، ويتمثّل المورفيم فِي فِي معاني الصيغ الصرفية مثل: الإفراد والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والسوابق واللواحق، والأَدوات والحركات[5]، وقد عَرَّف المحدثون الدَّلالة الصرفية بأنّها تلك الدَّلالة المستمدّة المستمدّة مِنَ الصيغ الصرفية وبنيتها[6].

ثانيًا – مِنْ معالم الدَّلالة الصرفية الواردة فِي كتاب(الزاهر):

تمتاز اللُّغة العربية بأنّها لُغة اشتقاقية، وهذا يعني أَنَّ هناك مادّة لُغوية مثل(ك. ت. ب) يمكن تشكيلها على هيئات مختلفة، كلّ هيأة منها لها وزن خاصّ، ولها وظيفة خاصّة ولها دلالة خاصة في المعنى كأنْ تقول مثلاً: (كتاب) أو(مكتوب) أو(مكتب) ويُلحظ أَنَّ هذه العملية إنَّما هي داخل المادّة اللُّغوية السابقة، وتشكيلها تشكيلاً جديدًا، وهي العملية التي تُعرف بالاشتقاق، والاشتقاق فِي العربية واضح غاية الوضوح؛ إذْ تضبطه قواعد ومقاييس دقيقة قليلة لا تكاد تختلف[7].

---

(1) ينظر: علم الدلالة(دراسة نظرية وتطبيقية)، د. فريد عوض حيدر، 35.

(2) ينظر: الصرف الكافي، آمين عبد الغني، مراجعة د. عبيدة الراجحي ، وآخرون، الناشر: محمد علي بيضون، بيروت، بيروت، ط1، 2005م: 18.

(3) ينظر: الصرف والنظام اللغوي، حسن قراقيش، الناشر: دار الكرمل، عمّان الأردن، ط1، 1990 م: 13.

(4) ينظر: علم اللغة، د. حاتم الضامن، الناشر: مطبعة البحث العلمي بالموصل، ط1، 1990 م: 58.

(5) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، الناشر: مكتبة الأنحلو المصرية، 1990م، 170.

(6) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م، 47.

(7) ينظر: التطبيق الصرفي، د.عبده الراجحي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2000م: 73.

ويُعرَّف الاشتقاق بـ " أَنْ تجد بين اللفظتين تناسبًا فِي اللفظ والمعنى "[1] أَو هو أَخذ صيغة مِنْ أُخرى مع اتّفاقهما معنى ومادّة أَصلية وهيأة تركيب؛ ليدلّ بالثَّانية على معنى الأَصل بزيادة مفيدة لأَجلها حروفًا أَو هيئة، كضارب مِنْ ضربَ[2].

ومِنْ أَمثلة المشتقات التي تحدّث عنها أَبو بكر الأَنباري فِي كتابه (الزاهر):

1 ـ اسم الفاعل:

هو الاسم المشتقّ مِنْ الفعل المبني للمعلوم للدَّلالة على ما وقع منه الفعل[3] أَي الحدث، الحدث، وهو دالّ على الحدوث والتجدّد[4]، ويُصاغ من الثُّلاثي على زنة(فاعِل) فِي الغالب، ومِنْ ومِنْ غير الثُّلاثي بإبدال ياء المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر[5]. وقد تُحوّل صيغة(فاعِل) للدَّلالة على الكثرة والمُبالغة فِي الحدث إِلى أَوزان أُخرى تُسمّى(صيغ المُبالغة)[6]. ومِنْ أَمثلة ورود اسم الفاعل فِي كتاب (الزاهر) ما يأتي:

أ ـ ما ورد على وزن(فاعِل):

ـ الحارث: وهو اسم فاعل مِنَ الفعل الثُّلاثي(حرث)، ذكر ابن الأنباري: " والحارث بن حلّزة: الحارث فاعل مِنَ الفعل حَرَثَ يحرثُ حَرْثًا، والحلّزة ضربٌ مِنَ النبات "[7].

ـ الواسع: هو اسم فاعل مِنَ الفعل الثُّلاثي(وَسعَ)، ذكره ابن الأَنباري " كقوله: ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[8]، قال أَبو بكر: " الواسع معناه في كلامهم الكثير العطايا الذي يسع لما يُسأل ـ عزَّ وجلّ ـ هذا قول أَبي عبيدة، ويُقال الواسع: المحيط: يعلم بكلّ شيء من قوله عزّ وجلّ:

---

(1) مراح الأرواح في الصرف، أبو الفضائل أحمد بن عليّ، من علماء القرن السابع، تحقيق: محمد الطهراني، ط1، (د،ت)، 30.

(2) ينظر: المزهر، في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل وآخرون، الناشر: مكتبة دار التراث العربي، القاهرة، ط3، (د،ت)، ج1 /346.

(3) ينظر: شرح الكافية في النحو، الأستراباذي، وبهامشه، السيد شريف الجرجاني، الناشر: مكتبة مرتضوي، طهران، (د،ط)، 1989م،74/1.

(4) ينظر: شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري، الناشر: مطبعة الاستقامة، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1954م، ج2 /65.

(5) ينظر: المصدر السابق، ج66/2.

(6) ينظر: شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، 55.

(7) كتاب الزاهر، للأنباري، ج2 / 124.

(8) سورة البقرة، من الآية: (247).

﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1]، معناه: أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا "[2].

ـ **العاقل:** وهو اسم فاعل مِنَ الفعل: (عقلَ) ذكره ابن الأَنباري بقوله: "وقولهم: رجلٌ عاقلٌ، قال أَبو بكر: فيه قولان، قال قوم: العاقل الجامع لأَمره ولرأيه، وقالوا: هو مأخوذ مِنْ قولهم: قد عقلتُ الفرسَ إذا جمعتَ قوائمَهُ، وقال آخرون: العاقل معناه فِي كلام العرب: الذي يحبسُ نفسه ويردّها عن هواها، أُخِذَ مِنْ قولهم: قد اعتقلَ اللسان، إذا حُبِسَ ومُنِعَ مِنَ الكلام.

ـ **الحازم:** وهو اسم فاعل مِنْ الفعل الثُّلاثي(حزمَ)، ذكره ابن الأنباري بقوله: وقولهم: رجلٌ حازم، معناه جامعٌ لرأيه متثبّت فِي شأنه، أُخِذَ مِنْ قول العرب قد حزمتُ المتاعَ إذا جمعته، وقال لنا أَبو العبّاس: يُقال قد حَزُمَ الرجلُ وحَزَمَ، بضمّ الزاي وفتحها "[3].

ـ **باسل:** وهو اسم فاعل مِنَ الفعل(بسلَ)، ذكره ابن الأَنباري بقوله: " وقولهم: رجلٌ باسل فيه قولان، قال الفرّاء: الباسل الذي حرم على قرنه الدنوّ منه لشجاعته، أَي: لشدّته لا يمهل قرنه، ولا يُمكنه مِنَ الدنوّ منه، أُخِذَ من البسل هو الحرام "[4].

ب ـ ما ورد مِنه مِنْ فوق الفعل الثُّلاثي:

ـ **المؤمن:** وهو اسم فاعل مِنَ الفعل(آمنَ) على وزن(مُفعِل) ذكره ابن الأنباري بقوله: "في المؤمن ثلاثة أَقوال، قال الكلبي: المؤمن الذي لا يُخافُ ظلمُهُ، وقال بعض أَهل اللُّغة: المؤمن الذي أَمِنَ أَولياؤهُ عذابَهُ، واحتجَّ بقول الشاعر:

والمـؤمنِ العائـذاتِ الطيـرَ يمسـحُها ركبـانُ مكـةَ بـينَ الغيْـلِ والسَـنَدِ [5]

قال أَبو بكر: " وسمعتُ أَبا العبّاس يقول: المؤمن عند العرب المُصدّق، يذهب إِلى أَنَّ الله تعالى يُصدِّقُ عبادَهُ المسلمين يوم القيامة. والمؤمن المُصدّق لعباده كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[6]. " [7].

ـ **المُنافق:** وهو اسم فاعل مِنَ الفعل(نافقَ) على وزن(مُفاعِل)، ذكره ابن الأَنباري بقوله:

---

(1) سورة طه، من الآية: (98)..

(2) كتاب الزاهر، للأنباري، ج191/1.

(3) المصدر السابق، ج1/ 210/208.

(4) المصدر نفسه: ج452/1..

(5) ينظر: ديوان النابغة الذبياني(صنعة ابن السكّيت)، تحقيق: د. شكري فيصل، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط1، ط1، 1968م، 20، والبيت من بحر البسيط.

(6) سورة التوبة: من الآية(61).

(7) كتاب الزاهر، لأنباري، ج1 / 181.

" وقولهم: رجلٌ مُنافقٌ، فيه ثلاثة أقوال: قال أبو عبيدة: إنَّما قيل له مُنافق؛ لأَنَّهُ نافق كاليربوع، يُقال: قد نافق اليربوع ونفّقَ إِذَا دخل نافقاءه، قال: وله حِجر آخر يُقال له: القاصعاء، فإذا طُلِبَ مِنَ النافقاء قصعَ فخرج مِنَ القاصعاء، وإِذَا طُلِبَ مِنَ القاصعاء نفقَ فخرجَ مِنَ النافقاء، قال: فقيلَ له مُنافق لأنّه يخرج مِنَ الإِسلام مِنْ غير الوجه الذي دخل فِيه، وقال آخرون: المُنافق مأخوذ مِنَ النفق وهو السَرَبُ، أَي: يتستّر بالإِسلام كما يتستّر الرجل فِي السَرَب، قال الله ـ عزَّ وجلّ ـ: ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ﴾[1].

وقال قومٌ: المُنافق مأخوذ مِنَ النافقاء وهو جحرٌ يخرقهُ اليربوع مِنْ داخل الأَرض فإِذا بلغَ إِلى جلدة الأَرض أَرقَّ حتَّى إِذا رابه رَيْبٌ دفع التراب برأسه وخرج فقيل للمُنافق مُنافق؛ لأَنَّهُ يُضمر غير ما يُظهر "[2].

ـ **المُلحِد:** وهو اسم فاعل مِنَ الفعل(ألحَدَ) على وزن(مُلحِد) ذكره ابن الأَنباري بقوله: " وقولهم: (رجلٌ مُلحِدٌ)، معناه فِي كلام العرب الجائر عن الحقّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[3] معناه: يجورون في أسمائه "[4].

2 – صيغ المُبالغة:

وهي أَسماء تُشتقّ مِنَ الأَفعال للدَّلالة على اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته، ومِنْ ثَمَّ سُمّيت صيغ المُبالغة "[5]، وتتضمّن صيغًا كثيرة منها صيغ قياسية، وهي: (فَعَّال، ومِفْعال، وفَعُول، وفعيل، وفَعِل) وهناك أَوزان أُخرى وردت للمُبالغة يرى الصرفيون أَنَّها سماعية لا يُقاس عليها[6]. ومِنْ صيغ المُبالغة الواردة فِي كتاب ابن الأَنباري:

أ ـ صيغة(فعّال):

وهذه الصيغة تُعدّ مِنْ أَشهر أَبنية المُبالغة الدَّالّة على كثرة وقوع الفعل، يقول المُبرّد: " هذا ما يُبنى عليه الاسم لمعنى الصناعة... وإِنَّما أَصل هذا لتكرير الفعل كقولك: هذا رجلٌ

---

(1) سورة الأنعام، من الآية: (35).

(2) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1 /229.

(3) سورة الأعراف، من الآية: (180).

(4) كتاب الزاهر، الأنباري، ج241/1.

(5) معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، الناشر: دار عمار، ط2، 2007م، 105.

(6) ينظر: أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، راجعه: إميل يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، 1971م، ج412/1.

ضرّاب، ورجلٌ قتّال، أَي: يكثر مِنه، وكذلك خيّاط، فلمّا كانت الصناعة كثيرة المعاناة للصنف فعلوا به ذلك "[1]. وقد وردت هذه الصيغة فِي كتاب (الزاهر)، ومِمَّا جاء مِنَ الأَلفاظ على وزنها ويُراد بها المبالغة والكثرة فِي اسم الفاعل ما يلي:

- **لفظ الجبّار**: ذكره ابن الأَنباري بقوله: " وقولهم: باسم الجبّار المتكبّر فِي كلام العرب ذو الجبرية وهو القهّار، والجبّار ينقسم إِلى ستّة أَقسام: يكون الجبّار القهّار، ويكون الجبّار المسلَّط، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾[2]، معناه: ما أَنتَ عليهم بمسلَّط، ويكون الجبّار القويّ العظيم الجسم، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[3] معناه: أَقوياء أَشدّاء عظام الأَجسام، ويكون الجبّار المتكبّر عن عبادة الله كقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[4]، أَي: لم يجعلني متكبّرًا عن عبادته، ويكون الجبّار القتّال كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[5]، معناه: بطشتم قتّالين، ومِنْ ذلك قوله: ﴿ إِن تُرِيدُ تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ﴾[6] "[7].
- **لفظ النمّام**: ذكره ابن الأَنباري بقوله: " وقولهم رجلٌ نمّام، قال أَبو العبّاس: النمّام معناه فِي كلام العرب: الذي لا يُمسك الأَحاديث ولا يحفظها، مِنْ قولهم: جلودٌ نَمّة: إِذَا كانت لا تُمسك الماء، ويُقال: قد نَمَّ فلانٌ يَنُمُّ نَمًّا إِذَا صنعَ الأَحاديثَ ولم يحفظها، أَنشد الفرّاء:

بَكيتُ مِنْ حَديثٍ نمّهُ وأشاعَهُ ولصّفَهُ واشٍ مِنَ القومِ راضعُ[8]

ويُقال للنمّام: القتّات... ويُقال للنمّام القسّاس والدرّاج والهمّاز واللمّاز والغمّاز..."[9].

ب ـ صيغة(فَعُول):

وهو مِنْ صيغ المبالغة المشهورة، و(فعول) لمن دام مِنْهُ الفعل، نحو: غفور، وشكور،

---

(1) المقتضب: للمبرد، ج3 / 161.
(2) سورة ق، الآية: (45).
(3) سورة المائدة، من الآية: (22).
(4) سورة مريم، من الآية: (32).
(5) سورة الشعراء، من الآية: (130).
(6) سورة القصص، الآية: (19).
(7) كتاب الزاهر، الأنباري، ج177/1.
(8) ينظر: لسان العرب: مادّة (نم)، والبيت من الطويل، ولم ينسب إلى قائل، أنشده قيس بن منقذ ابن الحدادية.
(9) كتاب الزاهر، الأنباري، ج484/1.

ورؤوف، وقد وردت هذه الصيغة فِي القرآن كثيرًا[1]، وأَوردها أَبو بكر الأَنباري فِي كتابه: (الزاهر) (الزاهر) ومِنْ أَمثلة ذلك:

- **لفظ الغفور**: ذكره أَبو بكر بقوله: " الغفور معناه فِي كلامهم الساتر على عباده والمُغطّي لذنوبهم، مِنْ قولهم: غفرتُ المتاعَ فِي الوعاءِ أَغفرُهُ غفرًا، إذا سترته فِيه، وإِنَّمَا قيل البيضة غفّارة ومِغْفَر لتغطيتها الرأس وسترها إيّاه "[2]
- **لفظ الرؤوف**: قال أَبو بكر: " قال أَهل اللُّغة: الرؤوف معناه فِي كلامهم: الشديد الرحمة، وقال أَبو عبيدة فِي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]. أَي: لَرحيم شديد الرحمة"[4].

ج ـ صيغة(فعيل):

وهو مِنْ أَبنية العربية المشهورة الدالّة على المبالغة فِي اسم الفاعل، وهو مِنْ أَبنية الصفة المشبّهة الدالّة على الثبوت والدوام والملازمة فِي الصفات، نحو: كريم، وشهيد، وسميع... الخ[5]، وهو فِي المُبالغة يدلّ على معاناة الأَمر وتكراره حتَّى أَصبح كأَنّه خلقة فِي صاحبه وطبيعة فيه[6].

ومِمَّا ورد فِي كتاب (الزاهر): **لفظ العليم**: من أَلفاظ المُبالغة لبيان إِحاطته العلمية إِلاَّ أَنَّها تُعدّ صفاتٍ ثابتة فِي ذات الله –سبحانه وتعالى–، وهو مِنْ أَسماء الله تعالى، معناه كثرة نظره فِي العلم وهي سجيّة ثابتة لصاحبه كالطبيعة فيه، وهو العليم بأَعمالنا وأَفعالنا لما لها مِنْ صفتي الحسن والقبح، والعدل والظلم، والإِحسان والإِساءة، وما تكسبه النفوس مِنْ سعادة وشقاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الفَتَّاحُ العَلِيمُ﴾[7]"[8].

---

(1) ينظر: معاني الأَبنية في العربية، السامرائي، 114.

(2) كتاب الزاهر: الأَنباري، ج192/1، كما يطلق على (البيضة) الجمَّاء الغفير، أَي:جميعه، يقال: الجمَّ الغفير: جميعهم الشريف ووضيعهم، ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أَبادي، شرح هوامشه: الشيخ أَبو الوفا المصري الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م ج2، مادة (غفر).

(3) سورة البقرة، من الآية: (143).

(4) كتاب الزاهر، الأَنباري، ج193/1.

(5) ينظر: الممتع في التصريف، لابن جنِّي: ج64/1..

(6) ينظر: معاني الأَبنية في العربية: للسامرائي، 117.

(7) سورة سبأَ، من الآية: (26).

(8) كتاب الزاهر: للأَنباري، ج176/1.

3 ـ الصفة المشبّهة باسم الفاعل:

هي وصف يُشتقّ مِنَ الفعل الثُّلاثي اللازم للدَّلالة على وصف صاحبه[1] على وجه الثبوت وليس لها زمن معيّن لاستمرارها نحو: رحيم، وطويل، وأعرج، وغير ذلك[2].

وقد سُمّيت بالصفة المشبّهة؛ لشبهها صيغة اسم الفاعل في دلالتها على ذات قام بها الفعل[3]، على أَنَّ دلالة الصفة المشبّهة على الثبوت والدوام لم تكن بدرجة واحدة؛ إذْ إنَّ هناك صفات ملاصقة للموصوف لا تنفكّ عنه، نحو: أحول، وقصير، وطويل، وهناك صفات أُخر يمكن زوالها مِنْ أَصحابها على الرغم مِنْ طول وقت الانتهاء، مثل: فرحان، وغضبان[4]، وللصفة المشبّهة أَبنية كثيرة منها: فَعِل، وفَعْلان، وفعيل، وغير ذلك، ومِنْ أَبنية الصفة المشبّهة التي عرضها ابن الأَنباري ما يأتي:

أ ـ صيغة (فَعْلان):

مِنْ أَبنية الصفة المشبّهة الدَّالّة على الامتلاء والخلوّ، وحرارة الباطن بالوصف إلى حدّ أَقصى على الحدوث والطروء[5]، قال سيبويه: " أَمَّا مَا كان مِنَ الجوع والعطش فإِنَّهُ أَكثر ما يُبنى فِي الأَسماء على(فعْلان) وذلك نحو: ظمأَ، يظمأُ، ظمًا وهو ظمآن، وقالوا: سكران لما كان مِنَ الامتلاء جعلوه بمنزلة(شبعان)، ومثل ذلك: ملآن، وقالوا: غضبان، غضبى، ومثله: لهفان لهفى، وقالوا: حزنان حزنى؛ لأنّه غمّ فِي جوفه "[6].

ب ـ صيغة (فعيل):

وهو مِنْ أَبنية الصفة المشبّهة، ويأتي هذا البناء للدَّلالة على الثبوت فِي الموصوف، قال ابن فارس: " وتكون الصفات اللازمة للنفوس على(فعيل)، نحو: شريف، وخفيف، وعلى

---

(1) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاسترابادي، تحقيق: محمد نور الحسن، وآخرين، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ط)، 1984م، ج101/1.

(2) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان(ت1206هـ)، تحقيق: محمد بن الجميل، الناشر: الناشر: مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2002م: ج476/2.

(3) ينظر: الصرف الكافي، آمين عبد الغني، 149.

(4) ينظر: البسيط في علم الصرف، شرف الدين الراجحي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1989م: 70.

(5) ينظر: معاني الأبنية في العربية: للسامرائي، الناشر: دار عمار، ط2، 2007م، 93.

(6) الكتاب، لسيبويه، ج21/4.

أَضدادهما نحو: وضيع وكبير وصغير "[1]، وعرض ابن الأَنباري لهاتين الصيغتين مِنْ خِلال ورودها فِي كتابه، وهما:(الرحمن، الرحيم) في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[2]، قال أَبو بكر: "قال الحسن الرحمن الرقيق والرحيم أَرقّ من الرحمن، قال ابن عبّاس(الرحمن الرحيم) اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر، فالرحمن الرقيق والرحيم العاطف على خلقه بالرزق"[3]. فكأنّه أراد أنَّ صيغتي: (فعلان، وفعيل) تدلاّن على الصفات الطبيعية لله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ لذلك ناسب(الرحمن) دلالة الرحمة الكثيرة التي يفيضها الله تعالى على المؤمن والكافر وهي الرحمة العامّة، وناسب أَيضًا(الرحيم) الدَّلالة على النعمة والرحمة الدائمة الثابتة التي تُفاض عل المؤمن[4].

إنَّ الرحمن والرحيم في الكلمتين مِنَ الصفات المشبّهة، والتفريق بينهما، أَنَّ الرحمن مبالغة والرحيم صفة مشبّهة تدلّ على مجرد الثبوت[5].

ج ـ صيغة (فاعل):

يُعدّ هذا البناء مِنْ أَبنية الصفة المشبّهة إِنْ كان يدلّ على الثبوت والدوام، مثل: (جائع ـ ساخط)، وقد جاء(فاعل) فِي معنى الصفة المشبّهة، أَي: مطلق الاتّصاف بالمشتقّ منه مِنْ غير معنى الحدوث[6]. ذكره ابن الأَنباريّ بقوله: " وقولهم: فلانٌ كافر، قال أَهل اللُّغة: الكافر معناه فِي كلام العرب الذي يُغطّي نِعمَ الله وتوحيده، أُخِذَ من قول العرب: قد كفرتُ المتاعَ في الوعاء أكفره كفرًا، إِذَا سترته فيه "[7]. وقد دلّت لفظة(الكافر) على وقوع الكفر فِي نفس الكافر فهو دائمٌ على الكفر ملازمٌ له، وهو صفة يُوصَل بها إلى النار.

د ـ صيغة (فَعْل):

مِنْ أَبنية الصفة المشبّهة القياسية، وهو يُؤدّي ما تؤدّيه(فعيل) مِنَ الدَّلالة على الثبوت

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة، أجمد بن فارس، تحقيق: السيّد أحمد صقر، الناشر: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، (د، ت)، 171.

(2) سورة الفاتحة، الآية: (2).

(3) كتاب الزاهر، الانباري، ج152/1.

(4) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيّد عبد الأعلى السبزواري، الناشر: مطبعة الديواني بغداد، ط3، 1989م، 1989م، ج16/1.

(5) ينظر: شافية ابن الحاجب، للرضي الاستراباذي، ج103/1.

(6) ينظر: المصدر السابق، ج103/1 .

(7) كتاب الزاهر، الأنباري، ج216/1.

والدوام، نحو: ضَخْم وسَهْل وفَحْل[1]. ذكره ابن الأَنباري بقوله: " وقولهم فِي أَسمائه عزّ اسمه: الحيّ القيّوم، الحيّ الذي لا يموت "[2] وبهذا نستدلّ على أَنَّ الحيّ مِنَ الصفات المشبّهة التي تدلّ على الثبوت والدوام أَي: أنّه الحياة الثَّابتة، ومفهوم الحياة معلوم وظاهر وهي التي تُبنى عليها جميع الإحساسات والإدراكات، ويلازمها العلم والقدرة وبانتفائها تتعطّل جميع قوى الحيّ ومشاعره وأفعاله[3].

ثالثًا- تناوب الصيغ الصرفية ودلالتها فِي كتاب (الزاهر):

مِنَ الخصائص التي امتازت بها اللُّغة العربية مِنْ بين سائر اللُّغات كثرة الصيغ الصرفية للمادّة اللُّغوية الواحدة، وقد حرص القرآن الكريم على التوظيف الدَّلالي لصيغ الكلمات، فهو ينتقي الأَكثر مناسبة لسياق النص القرآني، فقد تأتي الصيغ الصرفية لينوب بعضها مناب الآخر، أَو قد يجري عدول مِنْ صيغة إِلى أُخرى، ويكون ذلك لأَغراض يتطلّبها السياق، وهذا يمثّل جانبًا مِنْ جوانب الإِعجاز القرآني، وقد تنبّه العُلماء العرب على هذا الأسلوب واستوقفهم وروده فِي كتاب الله العزيز، وكانت لهم آراء دلالية أَثناء دراستهم اللُّغوية والنحوية والتفسيرية، وعبّروا عنها بعدّة عبارات فأَجد ابن جنّي يقول: " إِنَّك فِي المُبالغة لا بُدَّ تترك موضعًا إِلى موضع، وإِمّا لفظًا إِلى لفظ، وإِمَّا جنسًا إِلى جنس، فاللفظ كقولك: (عُراض) فهذه قد تركت فيه لفظ(عريض) فـ(عُراض) إِذًا أَبلغ مِنْ(عريض)، وكذلك رجلٌ حُسّان ووُضّاء أَبلغ مِنْ قولك: حَسَن، ووضيء وكُرّام أَبلغ مِنْ كريم؛ لأَنَّ كريمًا على كَرُمَ وهو الباب، وكُرّام خارج عنه فهذا أَشدّ مبالغةً مِنْ كريم "[4].

وقدّ عدَّ ابن الأَثير(ت630هـ) هذا النوع مِنَ الانتقال بين الصيغ نوعًا مِنَ العدول المبني على الذوق فِي اختيار الأَلفاظ مِنْ هيأة على هيأة كنقلها مثلاً مِنْ وزن مِنَ الأَوزان إِلى وزن آخر، وإِنْ كانت اللفظة واحدة، أَو كنقلها مِنْ صيغة الاسم إِلى صيغة الفعل، أَو مِنْ صيغة الفعل إِلى صيغة الاسم... انتقل قبحها صار حسنًا وحُسنها صار قبحها... ومِنْ هذا النوع أَلفاظ يعدل عن استعمالها مِنْ غير دليل يقوم على العدول عنها، لا يُستفتى فِي ذلك إِلاَّ الذوق السليم "[5].

---

(1) ينظر: معاني الأبنية في العربية، السامرائي، 100.

(2) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 186.

(3) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ج222/4.

(4) الخصائص، لابن جني، ج48/3.

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تقديم د أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، (د، ط، د، ت): ج1/ 293 ـ 297.

ويشير الزركشي(ت794هـ)، إلى أَنَّ تناوب الصيغ فِيمَا بينها، وما تؤدّيه مِنْ معنى يكون لأَغراض معيّنة يتطلبها السياق[1]. وقد أَورد أَبو بكر بن الأَنباريّ أَلفاظًا دالّة على التناوب بينها، ومِنْ أَمثلة ذلك ما يلي:

1ـ صيغة (فعيل) بمعنى(مفعول):

صيغة (فعيل) بمعنى(مفعول) تدلّ على أَنَّ الوصف قد التصق بصاحبه فأصبح سجيّةً له أَو كالسجيّة، فتقول: (هو محمود)، و(هو حميد) أَبلغ مِنْ (محمود)؛ لأَنَّ (حميدًا) يدل على أَنَّ صفة (الحمد) له ثابتة، وكذلك صيغة(فعيل) أَبلغ مِنْ مفعول وأَشدّ[2]، وقدّ وقف أَبو بكر بن الأَنباري عند هذه الصيغة فِي مواضع كثيرة مِنْ كتابه، منها:

أـ الربيبة على وزن (فعيلة):

ذكره ابن الأَنباري بقوله: " وقولهم: فلانةٌ ربيبةُ فلان، ربيبة الرجل ابنة امرأته مِنْ غيره، وهي فعيلة بمعنى مفعولة، أَصلها مربوبة فصُرفت عن مفعولة إِلى فعيلة كما قالوا: قتيل وجريح وطبيخ، والأَصل فيهنّ: مقتول ومجروح ومطبوخ "[3].

ب ـ الشهيد على وزن (فعيل):

ذكره ابن الأَنباري بقوله: " وقولهم: فلانٌ شهيدٌ وهم الشهداء، قال أَبو بكر: قال أَبو العبّاس: إِنّما سُمّيَ الشهيد شهيدًا لأَنَّ ـ الله عزَّ وجلَّ ـ وملائكته شهودٌ له بالجنّة، وهو فعيل بمعنى (مفعول) كقولهم: هذا مطبوخ وطبيخ، مقدور وقدير "[4].

2 ـ صيغة (مُفْعِل) بمعنى(فعيل):

وهنا يتمّ صرف صيغة اسم الفاعل مِنْ فوق الثُّلاثي الدَّالّة على التغيّر والتجدّد إِلى صيغة(فعيل) الدَّالّة على الثبوت والدوام، وقد ذكرها ابن الأَنباري فِي كتابه، مِنْ ذلك:

أـ الحكيم على وزن (فعيل): ذكر ابن الأَنباري: " والحكيم معناه فِي كلام العرب المُحْكِم

---

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار التراث، القاهرة، (د،ط د،ت)، ج2/ 285 ـ 289.

(2) ينظر: معاني الأبنية في العربية، السامرائي، 61 ـ 62.

(3) كتاب الزاهر، الأَنباري، ج286/1.

(4) المصدر السابق، ج415/1.

لخلق الأَشياء فصُرِفَ عن المُحْكِم إلى الحكيم كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] فمعناه: ولهمْ عذابٌ مُؤلِم، فصُرِفَ عن مُفْعِل إلى فعيل "[2].

ب- السميع على وزن (فعيل): ذكر ابن الأَنباري: " قال عمرو بن معد يكرب:

أَمِنْ ريحانةِ الداعي السميع يُؤرّقني وأصحابي هجودُ

معناه: الداعي المُسْمِع، فصُرِفَ عن مفعل إلى فعيل "[3].

(1) سورة البقرة: من الآية: (10).

(2) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 176.

(3) المصدر السابق، الموضع نفسه، والبيت من الوافر، لعمرو بن معد يكرب.

المبحث الثَّالث
الدَّلالة النَّحْويّة

أولاً– مفهوم النَّحو والدَّلالة النحوية.

ثانيًا– العلاقة بين المسند والمسند إِليه.

ثالثًا– مِنْ مَعالم الدَّلالة النحوية الواردة فِي كتاب(الزاهر).

أولاً– مفهوم النحو والدَّلالة النَّحْوية:

علم النحو هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصِّلة إلى معرفة أَحكام أجزائه التي ائتلف منها، فهو العلم الذي يبحث فِي أَواخر الكلمة إعرابًا وبناءً، أَو هو علم يختصّ بقواعد اللُّغة العربية التركيبية[1].

أَمَّا الدَّلالة النحوية فهي الدَّلالة المحصَّلة مِنْ استخدام الأَلفاظ أَو الصور الكلامية فِي الجملة المكتوبة أَو المنطوقة على المستوى التحليلي أَو التركيبي [2].

وقد كان هذا العلم يشتمل قديمًا على القواعد التركيبية والأَبنية الصرفية، ثُمَّ انفصل الصرف عن قواعد التركيب، فعُرِفَ الأَوَّل بعلم الصرف، وعُرِفَ الثَّاني بعلم النحو، وهو ما عليه الدراسات اللُّغوية الحديثة التي تدرس كلَّ علمٍ منهما مستقلاً عن الآخر[3].

إنَّ أَساس التركيب النحوي فِي الجملة المفيدة، أَو الكلام المفيد يعتمد على الإسناد، فالتركيب المفيد لا يكون مفيدًا إلاَّ إذَا ورد على صورة خاصّة مِنَ التأليف، فلا بُدَّ أنْ يكون لكلِّ كلمة تعلُّق بالأخرى على السبيل الذي به يفيد الكلام تمام الفائدة [4].

وقد ارتبط النحو بفكرة الإسناد منذ نشأته كما يُلحظ فِي كتاب سيبويه[5]، فالإسناد دلالة تركيبية فِي العربية الفصحى، وهو إمَّا إسناد فِي الجملة الاسمية، وإمَا إسناد فِي الجملة الفعلية، وأَنَّ القاعدة العامة التي تحكم تركيب الجملة أَنَّ كلّ علاقة تزيد فِي الجملة على علاقة الإسناد إنَّما يُنشئها المتكلّم للبيان، وإزالة إبهام أَو غموض قد يعتريان المعنى الدَّلالي للجملة إنْ لم يُنشئ المُتكلّم تلك العلاقة .

وكلّ حذف لعلاقة إنَّما يكون حين لا يحتاج المعنى الدَّلالي إلى دلالة تلك العلاقة، وهذا كلّه خاضع لسياق المقام وغرض المتكلّم، ومعيار الذكر والحذف، فالإسناد يُمثِّل العلاقة الرئيسة

---

(1) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، الناشر: دار النشر الجامعات، مصر، القاهرة، ط1، 2005م، 114.

(2) ينظر: المصدر السابق: 116.

(3) ينظر: الوظائف الدلالية للجملة العربية، د. محمد رزق شعير، الناشر: مكتبة الآداب ـ القاهرة، ط1، 2007م: 21.

(4) ينظر: التركيب النحوي وشواهده القرآنية، د. محمد أبو الفتوح شريف، الناشر: مكتبة الشباب، القاهرة، ط2، 1993م: ج239/1

(5) ينظر: الكتاب، لسيبويه، ج23/1.

فِي الجملة العربية وهو نواة الجملة، ومحور كلّ العلاقات الأُخرى؛ لأنَّ باستطاعته وحده تكوين جملة تامّة ذات معنى متكامل هي الجملة البسيطة [1].

ثانيًا – العلاقة بين المسند والمسند إِليه:

مِنَ الظاهر أَنَّ المسند قد يكون عين المسند إِليه أَو خاصّة مِنْ خواصّه أَو شيئًا يُشبهه، أَو سببًا له [2].

وقد أَلمح النحاة إِلى تلك العلاقة الدَّلالية بين المسند والمسند إِليه، كقولك: زيد قائم، يقول سيبويه فِي هذا السياق: " اعلم أَنَّ المبتدأ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يكون المبنى عليه شيئًا هو هو، أَو يكون فِي مكان وزمان "[3]، ويتّصل بهذه العلاقة الدَّلالية أَنَّ ثَمَّة إِسنادًا على جهة الحقيقة، وإِسنادًا على جهة المجاز [4].

ويتحقّق الإِسناد الحقيقي حين يكون المسند إِليه هو المسند أَو بسبب منه، ويتحقّق الإِسناد المجازي حين يختلف المسند إِليه عن المسند فِي ملمح مِنَ الملامح المميّزة.

ثالثًا – مِنْ معالم الدَّلالة النحوية الواردة فِي كتاب (الزاهر):

مِن معالم الدَّلالة النحوية ظاهرة (الحذف)، وقد اختلف القدماء فِي تعريف الحذف فمنهم مَنْ ذهب إِلى أَنَّهُ الاختصار شريطة أَلاّ يخلّ بالمعنى ولا ينقص مِنَ البلاغة [5]، وعرّفه بعضهم بأَنّهُ: " إِسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام " [6].

والحذف مِنَ الأساليب البلاغية الواردة فِي الكلام العربي وقد تناوله عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، فِي ضوء بيان القيم الجمالية للتراكيب وكونها بالحذف أَفصح مِنَ الذكر بقوله: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأَمر، شبيه بالسحر، فإِنَّك ترى به ترك الذكر أَفصح من الذكر، والصمت عن الإِفادة أَزيد للإِفادة " [7].

---

(1) ينظر: الوظائف الدلالية في الجملة العربية، محمد رزق شعير،27.

(2) ينظر: المصدر السابق، 39.

(3) الكتاب، لسيبويه، 2ج/127.

(4) ينظر: ابن جنّي وعلم الدلالة، نوال كريم زرزور، الناشر: مطبعة العاني ـ بغداد، ط1 1990م، 54.

(5) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي(ت749هـ)، مراجعة وضبط: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1995 م: 246.

(6) النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن الرمّاني، تحقيق: محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف، ط2، مصر، 1968م، 76.

(7) دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، 146.

ومِنْ أَمثلة الحذف فِي كتاب (الزاهر) لابن الأَنباريّ ما يلي:

1 ـ حذف الجار والمجرور:

قد يُحذف الجار والمجرور لدَلالة ما قبله عليه بقصد الإيجاز، فقد ذكر أَبو بكر بن الأَنباري فِي كلامه أَنَّ قولهم: (اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ)، قال أَبو العبّاس: وقال النحويون، يعني الكَسَائِي والفرّاء وهشامًا: اللهُ أكبر معناه: الله أكبر مِنْ كلّ شيء، فحُذفت (مِنْ)؛ لأَنَّ أَفعل خبر كما تقول: أَبوك أَفضل وأَخوك أَعقل، فمعناه أَفضل وأَعقل مِنْ غيره، واحتجّوا بقول الشاعر:

إِذَا ما سُتُورُ البيتِ أُرخِينَ لم يكنْ سراجٌ لنَا إلاّ ووجهُكَ أَنورُ

أَراد: أنور مِنْ غيره [1].

2- حذف المُضاف:

قد يُحذف المُضاف ويُقام المُضاف إِليه مُقامه، ويُدلّ عليه بِمَا تقدّم أَو بالقرائن كقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ﴾[2]. والشاهد فِي الآية الكريمة، حذف المُضاف(حبَّ)، وإِقامة المُضاف إِليه مقامه، والتقدير: (حبُ العجل) ـ والله أَعلم ـ ولحذفه أَغراض أَهمّها: التجوّز فِي الكلام والاتّساع فيه[3].

ومِنْ وروده فِي كتاب (الزاهر)، قول أَبي بكر الأَنباري: " ففي السلام قولان...، وقال آخرون: السلام معناه ذو السلامة أَي صاحب السلامة، قالوا: فحذف (الصاحب)، وأَقام السلام مُقامه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وأُشربوا فِي قلوبهم العجلَ بكفرهم﴾، أَراد: وأُشربوا فِي قلبهم حبّ العجلِ " [4].

3- حذف الفعل:

قد يُحذف الفعل لأَغراض بلاغية فيجوز حذفه إِذا دلّ عليه كلام سابق، كأَنْ يكون اختصارًا فِي إِجابة عَنْ سؤال، وهُنا وجهان للإِعراب: إِمَّا الفاعلية بتقدير حذف فعل، وإِمَّا الابتدائية بتقدير حذف الخبر، مِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[5]،

---

(1) ينظر: كتاب الزاهر، الأنباري، ج1 / 124، والبيت من الطويل، و بلا نسبة في الهمع، ج1/ 116،

(2) سورة البقرة، من الآية: (93).

(3) ينظر: معاني القرآن، الفرّاء، ج6/1. والمثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، ج2/ 93.

(4) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 109.

(5) سورة الزخرف، من الآية: (87).

أَي: خلقَهُنَّ الله "[1]، ومِنْ وروده فِي كتاب(الزاهر) "وقولهم للذي يقدم مِنَ الحجّ: (مبرورًا مأجورًا)، قال أَبو بكر: فيه وجهان: مبرورًا مأجورًا بالنصب على الدعاء، أَي: جعلك الله مبرورًا مأجورًا، والوجه الآخر: أَنْ يُنصب على الحال فيكون المعنى: قدمْتَ مبرورًا مأجورا، وأَجاز النحويون: مبرورٌ مأجورٌ بالرفع على معنى: أَنتَ مبرور مأجور "[2].

وقد ذكره سيبويه فِي باب "(ومِمَّا ينتصب على إِضمار الفعل المستعمل إِظهاره) أَنْ ترى رجلاً قد قدمَ مِنْ سفرٍ فتقول: خيرَ مقدمٍ... ومثله هنيئًا مريئًا، وإِنْ شئتَ نصبتَ فقلتَ: مبرورًا مأجورًا، حدّثنا بذلك عَنِ العرب عيسى ويونس كأَنّه قال: رجعتَ مبرورًا مأجورًا " [3].

(1) علم الدلالة (دراسة وتطبيقات)، فريد عوض حيدر، 60.

(2) كتاب الزاهر، لابن الأَنباري ج336/1.

(3) الكتاب، لسيبويه، ج257/1

المبحث الرابع
الدَّلالة المعجميَّة

أولاً– مفهوم الدَّلالة المعجمية.

ثانيًا– مِنْ معالم الدَّلالة المعجميَّة الواردة فِي كتاب (الزاهر).

1. **ظاهرة الترادف.**
2. **ظاهرة المشترك اللفظي.**
3. **ظاهرة الأَضداد.**

أولاً– مفهوم الدَّلالة المعجميَّة:

تتّصف اللُّغة العربية الفصحى مِنْ بين سائر اللُّغات الجذرية الأخرى بخصائص تفرّدت بها، تجلّت فيها مكانتها وقدرتها على التعبير، فشرّفها الله تعالى بأنْ جعلها لُغة القرآن الكريم ومِنْ أَهمّ ما تمتاز به اللُّغة العربية أَنّها أَوسع أَخواتها الجّذرية ثروةً فِي أصول الكلمات والمفردات مِنْ مُختلف أَنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها، والمترادفات فِي الأَسماء والصفات والأَفعال... ما لم يجتمع مثله للّغة سامية أُخرى، بل يندر وجود مثله فِي لُغة مِنْ لُغات العالم[1]، فكان لهذه اللُّغة في دلالاتها الكثيرة ومعانيها الوفيرة القدرة على التعبير بأكثر مِنْ دلالة، والبيان بأكثر مِنْ وجه، فكان هناك مِنَ الأَلفاظ المشترك والتضادّ والمتقابل والنظير والمترادف والمتباين.

وقد أَثار التعدّد فِي اللفظ والمعنى، أَو التقابل بين الدال والمدلول عند عُلماء العربية نشاطًا لُغويًا واسعًا [2]، حيثُ رُصِدت فيه بعض الظواهر اللُّغوية التي كانت مدار جدل وخلاف كبيرين بين العُلماء، ويُراد بتلك الظواهر الترادف، والمشترك اللفظي، والأضداد، والتقابل الدَّلالي، والتغيّر الدَّلالي، فهذه الظواهر فِي حقيقتها ظواهر دلالية قبل أَنْ تكون ظواهر مستقلّة، وما قدّمه عُلماؤنا القدماء فِي هذا المجال يُعدُّ خطوة في العمل الدَّلالي؛ إِذْ تنبّه هؤلاء العُلماء فِي وقت مبكّر على وجود علاقات تربط أَلفاظ العربية بأسمائها وأَفعالها، ورصدوا تلك الأَلفاظ وصنّفوها على وفق تلك العلاقة الرابطة بينهما، ووضعوا فيها مؤلّفات مستقلّة، وقد وردت بعض تلك الظواهر فِي كتاب (الزاهر) تَنُمُّ على قدرات أَبي بكر الأَنباري الواسعة فِي هذا المجال، وذلك على النحو الذي سنعرفه فِيمَا يلي"

ثانيًا– مِنْ معالم الدَّلالة المعجميَّة الواردة فِي كتاب (الزاهر):

1. ظاهرة الترادف:

الترادف لغة: مأخوذ مِنْ رَدِفَ الرجلُ وأَردفه إِذا رَكِبَ خلفَهُ على الدابة، وترادفَ الشيء تَبِعَ بعضُهُ بعضًا [3].

---

(1) ينظر: فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط7، 1972 م، 168.

(2) ينظر: علم الدلالة العربي، د. فايز الداية، الناشر: دار الفكر، الأردن، ط1، 1985م : 77.

(3) ينظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، مادّة (ردف)، ج22/8 -23. وتهذيب اللغة، الأزهري، مادّة (ردف) ج96/4.

أَمَّا اصطلاحًا: فهو أَنْ يكون للمعنى الواحد عدّة أَلفاظ تتصرّف جميعًا للدَّلالة عليه كالليث والأسد[1]، وقد يُعبَّر عنه بأنّه: " ما كان معناه واحدًا وأَسماؤه كثيرة "[2]، وهو بهذا المعنى عكس المشترك اللفظي [3]. وعَرَّفهُ فخر الدين الرازي بأَنَّهُ: " الأَلفاظ المفردة الدَّالة على شيء واحد باعتبار واحد " [4]. وعَرَّفهُ مِنَ المُحدثين (أَولمان) بقوله: " المترادفات هي أَلفاظ متّحدة المعنى وقابلة للتبادل فِيما بينها فِي أَيّ سياق"[5].

أ ـ أَلفاظ الترادف فِي كتاب (الزاهر):

اهتمَّ أَبو بكر بن الأَنباري بظاهرة (الترادف)، وأَقرّها فِي كتابه، ومِمَّا ورد من أَلفاظ الترادف التي وردت فِي مصنفه ما يلي:

1- **(الحمق، والإثم، والشمول، والراح، والخندريس)**، ذكرها بمعنى واحد بقوله: " فلان أَحمق، والحمق يعني الخمر والإثم والشمول والراح... وكلّها بمعنى واحد[6]. وهنا نجده يصرّح بترادف الأَلفاظ (الحمق، والإثم، والشمول) وكلّها تعني الخمر، وحاول أَنْ يأتي بشواهد على أَنَّ الفعل (حمق) تعني (شرب الخمرة)، وذكر بعد ذلك أَنَّ للخمر أَربعة وثلاثين اسمًا بقوله: " مِنْ أَسماء الخمر اللازمة لها أَربعة وثلاثون حرفًا وهي: الخمر، والشمول، والقرقف، والعُقار والمُدامة، والرحيق، والكُميت... والمُعتّقة، والخُرطوم " [7].

2- **(الزوجة، والظعينة، والفراش، والإزار، والطل، واللباس، والسكن)**، ذكرها بقوله: " وقولهم: (فلانة ظعينة فلان) حيثُ ذهب إِلى أَنَّ: " أَصل الظعينة المرأة فِي الهودج، ثُمَّ كثر ذلك حتَّى صارت العرب تقول: فلانة ظعينة فلان، يريدون زوجته، ويُقال لأمرأة الرجل:

هي زوجته وزوجه... ويُقال لامرأة الرجل: هي فراشه وإِزاره ومحلّ إِزاره... ويُقال لامرأة الرجل: هي سكنه " [8].

---

(1) ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، 37.

(2) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(3) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط6، 1975م، 200.

(4) المزهر فِي علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، وآخرون، الناشر: مكتبة دار التراث العربي، القاهرة، ط3، (د،ت)، ج402/1.

(5) دور الكلمة في اللغة، (أولمان)، ترجمة د. كمال بشر، ط1، القاهرة، 1975م : 109.

(6) ينظر: كتاب الزاهر، الأنباري، ج24/2.

(7) المصدر السابق، ج25/2.

(8) المصدر نفسه، ج65/2.

3- **(العَقـار، والأَرض، والمنـزل، والضـياع، والنخـل، ومتـاع البيـت)**، ذكر ابن الأَنباري أَنَّ: "العَقار، قال عند العرب النخل، ثُمَّ كثر استعماله ذلك حتَّى ذهبوا به إِلى متاع البيت، وقال الأَصمعي: العَقار الأرض والمنزل والضياع "[1].

2- ظاهرة المشترك اللفظي:

يُعَدُّ المشترك اللفظي مِنَ الظواهر الدَّلالية التي عرفها اللُّغويون العرب القدامى، واهتمّوا بها، يقول السِّيوطي: " وقد حدّه أَهل الأَصول بأنّه اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أَهل اللُّغة " [2]، وذكره سيبويه فِي كتابه بقوله: " واتّفاق اللفظين والمعنى مُختلف، قولك: وجدتُ عليه مِنَ الموجدة، ووجدتُ إِذَا أَردتَ وجدان الضالّة، وأَشباه هذا كثير"[3]. كثير"[3]. وقال ابن فارس (ت395هـ) عنه: "وتُسمّى الأَشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: عين الماء، وعين المال، وعين السحاب"[4].

أَمَّا المحدثون فلم يختلفوا فِي تعريفه عَنِ القدماء لكنّهم فرّقوا بين مصطلحين مختلفين فِي هذا الإِطار، وهما: (المشترك اللفظي) و (تعدُّد المعنى)، فمصطلح المشترك اللفظي يُطلق على الكلمات مختلفة المعنى لكنّها متّفقة في الصورة والنطق، كإطلاق (الخال)على أَخ الأم، وعلى الشامة فِي الوجه، أَمَّا مصطلح (تعدُّد المعنى)، فيُقصد به دلالة الكلمة الواحدة على أَكثر مِنْ معنى، مثل (البأس) التي تُطلق على الحرب، وشدّة البطش، والقوّة، والعذاب، ويُلحظ أَنَّ تعدّد المعنى تكون المعاني فيه مترابطة، مثل: ساق الرجل، وساق الشجرة، وعين الإِنسان، وعين الإِبرة، وعين الماء، أَمَّا المشترك اللفظي فبالضدّ مِنْ ذلك، ومِنْ ذلك (النوى) فهي الدار، و(النوى) النيّة، و(النوى) البعد فهذا مشترك لفظي لاتّحاده فِي الصورة والنطق، أَمَّا تعدّد المعنى حينما تذكر معاني العين، كقولك: عين الماء، وعين الشمس، والعين حرف مِنْ حروف المعجم، والعين النقد من الدراهم... ألخ[5].

وقد اختلف القدماء فِي وقوع المشترك اللفظي، فذهب كثرون إِلى وجوده وجواز وقوعه،

---

(1) كتاب الزاهر، للأَنباري، ج51/2.

(2) المزهر، للسيّوطي،/369.

(3) الكتاب، لسيبويه، ج24/1.

(4) الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، 96.

(5) ينظر: دراسات في الدلالة والمعجم، عبد القادر ستيته، الناشر: دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 1985 م، 44.

لكنّ ابن درستويه(ت347هـ) أنكره وأنكر أنْ يكون للفظ الواحد أكثر مِنْ معنى مختلف فذكر هذا بقوله: " فظنَّ مَنْ لم يتأمّل المعاني، ولم يتحقّق الحقائق أنَّ هذا لفظ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة، وإنَّما هذه المعاني كلّها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيرًا كان أو شرًّا " [1]، وذكر أيضًا " فإذا اتّفق البناءان فِي الكلمة والحروف ثُمّ جاء المعنيان مختلفين لم يكن بُدّ مِنْ رجوعهما إلى معنى واحد يشتركان فيه فيصيران متّفقي اللفظ والمعنى " [2].

وقد وضع ابن درستويه يده على الأسباب التي تدعو إلى نشوء المشترك اللفظي فِي اللُّغة بقوله: " فلو جاز وضع لفظ واحد للدَّلالة على معنيين مختلفين لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية ولكن قد يجيء ذلك فِي لغتين متباينتين أو لحذف واختصار قد وقع فِي الكلام حتَّى اشتبه اللفظان وخفي ذلك على السامع وتأوّل فيه الخطأ " [3].

وإلى مثل هذا الذي فطن إليه ابن درستويه(ت347هـ)، ذهب إليه أبو علي الفارسي (ت377هـ) بقوله: " إنَّ اتّفاق اللفظتين، واختلاف المعنيين ينبغي ألاّ يكون قصدًا فِي الوضع ولا أصلاً، ولكنّه مِنْ تداخل لُغات تداخلت، أو أنْ تكون كلّ لفظة تُستعمل بمعنى، ثُمَّ تُستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل"[4]، فكان ابن درستويه، وأبو علي الفارسي، فِي رأيي، أنَّهما يريان أنَّ احتمال اللفظة لمعان متعدّدة يعود إلى أسباب استعمالية وعلل لغوية، منها: اختلاف اللهجات، وتداخل اللُّغات، والتطوّر الصوتي والمجازي الذي يعتري الألفاظ وغير ذلك [5].

وفِي الحقيقة أنَّ رأي ابن درستويه لاقى استحسانًا من إبراهيم أنيس فنراه يُثني عليه بقوله: " وقد كان ابن درستويه مُحقًّا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عُدّت مِنَ المشترك اللفظي واعتبرها مِنَ المجاز، ذلك أنَّ المشترك اللفظي الحقيقي إنّما يكون حين لا نلمح أيّ صلة بين المعنيين، كأنْ يُقال لنا مثلاً: إنَّ الأرض هي الكرة الأرضية، وهي أيضًا الزكام، وكأنْ يُقال لنا: إنَّ الخال هو أخو الأم، وهو أيضًا الشامة فِي الوجه، وهو الأكمة، ومثل هذه الألفاظ التي

---

(1) تصحيح الفصيح وشرحه، لابن درستويه، تحقيق: محمد بدوي، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، (د،ط)، 2004م، ج364/1، وفصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999م، 325.

(2) تصحيح الفصيح، لابن درستويه، ج240/1.

(3) المصدر السابق، ج166/1 ـ 167. والمزهر، للسيوطي، ج385/1.

(4) المخصّص، ابن سيده، تقديم خليل إبراهيم، ج259/3.

(5) ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، 189 ـ 192.

اختلف فيها المعنى اختلافًا بيّنًا قليلة جدًا بل نادرة لا تتجاوز أصابع اليد عدا " [1].

فكلمة (الهلال) حين تُعبّر عن هلال السماء، وعن حديدة الصيد التي تُشبه الهلال فِي الشكل، وعن قلامة الظفر التي تشبه فِي شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذي يشبه فِي شكله الهلال، لا يصحّ إذن أَنْ تُعدّ مِنَ المشترك اللفظي؛ لأَنَّ المعنى واحد فِي كلّ هذا، وقد أَدَّى المجاز دوره فِي كلّ هذه الاستعمالات، وتنميز الأَلفاظ المشتركة مع غيرها مِنَ الأَلفاظ بتعدّد المعاني غير أَنَّ هذا التعدّد وسمَ اللفظة المشتركة بسمة الغموض فِي الدَّلالة والصعوبة فِي تحديد معناها وهي خارج السياق، فقد يساعد السياق فِي تحديد المعنى المقصود [2].

وقد بيّن المحدثون أَسباب حدوث المشترك اللفظي وعوامله، وهي: الاستعمال المجازي كما فِي كلمة (العين) التي هي عضو للإبصار لكن دلالتها على عين الماء؛ لأنها تبدو للوارد عليها مِنْ أَعالي الصحراء قطعة لامعة مِنَ الماء، وكذلك عين الشمس وغيرها مِنَ المعاني، وكذلك اللهجات ويعني وجود كلمة واحدة مِنْ حيثُ اللفظ عند أَكثر مِنْ قبيلة مع اختلاف المعنى، مثلاً (السليط) فهو يُطلق على (الزيت) بلغة العرب، أَمَّا لُغة اليمن فتطلقه على دهن السمسم، إِضافةً إِلى (الاقتراض) الذي يصادف أَنْ تكون الكلمة المقترضة تُشبه فِي لفظها كلمة عربية، مثل لفظة: (السور) فهي حائط المدينة، والضيافة، والمعنى الأَوَّل عربي، والثَّاني لكلمة فارسية شرّفها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حينما قال: (يا أَهل الخندق قوموا فقد صنع جابر سورًا)، وكذلك التطوّر اللُّغوي، مثل كلمة (التَّغَب) لها معنيان، وهما (الوسخ والدرن) و(القحط والجوع) وهناك (السَغَب) معناها (الجوع) حيثُ حصل تطور صوتي بين السين والتاء، واختلاف الزمن، والصيغة الصرفية. كلّ هذه العوامل أدّت إلى وجود المشترك اللفظي. [3].

ـ أَمثلة مِنْ ألفاظ المشترك اللفظي الواردة فِي كتاب (الزاهر):

عرض أَبو بكر بن الأَنباري كثيرًا مِنَ الأَلفاظ التي تدلّ على صحة وقوع المشترك اللفظي فِي اللُّغة ووجوده فِي القرآن الكريم، ويتبيّن ذلك مِنْ خِلال الأَمثلة، الآتية:

(1) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 214.

(2) ينظر: علم الدلالة (علم المعنى)، د. محمد علي الخولي، دار الفلاح، الأردن، ط1 2001م، 139.

(3) ينظر: فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، 331.

أ ـ لفظ (الأُمّة):

أورد ابن الأنباري لفظة أُمّة في قوله: (فلانٌ أُمّةٌ وحدَهُ)، قال: " والأمة تنقسم في كلام العرب إلى ثمانية أقسام: تكون الأُمّة الجماعة كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [1] معناه: وجد عليه جماعة، وتكون الأُمّة أتباع الأنبياء كما تقول:

نحن من أُمّة محمد، أي من أتباعه على دينه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ...وتكون **الأُمّة الدين** كما قال عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّة ﴾[2]: معناه على دين، وتكون الأُمّة الرجل الصالح الذي يؤتّم به كما قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾[3]. وتكون الأُمّة الزمان، كما قال: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[4]، وتكون الأُمّة القامة، يُقال: فلانٌ حسنُ الأُمّةِ، أي: حَسَن القامةِ، وتكون الأُمّة الأُمّ، قال الفرّاء: يُقال هذه أُمّة فلان، أي: أُمّ فلان، ويكون الأُمّة المنفرد بالدين " [5].

ومن خلال هذا النصّ يتضح أنّ للأُمّةِ المعاني الآتية: الجماعة، وأتباع الأنبياء، والدِّين، والرجل الصالح، والزمان، والقامة، والأُمّ، والمنفرد بالدين.

ب ـ لفظ (التامور):

أورد ابن الأنباري ستة أوجه لهذه اللفظة حينما عرض لقولهم: ويُقال ما بالدار تامورٌ، أَي ما به أحدٌ، فقد ذكر أَنَّ: التامور ينقسم في اللُّغة إِلى ستّة أقسام، يكون التامور موضع الأسد الذي يسكنه، ويكون التامور صومعة الراهب، قال الشاعر:

لو أنّها تبدو لأشمطَ راهبٍ عَبَدَ الإلهَ صَرُورةٍ مُتبتّلِ
لدنا لبهجتِها وحسنِ حديثها ولَهُمْ من تامورهِ يتنزّلُ [6]

ويكون التامور: الدم، قال الشاعر:

نُبئِّتُ أنَّ بني سُحيمٍ أدخلوا أبياتَهُم تامورَ نفسِ المنذر [7]

ويكون التامور القلب، ذكر ابن الأَنباري يقال فِي تامورك أي: في قلبك، ويكون التامور

---

(1) سورة القصص، الآية: (23).

(2) سورة الزخرف، من الآية: (23).

(3) سورة النحل، من الآية: (120).

(4) سورة يوسف، من الآية: (45).

(5) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج1/248 ـ 250.

(6) ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، بغداد، ط1، 1968م، 28، والبيت من الرجز.

(7) ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، بيروت، ط1، 1960م : 47، والبيت من الكامل.

الماء، يُقال: ما في الرَكيةِ تامور، أي ما فيها ماء، أو ما فيها أحد، وقال أبو عبيدة: التامورة الإبريق، وأنشد:

وإِذَا لَهَا تَامُورَةٌ مَرْفُوعَةٌ لِشَرَابِها [1]

ومن خلال هذا النصّ يمكن استنتاج أنّ للفظ (التامور) المعاني الآتية: موضع الأَسد، وصومعة الراهب، والدم، والقلب، والماء، والإبريق[2].

ج- لفظ (الوكيل):

ذكره أبو بكر بن الأنباري في قوله: " وقولهم: ونِعْمَ الوكيلُ"، فيه ثلاثة أقوال: قال أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء: الوكيل الكافي كما قال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾[3]، معناه: أَلاّ تتخذوا من دوني كافيًا ، وقال آخرون: الوكيل الربّ، فالمعنى عندهم: حسبنا الله ونِعْمَ الربّ، وقالوا: معنى قوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾: ألاّ تتخذوا من دوني ربًّا، وقال آخرون: الوكيل الكفيل، والمعنى عندهم: حسبنا الله ونعم الكفيل بأرزاقنا"[4].

ومِنْ خِلال النص المذكور أَستنتج أنّ للفظ (الوكيل) المعاني الآتية: الكافي، والربّ، والكفيل .

3- ظاهرة الأَضداد:

هي ظاهرة تميّزت بها اللُّغة العربية تميّزًا واضحًا، والأضداد لغةً جمع لكلمة (ضدّ) فالغنى ضدّ الفقر، والإيمان ضدّ الكفر، أمّا اصطلاحًا فتعني أنَّ الصيغة أو الكلمة تعطي معنيين مختلفين، مثل الحميم التي تُطلق على الحارّ والبارد، و(السليم) تُطلق على الصحيح والملدوغ، فقد ذكر اللُّغويون أَنَّ الأضداد هي: " أنْ يُطلق اللفظ الواحد على المعنى وضدّه نحو لفظ (الجَوْن) الذي يُطلق على الأبيض والأسود[5].

---

(1) ينظر: ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين، الناشر: دار صادر، بيروت، (د،ط)، 1965 م، 177، والبيت من الكامل.

(2) ينظر: كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج367/1.

(3) سورة الإسراء، من الآية: (2).

(4) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج99/1 ـ 100.

(5) ينظر: الأضداد، قطرب، تحقيق: حنّا حدّاد، الناشر: دار العلوم، الرياض، ط1، 1984 م : 243 ـ 244.

والأضداد ضرب من المشترك اللفظي، فلا يتمّ الحديث عن المشترك اللفظي إلاَّ بالتعرّض لتلك الكلمات التي رويت لنا من متضادة المعاني التي اصطلح القدماء على تسميتها بـ (الأضداد)[1]، فهو لدى أغلب عُلماء اللُّغة القدماء نوع من المشترك[2]، وكذلك هو عند المحدثين[3]، عدا بعضهم [4].

وكانت هذه الظاهرة مدار بحث عند اللُّغويين، فمنهم مَنْ أقرَّ بورودها فِي اللُّغة كما هو الحال فِي المشترك اللفظي فألّف فيها اللُّغويون كتبًا مستقلّةً، أَمثال: قطرب(ت206هـ)، والأَصمعي (216هـ)، وابن السكّيت(ت244هـ)، وأبي بكر بن الأنباريّ(ت328هـ)، وأبي الطيّب اللُّغويّ(ت350هـ)، ويُعدّ أبو الطيّب اللُّغويّ مَنْ أدقّ العُلماء في تحديد الأَضداد؛ إذْ أزالَ الإبهام والاضطراب عن فكرة (الأضداد) وبيَّن أَنَّها أَخصّ من الاختلاف فِي معناها العامّ، فهو يرى أَنَّ الأضداد جمع ضدّ، وضدّ كلّ شيءٍ ما نافاه، نحو: البياض والسواد، السخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كلّ ما خالف الشيء ضدًّا له، أَلا ترى أَنَّ القوّة والجهل مختلفان وليسا ضدّين، وإنّما القوة ضدّ الضعف، وضدّ الجهل العلم، فالاختلاف أَعمّ من الأضداد ؛ حيثُ إِنَّ كلّ مختلفين ضدّان[5].

وأَوَّل مَنْ أَنكر الأَضداد وأَلّف فِي ذلك كتابًا هو ابن درستويه(ت347هـ)، وسمَّاه (إبطال الأَضداد)، فقد نقل عنه السِّيوطي(ت911هـ) قولهُ: " النوء الارتفاع بمشقّة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قد ناء إذا طلع، وزعم قومٌ من اللُّغويين أَنَّ النوء السقوط أَيضًا، وأَنَّهُ من الأَضداد، وقد أَوضحنا الحجّة عليهم فِي كتابنا فِي إبطال الأَضداد " [6].

ومن المنكرين للأَضداد أَيضًا، أَبو عليّ القالي البغدادي(356هـ) بقوله: " الصريم الصبح؛ لأَنَّهُ انصرم عن الليل، والصريم الليل؛ لأنّهُ انصرم عن النهار، وليس هو عندنا ضدًّا "[7].

---

(1) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1992م، 192.

(2) ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تعليق إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م: 401. والصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس، 66 -67، والمزهر، للسيوطي، 387/1.

(3) ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، 193، وفقه اللغة العربية وخصائصها والبحث اللغوي المعاصر، رشيد عبد الرحمن العبيدي، الناشر: مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد، ط1، 2004م، 181.

(4) الأضداد في اللغة، الدكتور محمد حسين آل ياسين، ط1، الناشر: مطبعة دار المعارف، بغداد، ط1، 1974م، 249.

(5) ينظر: الأضداد في كلام العرب، أبو الطيّب اللغوي، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، ط1، 1963م : ج1/1.

(6) المزهر في علوم اللغة، للسِّيوطي، ج396/1.

(7) الأمالي، أبو علي القالي، الناشر: المطبعة الأميرية، بغداد، ط2، (د، ت)، ج318/2.

وكذلك ذكر أبو منصور الجواليقي(ت540هـ)، أَنَّ بعض المحقّقين مِنْ عُلماء العربية ينكرون الأضداد ويدفعونها، ويُروى عن ثعلب الكوفي(ت291هـ)، أَنَّهُ قال: ليس فِي الكلام ضدّ[1].

أمّا ابن دريد(ت321هـ)، فيرى أنّ الأضداد لا تكون إلاَّ في لغة واحدة فمثلاً قولهم: الشَعْب: الافتراق، والشَعْب: الاجتماع، وليس مِنَ الأَضداد، إنّما هي لغة القوم[2].

والأضداد تنشأ عادةً بأنْ ينطق العربي اللفظة لمعنى، ثُمَّ يضع غيره في قبيلة أخرى اللفظ نفسه لمعنى يعاكسه، ثُمَّ تُسمع هاتان اللفظتان وهما واحد والمعنى مختلف، من ذلك: (الجَوْن) أطلقه العربي على الأبيض، وأطلقه آخر من قبيلة أخرى على الأَسود، وبهذا تنشأ الأضداد.

والحقيقة لا يمكن إنكار وجود ظاهرة الأضداد، ولا يمكن رفضها كليًّا، بل يناقش ما جاء منها في ضوء الواقع اللُّغوي والاستعمال، وهذا ما أَشار إليه بعض اللُّغويين[3]، فالفعل (بَرَّدَ) قالوا: إِنَّهُ من الأَضداد بالمعنى المعروف (التبريد)، وكذلك تأتي بمعنى (التسخين)، واحتجّوا بقول الشاعر:

عافتِ الشربَ فِي الشتاءِ فقلنا بردّيه تُصادفيه سخينا [4]

وهذا ليس صحيحًا؛ لأنَّ هذا تحريف لعبارة (بل رِديه)، وقد ذكر أبو الطيّب اللُّغوي تعليقه على هذا البيت بقوله: " قال قطرب: معنى بردّيه فِي هذا البيت سخّنيه، وقال أَبو حاتم: هذا خطأ، إِنَّما هو: بل رِديه من الورود، ولكنّه أَدغم اللام مع الراء كما يُقرأ قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾[5]، قال أَبو الطيّب: وهذا هو الصحيح، وبه يستقيم معنى البيت "[6].

---

(1) ينظر: شرح أدب الكاتب، الجواليقي، تعليق: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، 1350هـ 251.

(2) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، الناشر: مكتبة المثنى، بغداد، 1346هـ : مادّة (شعب).

(3) ينظر: الأضداد، قطرب، 259، والأضداد ابن الأنباري، 58، والأضداد، أبو الطيّب، ج2/594.

(4) ينظر: الأضداد، ابن الأنباريّ، 63، والبيت من الخفيف، ولم أَعثر على قائله.

(5) سورة المطففين، من الآية: (14).

(6) الأضداد، أبو الطيّب اللُّغوي، ج1/86.

وكذلك يُشترط فِي قبول اللفظة من الأَضداد صحّة النقل، من ذلك اختلاف العُلماء فِي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[1].ذكر الزمخشري (ت585هـ)، قرأ ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ فَصرْهُنَّ بضمّ الصاد وكسرها وتشديد الراء من صَرّهُ يَصُرّهُ ويَصِرّهُ إذا جمعه، فَصُرهُنَّ مِنْ التصرية وهي الجمع أيضًا [2].

وذكر الفرّاء أَنَّ بني سُليم يقولون: فَصُرهُنَّ، وذكر أبو بكر بن الأنباريّ، واستضعف الفرّاء مذهب مَنْ قال: صِرْهِنَّ قَطّعِهِنَّ، وقال: لا نعرف (صار)، بمعنى قطع إلاَّ أَنْ يكون الأَصل فيه (صرى) فُقدّمت (الراء) إلى موضع (العين)، وأُخّرت (العين) إلى موضع (اللام) كما قالوا: (عاثَ) في الأرض، و(عثا)، وقال بعض المفسّرين: صَرْهُنَّ معناه فقطّع أَجنحتَهنَّ [3].

وكما يتطلّب السماع التامّ، فقد أنكر بعض اللُّغويين ظاهرة الأَضداد لعدم سماعه بها، مِنْ ذلك قول الأَصمعي في (الحميم): إنَّهُ من الأضداد، ويُعنى به: الماء الحارّ، والماء البارد، مستشهدًا بقول الشاعر النابغة الذبياني:

وساغَ لي الشرابُ وكنتُ قِدْمًا أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ

قال الأَزهري: الحميم عند ابن الأعرابي من الأضداد لكنَّ أبا حاتم يقول: لا أعرفه"[4].

أَمَّا المحدثون فقد كانت لهم آراء مختلفة أيضًا، فقد اختلفت نظرتهم إلى الأضداد كاختلاف القدماء فيه، وقد انقسموا بين مؤيّد، ومنكر له، فأمّا المؤيّدون فيرون أنَّ الأضداد هو علاقة بين المعاني، بل رُبّما كانت أقرب إلى الذهن ولا سيَّما بين الألوان، فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدّية من أوضح الأَشياء فِي تداعي المعاني، كقولهم بالأَضداد تُعرف الأَشياء، فإذا جاز أَنْ تُعبّر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ما، فمن باب أولى جواز تغيّرها عن معنيين متضادّين؛ لأنّ استحضار أَحدهما فِي الذهن يتبع عادةً استحضار الآخر، فالتضادّ فرع من المشترك اللفظي[5].

وقد ذهب إبراهيم أَنيس إلى أنّ التضادّ نوع من المشترك، وهذا رأي أغلب من يؤيّد وجود الأضداد من المحدثين خلا محمد حسين آل ياسين، الذي نفى وجود علاقة تشابُه بين الاشتراك

---

(1) سورة البقرة ، من الآية: (260).

(2) ينظر: الكشاف، للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، (د،ط/د،ت)، ج392/1.

(3) ينظر: الأضداد، ابن الأنباري، 28.

(4) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، مادّة (حمم)، والبيت من الوافر، للنابغة الذبياني.

(5) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أَنيس، 196.

والأضداد إلاَّ من حيثُ تعدّد المعنى فيهما واتّفاقهما في طائفة مِنْ أسباب نشأتهما [1].

وخلاصة القول: إنَّ الأَضداد على الرغم من وجود المؤيّدين والمنكرين له، يُعدُّ من الظواهر الدَّلالية، وعلى الرغم من قلّته أَصبح وسيلةً مِنْ وسائل التنوّع فِي الألفاظ والأساليب، ووسّع تنوّع استعماله مِنْ دائرة التعبير فِي العربية، فكان بهذا المعنى خصيصة من خصائص لغتنا فِي مرونتها وطواعيتها، فقد اختصّت فيه لغتنا العربية دون سائر اللُّغات الحيّة الأخرى [2].

وقد كان أبو بكر بن الأنباري من القائلين بالأضداد في اللُّغة العربية، وألّف كتابًا فيه سمَّاهُ (الأضداد)، وأورد ألفاظًا كثيرة في كتابه (الزاهر)، منها على سبيل الأَمثلة:

1 ـ لفظ (الذَفَر):

من الألفاظ التي أوردها التي تحتمل معنيين متضادّين بقوله: " (وقولهم: مِسكٌ أذْفَر)، ومعناه: ذكيّ شديد الرائحة، والذَفَرُ عند العرب كلّ ريح ذكيّة شديدة من طيب أو نتن، فمن الطِّيب قولهم: مسكٌ أذفر، ومن النتن، قولهم: شممتُ ذفر إبطه، وشممتُ ذفر الحديد[3].

وأَجد من خلال النصّ أَنَّ (الذَفَر) احتملت المعنيين المتضادّين الريح الذكية الطيِّبة، والريح النتنة.

2 ـ لفظ (مأتم):

يُعَدُّ من الألفاظ التي تحتمل معنيين مختلفين، ذكر ابن الأنباريّ (وقولهم: في منزلِ فلانٍ مأتمٌ) قال أبو بكر: معنى المأتم في كلام العرب النساء المجتمعات في فرح أو حزن، وقال الطوسي: يُقال للرجال أيضًا إذا اجتمعوا في فرح أو حزن مأتم، والعامة تغلط في هذا فتظنّ أنّ المأتم النوح والنياحة وليس هو هكذا، والدليل على هذا قول أبي عطاء السندي وكان فصيحًا يمدح ابن هُبيرة:

---

(1) ينظر: الأضداد فِي اللغة، محمد آل ياسين، 101 ـ 102.

(2) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، الناشر: دار الملايين، بيروت، ط4، 1970م، 313، والدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري، حمودي زين الدين عبد المشهداني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، 104.

(3) ينظر: كتاب الزاهر،لابن الأنباري، ج1/583 ـ 584.

عشــيّةَ قيــامِ النائحــاتِ وشُــقّقتْ جيــوبٌ بأيــدي مــأتمٍ وخــدودِ[1]

والحقيقة أنّ هذه اللفظة من الأضداد أصابها التطوّر اللُّغويّ فأصبحت تُطلق على الحزن فقط.

3 ـ (بيضة البلد):

كذلك من الألفاظ التي تحتمل معنيين متضادّين، وذكرها ابن الأنباريّ بقوله:

(وقولهم: فلانٌ بيضةُ البلدِ) " هذا حرفٌ من الأضداد يكون مدحًا ويكون ذمًّا، فإذا مدح الرجل فقيلَ: هو بيضة البلدِ، أُريدَ به واحدُ البلدِ الذي يُجتمع إليه ويُقبل قوله: أنشدنا أبو العبّاس لامرأةٍ ترثي عمرو بن عبد ودّ، وتذكر قتل عليّ ـ رضي الله عنه ـ:

لو كانَ قاتلُ عمروٍ غيرَ قاتلِهِ بكيتُهُ ما أقامَ الروحُ في الجسدِ

لكنَّ قاتلَهُ مَنْ لا يُعابُ بهِ وكانَ يُدعى قديمًا بيضةُ البلدِ[2]

فإذا ذُمَّ الرجلُ فقيل: هو بيضةُ البلدِ، أرادوا هم منفرد لا ناصرَ لهُ بمنزلة البيضة التي يقوم عنها الظليم ويتركها منفردة لا خيرَ فيها ولا منفعة، قالت امرأة ترثي بنين لها:

لهفي عليهم لقد أصبحتُ بعدهُمُ كثيرةُ الهمِّ والأحزانِ والكَمَدِ

قد كنتُ قبلَ منایاهِم بمغبطةٍ وصرتُ مُفردةً كبيضةِ البلدِ [3]

ومِمَّا سبق يمكن استنتاج أنّ أبا بكر بن الأنباري من المؤيّدين للظواهر الدَّلالية الثلاث: الترادف والمشترك اللفظي والأضداد، والدليل تأليفه كتابًا في الأضداد وإيراده ألفاظًا من المشترك والترادف فِي كتابه.

---

(1) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار المعارف ـ مصر، ط1، 1966 م، 567. وينظر كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 262، والبيت من الطويل، لأبو عطاء السندي، شاعر مخضرم من الدولتين الأموية والعباسية.

(2) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج17/2، والبيت لأم كلثوم بنت ود ترثي أخاها، وهو من بحر البسيط،

(3) ينظر: المذكر والمؤنّث، الفرّاء، 120، وكتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج2/ 17، والبيتان من البسيط، وليس لهما قائل في المصادر.

الفصل الثَّاني
الظواهر السِّياقية فِي كتاب (الزاهر)

توطئة.

المبحث الأوَّل: السِّياق اللُّغوي واللفظي.

المبحث الثَّاني: السِّياق الخارجي أَو سياق الحال.

المبحث الثَّالث: السِّياق الثقافي.

المبحث الرابع: السِّيـــاق العاطفـي.

المبحث الخامس: السِّياق السببي.

توطئة:

قبل الحديث عن السِّياق ودراسته عند القدماء والمحدثين وأنواعه، ومجالات بحثه لا بدّ من الكلام عليه لغة واصطلاحًا.

فالسِّياق في اللُّغة كما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ): "سقتُهُ سَوْقًا، ورأيتُهُ يسوقُهُ سياقًا... والمصدر السَوَق، والسُوق معروفة "[1]. ومن هنا يفهم أنّ السِّياق مصدر للفعل الثُّلاثي (ساقَ) وكذلك (السَوَق) مصدر صرّح به الخليل. وذكر الزمخشري(ت538هـ) " السوق معروف، ساق النعم وانساقت إليه"[2]، وذكر ابن منظور(ت711هـ) " وساق إليها الصداق، وهي الإبلُ التي تنساق عند العرب، والسِّياق المهر"[3]، وجاء في المعجم الوسيط : "وساق الله إليه خيرًا، ونحوه: بعثهُ وأرسلَهُ، وساق الحديثَ سردَهُ وإليك يُساقُ الحديث[4].

ومِنْ خِلال هذه النقول يمكن القول: إنَّ المعنى اللُّغوي لمفهوم السِّياق هو: سياق الكلام أي: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه [5]، إذًا فالسِّياق هو تتابُعُ الكلام وتراسُلُه فِي نَسَق واضح ومحددّ.

أَمَّا السِّياق اصطلاحًا فهو ما يُسمّى بالقرينة الحالية، فالسِّياق يمثّل تلك الأجزاء التي تسبق النصّ، أَو تليه مباشرةً، ويتحدّد من خلالها المعنى المقصود [6]. وينطبق هذا التعريف على القرينة الحالية في العربية كقول الشاعر البحتري، وهو يصف مبارزة الفتح بن خاقان الأسد:

هِزَبْرٌ مَشَى يَبغي هِزَبْرًا، وأغلب منَ القَوْمِ يَغشَى بَاسلَ الوَجهِ أغلَبَا[7].

وعرّف بعضهم القرينة بأَنَّها ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي في الجملة، وقد تكون

---

(1) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادّة (سوق) ج5/ 190 –191.

(2) أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، مادة (سوق) 314.

(3) لسان العرب، لابن منظور، مادة (سوق) ج242/3.

(4) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، مادة (سوق) 464/1 -465.

(5) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، 288.

(6) ينظر: المصدر السابق، 289.

(7) كلمة "هِزَبْرًا" الثانية يراد بها الأَسد الحقيقي، وأنَّ كلمة "هزبر" الأُولى يراد بها الممدوحُ الشجاعُ، وهذا معنى غير حقيقي، ينظر: ديوان البحتري، دار صادر، بيروت، 1966م، ج53/1، والبيت من بحر الطويل.

لفظية كقول ابن العميد:

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي

قامَتْ تُظَلِّلُنِي ومِنْ عجَبٍ شمسٌ تظللني من الشمسِ[1]

فـ (شمس) الأُولى من البيت الثَّاني مستعملة في غير معناها الحقيقي، والقرينة لفظية هي: (تظللني)، على سبيل الاستعارة وقد تكون القرينة حالية كقول المتنبي:

فيومًا بخيلٍ تطردُ الرومَ عنهُمُ وَيَوْمًا بجُودٍ تَطْرُدُ الفَقْرَ والجَدبا[2]

فقوله (تطرد) الثانية مجاز لغوي، والقرينة حالية لأنَّ الفقر لا يُطرد[3].

وأشار بعض المحدثين إلى أنَّ السِّياق وقرائنه هو ما يُصاحب اللفظ مِمَّا يساعد على توضيح المعنى [4]. وهذا القول يشمل القرائن اللفظية والحالية فهي التي تصاحب اللفظ وتؤدّي إلى توضيح المعنى.

والسِّياق إذًا يشمل ضمّ الكلمات بعضها إلى بعض، وترابط أجزائها، واتّصالها أَو تتابعها، وما توحيه من معنى، وهي مجتمعة فِي النصّ، أَو الحديث.[5]

وقدّ ذكر الباحثون أَنواعًا للسياق، منها " السِّياق اللُّغوي، والسِّياق العاطفي، وسياق الموقف، والسِّياق الداخلي... إلخ[6].

أَهميّة السِّياق:

يُعدّ السِّياق الشقّ الأكبر الذي تُبنى عليه النظرية الدَّلالية، ووسائلها الأَساسية فِي الفهم والإفهام، ويتعدّاها إلى الأوضاع المختلفة من التأثير والانفعال والإيحاء... إلخ. وهو أهمّ ظاهرة لغوية يعتمد عليها الإنسان في عملية التواصل اللساني، وقد شغل حيّزًا مهمًّا من الدراسات اللُّغوية الحديثة بل يكاد يكون اللبنة الأساسية فِي الوصول إلى المعنى فِي تلك الاتّجاهات التي

---

(1) ينظر: يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي، الناشر: مطبعة الصاوي، القاهرة، ط1، 1934م، ج160/3، والبيتان من الكامل، لابن العميد.

(2) ينظر: ديوان المتنبي، شرح علي العسيلي، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1997م، 123. والبيت من بحر الطويل.

(3) ينظر: معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، 288.

(4) ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1966م: 116.

(5) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوّش المصطفى، 52.

(6) ينظر: الوجيز في علم الدلالة، علي حسن مزبان، الناشر: دار شموع الثقافة، 2004م، 70.

تميّز بها القرن العشرون، كالمدارس اللُّغوية والوظيفية والتوزيعية والتوليدية، كما لقي الاهتمام البالغ من اللُّغويين والدارسين: بلاغيين، ونُقّاد، وفلاسفة، ومتكلّمين، ومناطقة فِي مختلف الدراسات الإنسانية التي أَولته اهتمامها، قدّمت تفاسير متنوّعة لأساليب تأليف الكلام والنظم والتراكيب بمختلف أَنواعها، واستُعملت له مصطلحات تناثرت فِي كتب اللُّغويين القدماء تُوحي بمعنى السِّياق، كالنظم، والتركيب، والنسق، والمقال، والتعليق، والصياغة، كما كان كلامهم عن المعنى، وحروف المعاني، ومعنى الجمل، والقرائن المعنوية واللفظية والمقالية والحالية، والمعنى النحوي كلّها إشارات إلى أنّهم عرفوا السِّياق، وإنْ اختلفت المصطلحات فِي إطلاقه وتسميته، وفِي ذلك يقول ابن خلدون: "اللُّغات مَلَكات، والمَلَكة ليست بالنظر إلى المفردات، وإنّما هي بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامّة في تركيب الأَلفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يُطبق الكلام على مقتضى الحال بلغَ المتكلّم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصود السامع " [1].

السِّياق فِي التراث القديم:

قبل معرفة طبيعة السِّياق عند اللُّغويين العرب القدماء ينبغي قراءة التراث اللُّغوي اليوناني قراءة متأنّية، حيثُ إنَّ فكرة السِّياق بشقّيه الداخلي والخارجي ودلالته مطروقة في الفكر الإنساني منذ (إفلاطون) و(أرسطو)، فقد تحدّث (إفلاطون) في كتابه (فايدروس) عن مراعاة مقتضى الحال فِي الخطابة قائلاً: " فإذا كانت وظيفة الخطابة هي قيادة النفوس لمعرفة الحقيقة فعلى المرء لكي يكون قادرًا على الخطابة أنْ يعرف ما للنفوس من أنواع، وعلى قدر هذه الأنواع تكون الصفات، وهو ما يختلف به الناس في أخلاقهم... ولكلّ حالة نفسية نوع من الخطابة... فعليَّ إذًا كي أُولِدَ في النفوس نوعًا من الإقناع فِي أَنْ أطابق بين كلامي وطبيعتهم، وإذا توافرت للمرء هذه المبادىء عرف متى يجب أَنْ يتكلّم، ومتى يجب أَنْ ينقطع عن الكلام، متى يليق به أَو لا يليق، أَنْ يكون مُجيزًا، أو مُطيلاً، أو مُبالغًا، أَمَّا قبل الوقوف على هذه المبادئ فلا وسيلة له إلى التعرّف على ذلك "[2].

---

(1) المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ط2، 1967م، 490 –493.

(2) فايدروس أو (علم الجمال)، أفلاطون، ترجمة: أميرة حلمي مطر، الناشر: دار المعارف، مصر، ط1، 1969م، 94.

وعلى هذا الأَساس صُنّفت الأَجناس الأَدبية، وكذلك المذاهب الأَدبية، كما ذكر (أَرسطو) (الموقف)، وهو فِي سبيل الحديث عن الفكرة فِي المأساة فِي كتابه: (فنّ الشعر) يقول: " وأعني بالفكرة القدرة على إيجاد اللُّغة التي يقتضيها الموقف وتتلاءم وإيّاه"[1].

السِّياق فِي التراث اللُّغوي العربيُّ القديم:

بالتمعُّن فِي تراثنا العربي القديم نجد أنّ بوادر فكرة السياق عند اللغويين طرقت أفكارهم منذ زمن الخليل بن أَحمد الفراهيدي(ت175هـ)، فقد بحث فِي ترتيب الكلمات من مواردها الأَوّلية بالجذر البنيوي الحرفي ثُمَّ تقسيمه إِلى ما يحتمله من أَلفاظ مستعملة وأخرى مهملة عند تقليب الحرف فِي التركيب لتعود ألفاظًا بدايةً ونهايةً طردًا وعكسًا ثُمَّ إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها فِي الدَّلالة والمهمل من دون استعمال[2].

ويتضح ذلك جليًا فِي كتاب (العين) لهذا العالم الجليل الذي يتميّز باستشهاده في النصوص اللُّغوية الفصيحة، وإيراد المعاني المحتملة للفظة الواحدة.

ولمَّا كان المعنى المقصود لا يتّضح إلاَّ فِي سياق فإنّنا نجد أَنْ هذه المعاجم قد اهتمّت بإيراد الشواهد على المعنى المقصود للكلمة الواحدة، وهذا أَساس لُغوي على جانب كبير، وهو الاهتمام بالسِّياق، فهي إِذن قضية مهمة عوّل عليها المحدثون فِي بحوثهم الدَّلالية[3].

وهذه إرهاصات لنظرية الدَّلالة السِّياقية الحديثة، والدليل الثابت أنّ اللُّغويين القدماء نصّوا على السِّياق وتقيّدوا به فِي تصنيف معجماتهم.

ومِمَّا يوضّح اهتمام اللُّغويين بالملحوظات السِّياقية الدَّلالية فِي أَثناء تعليقاتهم اللُّغوية حول آي القرآن الكريم، فقد أشار أبو عبيدة(ت210هـ)، إِلى كيفية التوصّل إِلى المعاني القرآنية وفهم دلالاتها عن طريق تعبيرات القرآن بحسب السِّياق الذي تقع فيه، فأراد بكتابه: (مجاز القرآن) الطرائق أو الأساليب التي يسلكها القرآن الكريم فِي تعبيراته [4]. موضّحًا سياقها الدَّلالي الصحيح عن طريق تفسير الكلمة اللُّغوية التي تحتاج إِلى تفسير بقرائن سياقية منها: التفسير

(1) فن الشعر، أرسطو، ترجمة: عياد شكري، الناشر: دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1967م، 504.

(2) ينظر: البحث الدَّلالي عند العرب، محمد حسين علي الصغير، الناشر: دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1986م. 34. والدلالة السِّياقية عند اللغويين، د.عواطف كنوش، 94.

(3) ينظر: االمصدر السابق: 95.

(4) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، تحقيق: فؤاد سزكين، القاهرة، ط2، 1970م: ج19/1.

بالجملة الشارحة، أَو بالمرادف المفسَّر من مفردات[1]، وغيرها من القرائن السِّياقية، كما أشار أبو عبيدة إلى السِّياق اللُّغوي عند حديثه عن أحرف الزيادة في الكلام، وكيف تتمّ لسبب اقتضاء المقام، أو سياق الكلام كما ذكر فِي تفسير قوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾[2]، فإضافة (ألا) للتنبيه والتوكيد [3]، فالزيادة هنا؛ لأَنَّ الحال دعت للتأكيد والتقوية، وكذلك أشار ابن الأعرابي(ت231هـ)، إلى فكرة السِّياق وارتباطها بالدَّلالة مِنْ خِلال إشارته إلى السِّياق الاجتماعي بقوله: " كلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، فِي كلّ واحد منهما معنى ليس فِي صاحبه بما عرفناه فأُخبرنا به، رُبَّما غمض علينا فلم تلزم العرب جهله " [4].

وأَشار ابن هشام الأنصاري(ت761هـ) إلى اهتمام اللُّغويين بالسِّياق اللُّغوي، وغير اللُّغوي عندما قرّر أنّ واجب المُعرِب أَنْ يفهم معنى ما يعربه مفردًا أو مركّبًا[5]، فهو يؤكّد أنّ المعنى الصحيح يتّضح مِنْ خِلال السِّياق، وأَشار كذلك إلى التفات اللُّغويين إلى العناصر غير اللُّغوية من السِّياق فِي حديثه عن الحذف إذا دلّ عليه دليل أَو فُهِمَ من سياق الكلام كما فِي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾[6]، أي كدوران الذي يُغشى عليه من الموت.

ولعلّ حديث أَبي بكر بن الأَنباري الذي كان يحتكم فيه إلى السِّياق فِي شروحه وتفاسيره من أفضل ما قيل، ويتّضح مِنْ خِلال قوله: " إنَّ كلام العرب يُصحّح بعضه بعضًا، ويرتبط أَوَّله بآخِره، ولا يُعرف معنى الخطاب إلاَّ باستيفائه، واستكمال جميع حروفه " [7] وهذا يدلّ على أَنَّهِ أراد ارتباط الكلام مِنْ حيثُ نظمه وبناؤه وتلاؤمه وترتيبه حتّى يستكمل المعنى بتمام العبارة أو النصّ.

---

(1) ينظر: مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، د. أحمد عبد السيّد الضاوي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار بور سعيد للطباعة، الإسكندرية، ط1، 1979م: 21.

(2) سورة الأعراف، من الآية: (131).

(3) ينظر: مجاز القرآن ، أبو عبيدة، ج1/ 226.

(4) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السِّيوطي، ج1/399 –400.

(5) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال لدين بن هشام الأنصاري(ت761هـ)،تحقيق: محمد محي الدين، الناشر: دار الطلائع بيروت، (د،ط)، 2005م، 527.

(6) سورة الأحزاب، الآية: (19).

(7) الأضداد، فِي كلام العرب، أبو الطيب اللغوي، 20.

ومِمَّا يُؤكّد أنّ اللُّغويين العرب قدّ سبقوا الغربيين فِي معرفة السياق، والتنبّيه عليه حينما أَلفّوا كتبًا فيه كـ (كتاب حروف المعاني) للزجّاجي(ت337هـ)، وقبله سيبويه فِي (الكتاب)، حين قسّم الكلام على أساس المعنى بقوله: " وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل "[1]، ومُفاد ذلك أَنَّ الحرف ليس له معنى في نفسه، ولكن له معنى فِي غيره يظهر مِنْ خِلال السِّياق، كما أشار ابن يعيش(ت643هـ)، بقوله: " إنّ الحرف ما دلّ على معنى في غيره " [2]، وهذا يعني أَنَّ الكلمات والحروف ليس لها معنى خارج السِّياق وإِنَّما تكتسب معناها من السِّياق الذي توضع فيه.

كذلك تحدّث أَبو بكر بن السرَّاج(ت316هـ)، عن سياق الحال، أطلق عليه (الأخبار) وأراد بها الأَحداث الاجتماعية والتأريخية التي يُفسَّر الحدث اللُّغوي وفقًا لها مِنْ خِلال قوله: " يعرض لأهل اللُّغة أَنْ يُسمّوا، أو يصفوا الأشياء بأسباب وتكون لها أخبار، فيجوز أَنْ تبلغنا، ويجوز أَلاَّ تبلغنا فتكون كالأمثال التي لا تُعرف أسبابها كلّها " [3].

وكان ابن قيّم الجوزية(ت745هـ)، موفّقًا في توضيح أَهمية السِّياق حينما ذكر أَنَّهُ: " يُرشد إِلى تبيين المُجمل وتعيين المُحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوُّع الدَّلالة، بقوله: " وهو من أعظم القرائن الدالّة على مراعاة المتكلّم، فمَن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظراته فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾[4] كيف تجد سياقه يدلّ على أنّه الذليل الحقير "[5].

وفي أهمية السِّياق ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني " أَنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيثُ هي ألفاظ مجرّدة ولا من حيثُ هي كَلِمٌ مفردة، وأَنّ الفضيلة وخلافها فِي ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها " [6].

وفي رأيي أَنّ اهتمام عُلماء العرب بمبدأ وحدة النصّ فِي اشتراطهم يدل على استحضار النصّ القرآني جميعه عند تفسير بعضه، فمن أراد تفسير القرآن الكريم طلبه أوّلاً من القرآن فما

---

(1) الكتاب: لسيبويه، ج12/1.

(2) شرح المفصل، موفق الدين أبي البقاء بن يعيش(ت643هـ)، وضع هوامشه وفهارسه: أسيل يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 2001م، ج2/8.

(3) الاشتقاق، ابن السرّاج، تحقيق: د. محمد صالح التكريتي، الناشر: دار العودة للنشر، بغداد، ط1، 1973م، 33.

(4) سورة الدخان، الآية: (46).

(5) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، الناشر: المطبعة المنيرية، مصر، (د،ط/د،ت)، ج9/4.

(6) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، 46.

أُجمل منه فقد فُصِّل في موضع آخر، وما اختُصر منه في مكان فقد بُسط في موضع آخر منه[1].

ولم يقتصر الأمر عند العُلماء العرب على التنبّيه لأهميّة السِّياق اللفظي العام الذي هو أحد شقّي السِّياق العام بل تنبّهوا على أَهميّة معرفة سياق الحال، أو العناصر غير اللفظية فِي النصّ، الأمر الذي تمثّل عند المفسّرين والأُصوليين بمعرفة أسباب النزول، وهي الأحداث والوقائع الملابسة للنصّ القرآني، فبمعرفتها يزول الإشكال في فهم كثير من النصوص، ويتصل ذلك بمعرفة المكي والمدني والترتيب الزمني لنزول الآيات [2].

وكتاب سيبويه حافل بمسائل تحليلية تمّت في ضوء السِّياق، ففي تحليله نمط يقتضي تقدير فعل ليس من لفظ الاسم المنصوب، قال: " وذلك قولك: أتميميًا مرّةً وقيسيًا أخرى ؟ وإنّما هذا إذا رأيتَ رجلاً في حال تلوّن وتنقُّل، فقلت: أتميميًا مرّةً وقيسيًا أخرى ؟ فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلوّن وتنقّل، وليس يسأله مسترشدًا عن أمر جاهل به ليفهمه إيّاه ويخبره عنه ولكنّه وبّخه بذلك " [3].

ومثل هذا كثير عند النحاة العرب في مجال التنويه بدور السِّياق ورصدهم ظاهرة التحّول الدَّلالي بسبب تغيّر السِّياق، وقد سجّلوا صورًا من انتقال دلالة التركيب النحوي من مفهوم وُضِعت له في الأصل إلى مفهوم جديد آخر، وقد وضّح هذه النظرية المبرّد(ت285هـ)، بقوله: "قد يدخل المعنى في اللفظ ولا يدخل في نظيره، فمن ذلك قولهم: علم الله لأفعلنَّ، فإعرابه كإعراب رزق الله، أي: خبر ومعناه القسم، ومن ذلك قولهم: غفرَ الله لزيدٍ، لفظه لفظ الخبر ومعناه الدعاء، ومن ذلك أنّك تقول: تاللهِ لأفعلَنَّ فتُقسم على معنى التعجّب، ولا تدخل (التاء) على شيء من أسماء الله غير هذا الاسم ؛ لأنَّ المعنى الذي يُوجب التعجّب أنّما وقع ها هنا"[4]. هنا"[4].

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج175/2، والوجيز في علم الدلالة، علي مزبان، 69.

(2) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمودة، الناشر: دار الجميل للنشر والتوزيع، ط1، 2001م، 222.

(3) الكتاب، لسيبويه، ج1/ 172.

(4) ينظر المقتضب، للمبرد، ج325/2.

ـ السِّياق عند اللُّغويين المُحدثين:

صار البحث السِّياقي عند الدَّلاليين العرب المحدثين يعرض الإرث العربي فِي مجال المعنى والدَّلالة بطرائق غربية يعتمدون فيها على طريقة أجنبية بوجهة نظر عربية، وهذه الطريقة جيّدة ؛ لأنّها تساير الزمن وتعتزّ بالتراث، ومن أعلامها: الدكتور تمام حسّان، والدكتور نهاد الموسى، والدكتور مصطفى النحّاس، والدكتور محمد حماسة عبد اللطيف.

أَمَّا الدكتور تمام حسّان، فمن نتاجه اللُّغوي (الدَّلالة السِّياقية) فِي كتابه (منهج البحث فِي اللُّغة) إِذْ أشار فيه إِلى السِّياق عند حديثه عن المجاورة فِي السِّياق[1].ووسائل الربط فِي السِّياق[2]، أو ما يُسمّى بـ (الظواهر السِّياقية) كما أَشار إِلى أَفكار اللُّغويين العرب المشتّتة والمتفرّقة، فأراد أَنْ يجمعه تحت مفهوم التأصيل فِي القديم فأدخله من باب العلم الحديث.فقد تحدّث عن المجاورة فِي السِّياق، أي: دراسة الكلمة عن طريق المجاورة فِي السِّياق بوصفها نواة الدَّلالة، أَو لأنَّها ذات معنى مُعجمي، وفرّق بين المعنى المعجمي والمعنى الوظيفي[3] فربط بين الشكل والوظيفة، أمّا فِي كتابه (اللُّغة العربية معناها ومبناها) فقد أَشار فيه إِلى أَنَّ المعنى الدَّلالي يعتمد على المعنى المقالي فضلاً على المعنى المقامي، وهذا يوافق المنهج السِّياقي عند لغويينا القدامى، ومنهم عبد القاهر الجرجاني، كما بانَ لنا، والمعنى المقالي عند الدكتور تمام هو المعنى الوظيفي (الصوتي، والصرفي، والنحوي)، إِضافةً إِلى المعنى المعجمي، وهو معنى الكلمة المفردة[4]، وهذا يمثّل الإطار الداخلي للغة بمفهومها للدَّلالة السِّياقية كما يقصد المعنى الدَّلالي وضروري جدًا لفهمه[5].

أَمَّا الدكتور نهاد الموسى فقد تحدّث فِي كتابه(نظرية النحو العربي فِي ضوء مناهج النظر اللُّغوي الحديث) عن نظرة اللُّغويين الاجتماعيين إِلى اللُّغة مِنْ خِلال بُعد أَوسع إِذْ يوضِّحون فيه كيف تتفاعل اللُّغة مع محيطها، ويتمثّل هذا البعد الأَوسع عندهم فِي النظر إِلى العوامل الخارجية التي تؤثّر فِي استعمال اللُّغة، وأَبرزها التشكيل الاجتماعي فإنّ المتغيّرات

(1) ينظر: مناهج البحث في اللُّغة، تمام حسان، 163.

(2) ينظر: المصدر السابق،237.

(3) ينظر: المصدر نفسه، 163.

(4) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 339.

(5) ينظر: المصدر السابق: 345.

الاجتماعية كطبقة المتكلّم ومركزه، وطبيعة الموقف الذي يتكلّم فيه أَرسميٌ هو أَم غير ذلك ؟، وهل يُوثّر فِي استعمال اللُّغة تأثيرًا بالغا[1].

وتحدّث الدكتور محمد عبد اللطيف حماسة عن السِّياق فِي كتابه (النحو والدلالة) فِي مدخل لدراسة المعنى النحوي الدَّلالي فِي أَثناء حديثه عن المعنى وأثره في تحديد الدَّلالة التركيبية للنصّ أَو الجملة، وأَفرد لهذا الجانب فصلاً خاصًّا فِي كتابه المذكور آنفًا بعنوان (العنصر الدَّلالي فِي بعض الظواهر النحوية)، ووضَّح مادته فِي هذا الجانب مِنْ كتاب سيبويه، وكُتب عبد القاهر الجُرجاني، ويمكن لنا أَنْ نتعرّف السِّياق مِنْ حديثه عن المعنى فِي ثلاثة موضوعات رئيسة، هي:

- دور التنغيم والنبر فِي المعانى النحوية.
- شروط دلالية فِي بعض الوظائف النحوية.
- بعض الظواهر النحوية التي يقوم بها الجانب الدَّلالي بدور بارز[2].

وكذلك مِمَّن بحث فِي السِّياق فِي كُتبه، الدكتور محمد حسين الصغير، والدكتور أَحمد مختار عمر، والدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور فايز الداية، والدكتور إبراهيم السَّامرائي وغيرهم[3].

وقد قسّم المحدثون السِّياق إلى أَربعة أَنواع، هي:

السِّياق اللُّغوي، والسِّياق العاطفي، وسياق الموقف، والسِّياق الثقافي[4].

وسأتحدثُ فِيما يلي عَنْ أَنواع السِّياق التي وردت فِي كتاب (الزاهر) لأَبي بكر بن الأَنباري الذي يُعدُّ مجالاً للبحث والدراسة فِي هذه الأُطروحة، وذلك وفق المباحث الآتية:

---

(1) ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى، الناشر: مطبعة الزرقاء، الأردن، ط2، 1987 م، 65 –68

(2) ينظر: النحو والدَّلالة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، الناشر: دار غريب للنشر، القاهرة، ط2، 2005م: 36 –38.

(3) ينظر: تطور البحث الدلالي، محمد حسين الصغير، الناشر: دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1986: 65/ 70، وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر، 70 –76، ودلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 106 –121، وعلم الدلالة العربي، فايز الداية، 9، وتنمية اللغة العربية في العصر الحديث، د. إبراهيم السامرائي، القاهرة، ط1، 1973م: 56.

(4) ينظر: الوجيز في علم الدلالة، علي حسن مزبان، 70.

المبحثُ الأَوَّل
السِّياق اللُّغوي أو اللفظي

السِّياق اللُّغوي أَو اللفظي:

يُعدّ السِّياق اللُّغوي أَحد ركني نظرية السِّياق، وهو الجانب الذي يتّكئ على النظام التركيبي للغة من حيثُ تحديد معنى الوحدات اللُّغوية اعتمادًا على ما قبلها وما بعدها من ألفاظ، فهو النمط المعتمد على نسق الكلام فِي تحديد ماهية الأَلفاظ المراد دراستها[1].فالسِّياق اللُّغوي هو الوعاء النحوي أَو البلاغي الذي جَاءتْ فيه الكلمة أَو العبارة، فيُفهم معناها بالنظر إِلى الأسلوب الذي يكتنفها، مع مراعاة النظر إِلى ما قبلها، وما بعدها مِنْ الكلام، [2] فهو لا ينظر إِلى الكليات كوحدات منعزلة بل ينظر إِلى الكلمة مِنْ خِلال علاقتها بما قبلها وبما بعدها، فالسِّياق اللُّغوي يُعدّ خير معين فِي تحديد معاني الأَلفاظ، ولاسيّما التي تحمل أَكثر من دلالة معجمية.

ومِمَّا تقدَّم يمكن القول: إِنَّ السِّياق اللُّغوي هو مجموعة الأَصوات والكلمات والجمل التي تؤدّي مدلولاً محدّدًا، أو هو كلّ ما يحيط بالكلمة من ظروف وملابسات وعناصر لُغوية، وما مِنْ شكّ فِي أَنَّ مدلول أَيّ كلمة يتحدّد مِنْ خِلال السِّياق، ولا يمكن لأَحد أَنْ يزعم لنفسه معرفة كلمة ما من دون أَنْ يراها فِي سياق، فالسِّياق اللُّغوي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة لكلمات أخرى الأمر الذي يكسبها معنى خاصًّا محدّدًا، ويُشار فِي هذا الصدد إِلى أَنّ السِّياق اللُّغوي يوضّح كثيرًا من العلاقات الدَّلالية حيثُ يُستخدم مقياسًا لبيان الترادف، أَو الاشتراك، أَو العموم، أَو الخصوص، أَو الفروق، أَو نحو ذلك [3]..

إِنَّ المعنى الذي يُقدّمه المُعجم عادةً هو معنى متعدّد وعام، ويتّصف بالاحتمال، فِي حين أَنَّ المعنى الذي يُقدّمه السِّياق اللُّغوي هو معنى معيّن له حدود واضحة وسمات محدّدة غير قابلة للتعدّد أَو الاشتراك أَو التعميم، فمثلاً حين ترد لفظة مثل: (عين) فِي العربية، وهي من المُشترك اللفظي فِي سياقات لُغوية متعدّدة يتبيّن للدارس أَو السامع ما تحمله من معانٍ مُختلفة فِي كلّ سياق ترد فيه، حيثُ إِنَّ كلّ سياق آتٍ ترد فيه كلمة (عين) يُقدّم معنى واحدًا تتّجه إِليه الأَفهام وتترك ما سواه، فلا يقع أَيّ اشتراك فِي السِّياق، مثل قولنا: (عينُ الطفلِ تُؤلمه) العين هنا الباصرة، و(في الجبلِ عينٌ جارية)، فالعين هنا عين الماء، و(هذا عينٌ للعدوّ) فالعين هنا يعني

---

(1) ينظر: مناهج البحث فِي اللغة، تمام حسان، 199.

(2) ينظر: اللغة في الدرس البلاغي، عدنان عبد الكريم جمعة، الناشر: دار السيّاب للنشر، لندن، ط1، 2008 م، 69.

(3) ينظر: الوجيز في علم الدلالة، علي حسن مزبان، 70-71.

بها الجاسوس، و(العين الساحرة وسيلة لمعرفة الطارق) فالعين هُنا تدلّ على منظار حديث يُركّب فِي الباب، و(ذاك الرجل عينٌ من الأعيان) فالعين هنا السيّد فِي قومه[1].

فالنصّ يتكوّن من وحدات لُغوية، وأَنَّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أَو تحديد مضامينها إلاَّ بملاحظة الوحدات الأَقرب التي تقع مجاورةً لها سواء أَمتقدمة كانت عليها أَم متأخّرة، فمعرفة معنى الكلمة يتطلّب تحليل السِّياق الذي وردت فيه[2]، فيكون السِّياق اللُّغوي معتمدًا على البنية الداخلية للغة والاعتماد عليه فِي تحديد معنى المفردة من دون الرجوع إلى العوامل الخارجية المستمدة مِنْ المجتمع[3].

وتؤدي القرينة اللفظية التي يسمّيها الأُصوليون (القرينة المتّصلة) دورًا مميّزًا فِي سياق النصّ، وتحقق مهمةً ملحوظة في معنى السِّياق العام.

وقد تنبّه دارسو القرآن الكريم إلى أَهمية السِّياق اللُّغوي فِي تحديد معاني النصّ القرآني؛ إِذْ جعلوا للسِّياق دورًا حاسمًا فِي فهم النصوص، وتحديد معاني الأَلفاظ، وضبط دلالاتها[4].

وقد حفل كتاب: (الزاهر) بهذا النوع من السِّياق، من خلال مفاضلة أَبي بكر بن الأَنباري بين صيغة وصيغة أُخرى، من ذلك تعقيبه على تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ "[5]. " فإِنْ قيل: الله مستهزئ بكم، ليكون طبقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[6]، قلت: لأَنَّ (يستهزئ) يفيد حدوث الاستهزاء وتجدّده وقتًا بعد وقت"[7].

ويريد أَبو بكر بن الأَنباري بهذا القول إِنَّ الاسم يدلّ على الثبات، فِي حين أَنَّ الفعل يدل على الحدوث والتجدّد، وهو ما يتلاءم مع الاختيارين في الصيغة (هزأ)؛ لأَنَّ المنافقين ثابت فيهم الاستهزاء، واستهزاء الله بهم متكرّر ومتجدّد، وهو ما يتناسب فِي التعامل مع المنافقين؛ لأَنّهم لا يثبتون على حال ألبتّة، وفِي اختلاف الهيأة للصيغتين يُلحظ ملحظًا بلاغيًا تركيبيًا، أَلا وهو

---

(1) ينظر: الوجيز في علم الدلالة، علي حسن مزبان، 72.

(2) ينظر: علم الدلالة، دراسة تطبيقية في شرح ابن الأنباري للمفضليات، عبد الكريم محمد حسن جبل، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1997 م: 63

(3) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، 68 –69.

(4) ينظر: السياق القرآني والدلالة المعجمية، الدكتورة ماجدة صلاح حسن، القاهرة، ط1، 2007 م، 2.

(5) سورة البقرة، الآيتان: (14، 15).

(6) سورة البقرة، الآيتان: (14، 15).

(7) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج86/1.

الفصل بين الآية ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، والآية ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ وهو ما يعني الاستئناف، أَيّ: ترك العطف ؛ لأنّ الجملة الأولى من قول المنافقين، والجملة الثانية من قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وعلى الرغم من أَنَّ مناسبة القول واحدة، وهي الحديث عن سمة الاستهزاء، وهو ما يقرب الوصل دون الفصل، لكنّه فصل لوجود هذا الحاجز، وهو التمييز بين القولين، فلا يكون معنى الجملة الثَّانية منضويًا تحت قولهم: (قالوا إنّا معكم) هذا جانب، ومن جانب آخر في اختلاف الصيغتين لئلا يكون الاستهزاء الإلهي بهم فِي وقت استهزائهم فحسب، وذلك محال ؛لأَنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ مستهزئ بهم على كلّ حال ما داموا منافقين، وليس يكون استهزاؤه وقت قولهم فحسب، وإِنَّما يستمرّ ويتجدّد لتجدّد حالهم؛ لذا كان التعبير بصيغة الفعل أَكثر تناسبًا مع حال المُنافقين، وبصيغة الاسم أَكثر لصوقًا بردّ الله عليهم.

وفِي كلامه على تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[1]. إِذْ يظهر أَثر السِّياق الداخلي فِي توجيه المعنى القرآني، ذلك بالاستعانة بمعنى الصيغة نفسها من دون مُلاحظة أُخرى، وجعلها قرينة فِي تحديد الدَّلالة، قال أَبوبكر بن الأَنباري: " قلتُ: فما وزن (استكان)؟ قلتُ: استعمل من الكون، أَي: انتقل من كون إِلى كون كما قال: استحال إِذا انتقل من حال إِلى حال"[2]

والسِّياق فِي ذكر حال الكافرين الذين لم يألوا جهدًا فِي الابتعاد عن الإِيمان، ومحاربة الإِسلام؛ لذا فهو قد وصفهم بعدم الركون إِلى الباري –عزّ وجلّ–، وتبديل حالهم بما ظلّوا مصرّين معاندين لا ينفع معهم إِلاَّ الأَخذ بالعذاب.

وفِي التوجيه السابق نجد أَنَّ أَبا بكر بن الأَنباري يتّكئ على معنى الصيغة فِي توجيه النصّ القرآني من الداخل، وتلك سِمةٌ تكشف عن مقدرة هذا العالم الجليل فِي تنوُّع التوجيه للصيغة عنده بعيدًا عن التداخل المعنوي الذي قد يكون مظنّة الاشتراك الذي يجعل من الصيغة متجاذبة المعاني، لكنّ أَبا بكر نأى بها عن هذا التجاذب عندما راعى سياقها الداخلي بوصفه قرينة لتحديد دلالتها وإِنتاج معناها.

---

(1) سورة المؤمنون، من الآية: (76).

(2) كتاب الزاهر، الأنباري، ج166/2.

وأَحيانًا يستعين أَبوبكر الأَنباري بالسِّياق الكلي دون السِّياق الجزئي، أَي: الاستعانة بآيات أُخرى من القرآن الكريم من سورة أخرى لتفسير آية ما فِي نص ما، ويمكن الاصطلاح عليه بالتوثيق بمراعاة النظير.

وفي السِّياق الكُلِّي يؤدي المعنى الصرفي الذي يستلزم النظر فِي بنية الصيغة المفردة، وسياق النص الجزئي يستلزم البحث فِي العلاقات والتجاور، وهو ما يقرب إِلى المعنى النحوي منه إِلى المعنى الصرفي، إِذ اتّكأ أَبو بكر بن الأَنباري على سياق النصّ الكلي لإِفادة معنى ما، وإِنتاج دلالته، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾"[1]، وجّه لفظة (الفقراء) من حيثُ التعريف والتنكير، قائلاً: " فإِنْ قلت: لِمَ عرّف الفقراء؟ قلت: قصد بذلك أَنْ يريهُمْ أَنَّهم لشدّة افتقارهم إِليه هم جنس الفقراء وإِنْ كانت الخلائق كلّهم مفتقرين إِليه من النَّاس وغيرهم؛ لأَنَّ الفقر مِمَّا يتبع الضعف، وكُلّما كان الفقير أَضعف كان أَفقر، وقد شهد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الإِنسان بالضعف فِي قوله تعالى: ﴿وخُلِقَ الإِنسانُ ضعيفًا﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[3]. ولو ذُكّر لكان المعنى أَنتم بعض الفقراء"[4].

وواضح مِمَّا تقدَّم أَنَّ أَبا بكر يستدلّ ببعض الآيات من نصوص أُخرى لتأييد المعنى، وهذا المنهج يدلّ على أَنَّ أبا بكر قد وعى السِّياق الكُلِّي للقرآن الكريم، فينظر إِليه نظرة تُوحي بأَنَّهُ بناء واحد متكامل يفسّر بعضه بعضًا ؛ لذلك قال الزركشي: " فما أَجمل فِي مكان قد فُصِّل فِي موضع آخر، ومَا اختُصِرَ فِي مكان فإِنَّهُ قد بُسِطَ فِي آخر"[5].

وفِي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[6]. قال أَبو بكر بن الأَنباري: " (فهو كظيم) فهو مملوء مِنَ الغيظ على أَولاده ما يسوؤهم، فعيل بمعنى مفعول، بدليل قوله: (وهو مكظوم) من كظم السقاء إِذا شدّه على ملئه،

(1) سورة فاطر، الآية: (15).
(2) سورة النساء، من الآية: (22).
(3) سورة الروم، من الآية: (54).
(4) كتاب الزاهر، الأنباري، ج2/388.
(5) البرهان في علوم القرآن، ج2/192.
(6) سورة يوسف، من الآية: (84).

والكظم بفتح (الظاء): مخرج النفس، يُقال: أَخذه بأكظامه "[1]، وهنا يستدلّ أَبو بكر بن الأَنباري بالنصّ القرآني الكلي مِمَّا يُوحي أَنَّهُ يربط ربطًا تامًّا بين قنوات النصّ القرآني ليصل إِلى دلالة توافق السِّياق الذي عليه الشأن.

وقد يعمد أَبو بكر بن الأَنباري فِي توجيه السِّياق بحسب الفروق الدَّلالية بين الصيغ، وذلك ظاهر فِي توجيهاته القرآنية، وقدّ يصل عنده الأَمر إِلى أَنْ يُفرّق دلاليًا بين حركة الصيغة نفسها فِي مواضع ورودها فِي القرآن الكريم، ومِمَّا يُستدلّ به على ذلك ما فرّق به بين (الضُر، والضَرَّ) الوارد فِي آيتين فِي موضعين من القرآن الكريم، "فالضَرّ بالفتح الضرر فِي كلّ شيء، وبالضمّ الضرر فِي النفس من مرض وهزال"[2].

من هُنا كان التعبير القرآني دقيقًا فِي استعمالهما بما يُوافق معناهما، ففي سورة الأَنبياء فِي موضع الحديث عن النبي أَيوب –عليه السلام– ورد قوله: "الضُرّ بالرفع هو فِي معرض الحديث عن النبي أَيوب –عليه السلام– المبتلى بالمرض والهزال "[3]. حتَّى كاد يُهلك، قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[4]. فكانت لفظة (الضُرّ) أَوَّلى هُنا من لفظة (الضَرّ)؛ لِأَنَّ الأُولى تدلّ على البلاء الخاصّ؛ لذلك وردت مع بلاء النبي أَيوب –عليه السلام–، والثَّانية تدلّ على عموم الضرّ الذي يُقابل النفع؛ لذا وردت فِي موضع آخر يتناسب مع هذا المعنى، قال تعالى: ﴿لاَيَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَضَرًا﴾[5].

(1) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 246.
(2) المصدر السابق، ج248/2.
(3) المصدر نفسه، ج249/2.
(4) سورة الأنبياء، من الآية: (83).
(5) سورة الرعد، من الآية: (16).

المبحثُ الثَّاني
السِّياق الخَارجيِّ أَو سِياق الحال (المقام)

السِّياق الخَارجيّ أَو سِياق الحال:

ويُسمَّى (السِّياق المقامي) أَو (السِّياق الحالي)، أَو (الماجريات) [1]، وأَطلق عليه الدكتور كمال بشر (المسرح اللُّغوي) أَو (السِّياق الخارج عن النصّ) [2]، أَو (السِّياق العام) [3] أَو (سِياق المقام) [4]، أَو (السِّياق الاجتماعي)[5]، ويُقصد به الظروف المُتعلّقة بالمقام الذي تُنطق فيه الكلمة، أَو هو مجموعة الأَحداث المُحيطة بالنصّ التي تتحكّم به وتوجّهه حيثُ تتطلب الأَسباب والمقتضيات؛ لذا سُمّي بالمقام الذي يوجّه النصّ ويكون سببًا فِي إنتاجه، ومنها: أَسباب النزول، والعادات والتقاليد، والثقافة، والمتلقّي، والزمان والمكان، والأَحداث التأريخية، وغيرها من الأُمور التي تُؤثّر فِي النصّ الذي لا يُولد إلاَّ فِي إثر مقدّمات متوالية، وعقب سلسلة مِنَ التمهيد؛ لأَنَّ معناه لا يتشكّل إلاَّ مِنْ خِلال السلسلة التي تجعله كائنًا خارجيًا عن ذاته (البناء اللُّغوي فحسب) ليحمل سِمات ما يتأثّر به، ويُشكّل خِلاله، ويُؤثّر فِي إنتاج دلالته[6].

ويتكوّن سياق الحال أَو سياق الموقف من عناصر ثلاثة، هي:

- شخصية المُتكلّم والسامع ومَنْ يَشهد الحدث الكلامي، ودور المشاهد فِي المراقبة أَو المشاهدة.
- العوامل والأَوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة المصاحبة للحدث اللُّغوي.
- أَثر الحدث اللُّغوي فِي المشاركين كالإقناع، أَو التأثير، أَو الفرح أَوغيرها [7].

وقد أطلق عليه الدكتور تمام حسّان (المقام)، حيثُ يرى أَنَّ سِياق المقام يضمّ المتكلّم والسامع والظروف والعلاقات الاجتماعية والأَحداث الواردة فِي الماضي والحاضر والتراث والعادات والمعتقدات والتقاليد التي داب عليها الناس[8].

---

(1) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، دكتورة عواطف كنوش، 760.

(2) ينظر: دراسات في علم اللغة، د. كمال محمد بشر، الناشر: مطبعة دار المعارف، مصر، ط2، 1972م، ج165/2.

(3) ينظر: علم الأسلوب، الدكتور صلاح فضل، الناشر: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985م، 210. والبلاغة والأسلوبية، الدكتور محمد عبد المطلب، الناشر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م، 230 ـ 234 .

(4) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 123 –124.

(5) ينظر: دراسات في علم اللغة النفسي، الدكتور عبده بدوي، الناشر: مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1984م: 120.

(6) ينظر: مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1977م: 51.

(7) ينظر: السياق والنص، فطومة حمادي، الناشر: دار بسكرة للطباعة، الجزائر، ط1، 2008 م: 8.

(8) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 352.

وسِياق الموقف رصده القُدماء مِنْ خِلال العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام وأَشار إليه اللُّغويون القُدماء، وعبّر عنه البلاغيون العرب بمصطلح (المقام) الذي أَخذه الدكتور تمّام حسّان من دون أَنْ ينسبه إِلى القُدماء وأَطلقه على هذا النوع من السِّياق، وكانت مقولة البلاغيين المشهورة: (لكلّ مقام مقال)، ويُقصد به سِياق الموقف، أَي الموقف الخارجي الذي يمكن أَنْ تقع فيه الكلمة، ويُفرض عليها دلالة مُحدّدة، مثل استعمال كلمة (يرحم) فِي مقام تشميت العاطس (يرحمك الله) والبدء بالفعل فِي هذه الجملة، وفِي مقام الترحّم بعد الموت (الله يرحمه) والبدء بالاسم، فالأُولى تعني الرحمة فِي الدنيا، والثَّانية تعني طلب الرحمة فِي الآخرة، والذي دلّ على ذلك هو سِياق الموقف نفسه، وفي سِياق الموقف تظهر الصلة بين الكلام والمقام الذي قيل فيه واضحةً.

والتأريخ يُحدّثنا عن قضية التحكيم المشهورة من قول الخوارج: (لا حكمَ إِلاَّ لله) فجاء جواب سيدنا علي بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بقوله: (كلمة حقّ يُراد بها باطل)، لقد أراد سيّدنا علي بذلك أَنَّ هتاف الخوارج كلام ديني صحيح لكنّ المقام هو إِلزام سياسي عن طريق الدين، فالمقال هنا مِنَ الدين، والمقام من السياسة، وكان ينبغي للناس بعد أَنْ ردّ عليّ ـ رضي الله عنه ـ بكلمته المشهورة أَنْ يفهموا المقال فِي ضوء المقام[1].

وكذلك ما ورد على لسان الأَحنف بن قيس ـ رضي الله عنه ـ حين سأله سيدنا معاوية ابن أَبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ فِي أَخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد مع أَنّه لم يكن محمود السيرة فِي النَّاس، فقد قال الأَحنف قولته المشهورة: "أَخافُ الله أَنْ كذبت، وأَخافكم أَن صدقت"[2]. صدقت"[2]. فكانت كنايته أَبلغ من التصريح وأَقدر على أَداء المعنى مِنَ التوضيح، وبهذا أَقول: إِنَّ مراعاة المقام تجعل المتكلّم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفًا أَو تأدُّبًا، بل يضطرّ المتكلّم إِلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إِلى التلميح دون التصريح.

وكلَّما كان الكلام متفقًا مع ظروف المقام كان مقبولاً ومستحسنًا فِي ظرفه وحينه، وأَنَّ ما يُؤدّيه المقام للمعنى من تحديد، ومناسبة ظرفية يتطلّب من الباحث الإِلمام بالمعطيات الاجتماعية

---

(1) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 328. والوجيز في علم الدَّلالة، علي حسن مزبان، 73/72.

(2) وفيات الأَعيان، ابن خلّكان، تحقيق: الدكتور إحسان عبّاس، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1998م، ج500/2.

التـي يجـري الكـلام فيهـا؛ ولـذلك يُمهّـد عـادة للآثـار الأَدبيـة بدراسـة البيئـة الزمانيـة والمكانيـة والملابسات الشخصية لما لها من أَهميّة في معرفة المعنى المقصود فِي تلك الأَثناء[1].

وقد عالج أَبو بكر بن الأَنباري مسائل كثيرة من هذا النوع من السّياق، ومن أَمثلة ذلك ما عقّب به على تفسير قوله تعالى بقوله: "قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾[2]، وقال فِي موضع آخر: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[3]. فالموضوع الذي قال فيه: ﴿إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾ خرّج الكلام فيه على الظاهر؛ لأَنَّهُ إِخبار عن موسى وهارون، والموضع الذي قال فيه: " إِنَّا رسولُ ربّ العالمين " قال يونس وأبو عبيدة: وحّد الرسول لأَنَّهُ فِي معنى الرسالة، كأَنّه قال: " إِنَّا رسالة ربّ العالمين"... وقال الفرّاء: إِنَّما وحّدَ فقال: إِنَّا رسولُ ربّ العالمين ؛ لأَنَّهُ اكتفى بالرسول من الرسولين"[4].

ويلحظُ اختلاف المقام فِي الآيتين فكان التعبير القرآني باختلاف المقال مِنْ خِلال سِياق الموقف أَو سِياق الحال.

أَمَّا عن التقاليد والأَعراف عند النَّاس واختلافها فِي المجتمعات فيتّخذ السّياق المقامي موقفًا معروفًا، فقد ذكر أَبو بكر بن الأَنباري " روى أَبو عبيدة عن عبّاد بن منصور أَنَّهُ قال: الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر، والوضوء بعد الطعام ينفي اللمم إِلاَّ أَنَّ الوضوء للصلاة لا يُجزى عنه إِلاَّ ما أَجمع المسلمون عليه مِنَ المضمضة والاستنشاق وغير ذلك، فالوُضوء بضمّ (الواو)، وبفتحها اسم للماء الذي يُتوضّأ به، وكذلك السُحور بضمّ (السين)، والسَحور بفتح (السين) اسم الذي يُتسحَّر به، والوَقود اسم الحطب، والوُقود التلهُّب، اراد اللهب، قال أَبو بكر: وأَجاز النحويون أَنْ يكون الوَضوء والسَّحور والوَقود بالفتح مصادر، والأَوَّل هو الذي عليه أَهل اللُّغة وهو المعروف عند النَّاس "[5].

---

(1) ينظر: الوجيز في علم الدَّلالة، علي حسن مزبان، ،73.

(2) سورة طه، من الآية: (47).

(3) سورة الشعراء، من الآية: (16).

(4) كتاب الزاهر، ج1/127 –128.

(5) المصدر السابق، ج1/ 133 –134.

وبناء على ذلك يكشف سِياق الحال أَثره فِي الاستعمال، فعلى الرغم من اعتراف بعض النُحاة واللُّغويين بأَنَّ الوَقود والسَّحور والوَضوء بالفتح هي مصادر، فإِنّ العرف العام عند اللُّغويين هي أَسماء وليست مصادر.

وفِي مسألة التفريق بين حال (المسكين والفقير)، يؤدي سِياق الحال دورًا مهمّا في التفريق بينهما، فقد ذكر أبو بكر بن الأنباري أَنَّهُ "يُروى عن الأَصمعي أَنَّهُ كان يقول: المسكين أَحسن حالاً من الفقير، وبذلك كان أَبو جعفر أحمد بن عبيد يقول: وهو القول الصحيح عندنا؛ لأَنَّ الله تعالى قال: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[1] فأخبر أَنَّ للمساكين سفينة من سفن البحر وهي تساوي جملة من المال، وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[2]، فهذه الحال التي أَخبر بها –تبارك وتعالى– عن الفقراء هي دون الحال التي أَخبر بها عن المساكين. وقول الله –عزّ وجل–: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[3]، معناه أَو مسكينًا لصق بالتراب من شدّة الفقر فلمّا نعته الله –عزّ وجلّ– بهذا النعت علمنا أَنَّهُ ليس كلّ مسكين على هذه الصفة، أَلا ترى أَنَّك إِذا قلتَ: اشتريتُ ثوبًا ذا علم، نعتَهُ بهذا النعت؛ لأَنَّهُ ليس كلّ ثوب له علم فكذلك المسكين الأَغلب عليه أَنْ يكون له شيء، فلمَّا كان هذا المسكين مُخالفًا سائر المساكين بيَّن الله نعته"[4].

وكذلك فِي مُلاءمة المقام للمقال يبرز دور سِياق الحال واضحًا فِي اتّخاذ الصيغة المناسبة إِلى الحدث، ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " وقولهم: (قد شمّتُ العاطسَ)، قد دعوت له، فقلتُ: يرحمك الله، وفيه لغتان معناهما كلتاهما الدعاء: شمّت العاطس وسمّته ب(الشين، والسين)، و(الشين) أَعلى وأَفصح، جَاء فِي الحديث: أَنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– عطس

(1) سورة الكهف، من الآية: (79).
(2) سورة البقرة، الآية: (173).
(3) سورة البلد، من الآية: (16).
(4) كتاب الزاهر، ج1/225 –226.

عنده رجلان فشمّتَ أَحدهما ولم يُشمّت الآخر، فسُئلَ عن ذلك، فقال: إِنَّ هذا حَمِدَ الله فشمّته وإِنَّ هذا لم يحمد الله فلم أُشمّته، ويدلّ على هذا أَنَّ التشميت معناه الدعاء " [1].

ومِنْ خِلال هذا المثال يُلْحظُ أَنَّ التشميت لا يتمّ إِلاَّ إِذا قال العاطس (الحمد لله)، ليأتي المقال له بقولك: (يرحمك الله)، وإِنْ لم يقل: (الحمدُ لله)، فليس هناك أَيّ تشميت للعاطس، وبهذا يتضح سِياق الحال؛ لأَنَّهُ لا يتمّ المقال إِلاَّ من وجود الحال أَو المقام.

ومن أمثلة سياق الحال مُناسبة النصّ أَو أَسباب النزول، ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾[2]. حيثُ إِنَّ فِي هذا النصّ القرآني مناسبة النصّ الذي نزل ليوضّح حال المُنافقين الذين كانوا يقترحون عليه آيات أخرى بخلاف ما يُوحى إليه تعنّتا لا استرشادًا، فقد كانوا يتهاونون بالقرآن الكريم ممّا كان يضيق به صدر رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم– فكان يتحرّج من إلقاء ما يُوحى إليه عليهم لئلا يسخروا منه فحرّك الله عنه وهيّأه لأداء الرسالة، وطرح المبالاة بردّهم واستهزائهم، ولمَّا كانت أَخلاق الرسول –صلّى الله عليه وآله وسلّم– عالية بنصّ القرآن ثُمَّ هو مبعوث للأُمّة كافّة؛ لذا كان فِي اتّساع صدره للنَّاس مظنّة لكسبهم وتأليف قلوبهم، ومِنْ هُنا جاءت صيغة (ضائق) بدلاً من (ضيّق)؛ لأنّ الأُولى اسم فاعل فهي تدلّ على الحدوث والتجدّد، والأُخرى صفة مشبّهة تدلّ على الثبات والدوام[3]. ومِنْ هُنا يلحظُ أَنَّ الله –عزّ وجلّ– وصف صدر الرسول –عليه الصلاة والسلام– بأَنَّهُ يضيق بلحظةٍ ما، وذلك فِي أَثناء ما تحصل السخرية والاستهانة بآيات الله تعالى، ولكن ما أَنْ تنقضي تلك اللحظة حتَّى يثب صدر رسول الله –عليه الصلاة والسلام– ويرجع أرحب صدرًا وأوسع خلقًا.

وفِي موضع آخر يبيّن أبو بكر الأنباري عدول الصيغة من الصفة المشبّهة إِلى اسم الفاعل، بقوله: " فإنّ قلت لم عدل عن ضيّق إِلى ضائق ؟ قلت: ليدلّ على أَنَّه ضيقٌ عارضٌ غير ثابت؛ لأَنَّ رسُول الله –عليه الصلاة والسلام– كان أَفسح النَّاس صدرا، ومثله قولك: زيدٌ سيّدٌ وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرّين، وإِذَا أَردت الحدوث قلت: سائد وجائد "[4].

---

(1) المصدر السابق، ج171/2.

(2) سورة هود، الآية: (12).

(3) ينظر: كتاب الزاهر، الأنباري، ج351/1.

(4) المصدر السابق، ج112/2.

ومِمَّا تقدَّم فإنَّهُ إذا لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة؛ إذ كلّ عدول عن صيغة إلى أُخرى لا بُدّ أَنْ يصحبه عدول من دلالة إلى دلالة أُخرى إلاَّ إذَا كان لُغة.

كما يمكن القول إنَّ هُناك دواعيَ نحوية اقتضت اسم الفاعل من دون الصفة المشبّهة؛ بأَنَّ المراد من الآية السابقة ـ والله أعلم ـ أَنْ يتعدّى الضيق إلى الحدث، وهو ما يُطابق الواقع آنذاك فِي حصول الضيق، لذا القول بـ (ضائقٌ به) أكثر مُلاءمة للحدث من القول ضيق صدرك؛ لأَنَّ ترك التعدية يحجب الحدث الذي ذكره، ومِنْ هُنا جَاء استحباب النص لـ (ضائق) لتحقيق التعدية مِنْ دون (ضيّق) الذي يضيع هذه التعدية، وهو ما يوافق نحويًا سمة الصيغتين؛ لأَنَّ اسم الفاعل يُشتقّ مِنَ الفعل المُتعدي، والصفة المشبهة تُشتقّ من الفعل اللازم.

ومِنْ خِلال هذه الأَمثلة القرآنية المذكورة يمكن استنتاج أَنَّ القول الذي ينسب (نظرية سياق الحال) إلى عُلماء غربيين ليس صحيحا بل سبقه عُلماء العربية بأَكثر مِنْ أَلف سنة كما هو الحال عند أَبي بكر بن الأَنباري، فقد ذكر بعض المحدثين أَنَّ "عالم المجتمعات البشرية (مالينوفسكي) أَوَّل عالم غربي توصّل إلى سِياق الحال معتمدًا عليه فِي معظم أَبحاثه، ثُمّ جاء بعده العالم الإنجليزي (فيرث) مستفيدًا مِمَّا توصّل إليه سابقه فِي وضع النظرية السِّياقية التي ترجمها الباحثون إلى (سياق الحال والمقام والموقف والسياق الثقافي) " [1]، والغربيون وضعوا له (النظرية) بمعنى أنهم وضعوا صيغة المصطلح فقط ،أَمَّا من حيثُ النشأة فهي عربية خالصة، نشأت لتفسير آي القرآن الكريم، وهذا ما أَجده عند الذين جاؤوا بعد أَبي بكر بن الأَنباري، أَمثال: ابن جِنّي، والزمخشري والزركشي، وابن قيم الجوزية، وغيرهم من عُلماء العربية –رحمهم الله جميعًا–.

(1) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، الناشر: دار النمر للطباعة، القاهرة، ط1، 1991م، 320.

المبحثُ الثَّالث
السِّيـــــاق الثَّقافِـــــي

السِّياق الثَّقافي:

وهي القيم الثقافية أو الاجتماعية التي تحيط بالكلمة؛ إذْ تأخذ الكلمة ضمنه دلالة معيّنة، وقد أَشار عُلماء اللُّغة إلى وجود مرجعية ثقافية عند أَهل اللُّغة الواحدة لكي يتمَّ التواصل والإبلاغ، وهذا يعني أَنَّ نوع الثقافة لها دور مُهمّ فِي تحديد المدلول.فكلمة (عقيلته) تُعدّ فِي العربية المُعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميّزة بالنسبة إلى كلمة (زوجته) بالقياس إلى كلمة (امرأته)، وبالقياس إلى كلمة (مدام) أَو (حرمة)، في حين أَنَّ الرجل العادي قد يستعمل كلمة (مرة) بالتخفيف للدَّلالة على زوجته[1].

وكذلك كلمة (جذر) فهذه الكلمة تأخذ عدّة معانٍ بحسب الفهم الثقافي أّو الاجتماعي للكلمة، نجد أَنَّ (جذر) لها معنى عند المزارع، ومعنى ثانٍ عند المعجميّ أو اللُّغوي إذ أصل المشتقات، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات كأنْ يكون جذرًا تربيعيًا أو تكعيبيًا، والذي يفرّق بين هذه المعاني الثَّلاثة هو السِّياق الثَّقافي أَو الاجتماعي.

إنَّ السِّياق الثَّقافي هو الذي فرض على كلمة(عامل) أَنْ تدلّ في العصر الجاهلي على كلّ مَنْ يعمل بيديه، والجمع لها(عُمّال، وعَمَلَة)، ثُمَّ صارت فِي العصر الإسلامي تدلّ على الوالي المعيَّن من الخليفة على مصر من الأَمصار، ثُمَّ فِي العصر العباسي، ومع نشأة علم الكلام أَصبحت تعني الدافع أَو السبب، وجمعها (عوامل)، ثُمَّ أَصبحت فِي العصر الحديث تحمل كلّ المدلولات، ولكن إذا جُمِعت على (عُمّال) انصرف الذهن إلى مَنْ يعملون بأَيديهم، وإذا جُمِعت على (عاملون) انصرفت الدَّلالة إلى موظفي الدولة، وإذا جُمعت على (عوامل) انصرف الذهن إلى الأَسباب والدوافع، وهكذا يُصبح للمحيط الثقافي أثر فِي تحديد مدلول الكلمة[2].

وفِي الحقيقة أَنَّ القدماء لم يهتمّوا بهذا النوع من السِّياق بقدر اهتمامهم بالأَنواع الأُخرى مثل سِياق الموقف أَو الحال أَو السِّياق اللُّغوي أَو اللفظي، ومِنْ أَمثلة السِّياق الثَّقافي الذي اهتمّ به أَبو بكر بن الأَنباري، ما ذكره فِي النداء على (الباقلاء)[3]، قوله: " وقولهم في النداء على الباقلاء: يا باقلاء حارًا، قال أَبو بكر: فيه وجهان: يا باقلاء حارًا، ويا باقلاء حارٌ، فمَنْ قال: يا باقلاء حارًا، أَراد: يا هؤلاء اشتروا باقلاء حارًا، فحذف الفعل لدلالة المعنى عليه، كما

---

(1) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، 318، والدَّلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، 117.

(2) ينظر: الوجيز في علم الدلالة، علي حسن مزبان، 74.

(3) الباقلاء: نوع من النبات، وقد يوصف به بعض الناس، ينظر: الصحاح الجوهري، مادة(بقل).

قال الشاعر:

قريبُ الخطو يحسِبُ مَن رآني ولستُ مُقيَّدًا أنّي بقيدِ[1].

أَراد: أنَّي مُقيَّدٍ بقيدٍ، فحذف الفعل لدلالة المعنى عليه.وأَنشد الفرّاء:

أتيتُ بعبد اللهِ والقدّ مُوثَقًا فهلاّ سعيدًا ذا الخيانةِ والغدرِ[2].

ومَنْ قال: يا باقلاء حارٌّ، أَراد: يا هؤلاءِ هذا باقلاء حارٌّ فحذف (هذا) لدلالة المعنى عليه كما قال الشاعر:

أأنتَ الهلاليُّ الذي كنتَ مرّةً سمعنا بهِ والأرحبيُّ المُعلَّفُ[3].

والشاهد فِي البيت: أَراد: وهذا الأَرحبيُّ"[4].

ومِنْ هذا المثال يتبيّن لنا أَنَّ ثقافة المُتكلم اللُّغوية، وتحصيله المعرفي هي التي تحمله على النصب وحذف الفعل، أَو الرفع وحذف المبتدأ.

وكذلك فِي موضع آخر يقول أَبو بكر الأَنباري: " وقولهم فِي الصياح بصاحب الباقلاء (أَيضًا): يا باقلاء حارّ، قال أَبو بكر: فيه خمسة أَوجه: أحدهنَّ أَنْ تقول: يا باقلاء حارٌّ، فترفع الباقلاء؛ لأَنَّهُ منادى مفرد وترفع الحارّ على تحديد النداء، كأَنَّك قلت: يا باقلاء يا حارٌّ، والنداء فِي اللفظ واقع على (الباقلاء)، وهو فِي الحقيقة لصاحبه، كما تقول العرب: قد رَبِحت دراهمُكَ ودنانيرُك وقد خَسِرتْ تجارتُكَ، معناه: قد خسرَ أَصحاب التجارة، فَلَمَّا عُرِفَ المعنى جاز الاختصار، قال الله –عزّ وجلّ–: ﴿فما رَبِحتْ تجارتُهم﴾[5]. ومنه قول العرب: ليلٌ نائم، وماءٌ دافق، وسرّكاتم، معناه: ليلٌ يُنامُ فيه، وماء مدفوق، وسرّ مكتوم، فلمّا عُرفَ المعنى صُرِفَ إِلى اللفظ، والوجه الثَّاني: أَنْ تقول: يا باقلاءَ حارًّا، فتنصبهما على مثل قول العرب: يا رجلاً ظريفًا أَقبلْ، وكلّ نكرة منصوبة إِذا نُوديت نُصبت هي ونعتها؛ لأَنَّهُما يُشبّهان بالمضاف، والوجه الثَّالث أَنْ تقول: يا باقلاءُ الحارُّ، فترفع الباقلاء ؛ لأَنّهُ مُنادى مفرد والحارّ نعته، وذلك أَنَّ النكرة إِذا

---

(1) ينظر: المعمرون والوصايا، أبو حاتم السجستاني، تحقيق: عبد المنعم عامر، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1961م، 72، والبيت من الوافر، للشاعر أبي الطمحان القيني.

(2) ينظر: الأَمالي الشجرية، ج353/1، والبيت من الطويل، وبلا نسبة في الأشموني، ج4/ 51.

(3) ينظر: ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: الميمني، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1951م، 233، والبيت من الطويل.

(4) كتاب الزاهر، الأنباري، ج10/2.

(5) سورة البقرة، من الآية: (16).

نُوديت صارت معرفة، أَجاز الفرّاء: يا فاسقُ الخبيثُ أَقْبِلْ، والوجه الرابع: أَنْ تقول: يا باقلاءُ الحارَّ أَقبِلْ، فترفع الباقلاء لأَنَّهُ مُنادى مفرد، وتنصب الحارّ لأَنَّهُ لا يحسن فيه ياء، والوجه الخامس أَنْ تقول: يا باقلاءَ الحارَّ فتنصبهما على أَنَّهما اسم واحد أُلزما الفتح، أَجاز الفرّاء: يا زيدَ الظريفَ أَقبلْ، قال: جعلتهما العرب بمنزلة الحرف الواحد "[1].

ومِنْ خِلال مَا سبق يتضح لنا دور السِّياق الثَّقافي فِي اختيار الوجه الإعرابي والاستعمال اللُّغوي والتأثير الاجتماعي فِي اختيار الأَسلوب، ويستشهد أَبوبكر بن الأَنباري بقول الفرّاء فِي اختيار الأسلوب؛ لأَنَّ ثقافته كوفية، فهو يعرض هذه الأَقوال لكنّه لا يختارها كُلّها ولعلّه يرجّح بحسب ثقافته ما حسّنه الفرّاء وقال هذا كلام العرب.

وفِي موضع آخر يذكر أَبو بكر بن الأَنباري مترادفات الخمرة التي وردت عن العرب لكنه يذكر معنى أَو مصطلحا دون آخر كلٌّ بحسب ثقافته واستعماله الاجتماعي له، وهذا يتبيّن مِنْ قوله: " وقولهم: (فلانٌ أَحمق)، معناه مُتغيّر العقل، أُخِذَ مِنَ الحمق، والحمق عند العرب الخمر، قال أَبو جعفر أَحمد بن عبيد: قال أَكثم بن صيفي فِي وصيَّته لأَولاده: لا تجالسوا السفهاء على الحمق، يريد: على الخمر، يُقال: قد حمّق الرجلُ إذا شرب الخمر" [2].

ونقل عن ابن السكيت (ت244هـ)، أَربعةً وثلاثينَ اسمًا للخمر ولم يذكر الإثم، فقال أَبو بكر بن الأَنباري: "وقال غير يعقوب: الإثم مِنْ أَسماء الخمر، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾[3]. قال: فالإثم هو الخمر، واحتجّ بقول الشاعر:

شربتُ الإثمَ حتّى ضلَّ عقلي كذاكَ الإثمُ يُذهِبُ بالعقولِ[4].

والشاهد فِي هذا البيت قول الشاعر(الإثمُ)، ويراد به الخمر، ثمّ أَخذ يُفصّل القول فِي أَسماء الخمرة ومعانيها الأَربعة والثَّلاثين التي ذكرها عن ابن السكيّت[5].

---

(1) كتاب الزاهر، الأنباري، ج2/13 -14.

(2) المصدر السابق، ج2/24.

(3) سورة الأعراف، من الآية: (33).

(4) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، القاهرة، 1959م، ج4/87. والبيت من الوافر، ولم ينسب البيت إلى قائل.

(5) ينظر: كتاب الزاهر، الأنباؤي، ج2/25.

ومِنْ خِلال هذا النصّ يتضح أَنَّ السِّياق الثَّقافي هو الذي جعل الشاعر يذكر لفظ (الإثم) على أَنَّه اسم (للخمرة) ويستعمله فِي شعره؛ لأَنَّهُ تعارف عليه فِي مجتمعه، فِي حين أَنَّ الذي قبله اختار كلمة (الحمق) لتكون دالّة على الخمرة؛ لأَنَّهُ أَلفها فِي مجتمعه وتثقّف بها.

وكذلك مِنَ الأَمثلة التي وردت عند أَبي بكر بن الأَنباري للدَّلالة على السِّياق الثَّقافي قوله: " وقولهم: عبد الصَمَد: الصَمَد اسم مِنْ أَسماء الله ـ عزّ وجلّ ـ، وفِي تفسيره ثلاثة أَقوال: قال قوم: الصَمَد الذي لا يُطْعَمُ، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وهو يُطْعِمَ ولا يُطْعَمُ﴾[1]...وقال السُديّ: الصَمَد الذي لا جوفَ لَهُ، وقال أَهل اللُّغة: لا اختلافَ بينهم فِي ذلك، الصمد عند العرب السيّد الذي ليس فوقه أَحد الذي يصمد إِليه النَّاس فِي حوائجهم وأُمورهم"[2].

فقد ورد فِي النصّ السَّابق ثلاثة معانٍ لكلمة(الصَمّد)، وتبقى مسألة اختيار المعنى الواحد مِنْ هذه المعاني متعلّقة بثقافة المتكلّم، وثقافة مجتمعه الذي يستعمل هذا المعنى؛ لذلك نجد أَنَّ كل مفسّر يرجّح معنى واحدًا من هذه المعاني بحسب ثقافته، ويُعوَّل عليه فِي تفسيره للشيء الذي يريد توصيله إِلى المتلقي أَو السامع.

(1) سورة الأنعام، من الآية: (14).

(2) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 179.

المبحـــــثُ الرَّابـــع

السِّياق العَاطِفّي

السِّياق العَاطفي:

هو السِّياق الذي يحدّد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية، وبعضهم يسمّيه(السِّياق الانفعالي)[1]، ويُقصد به مجموعة المشاعر والانفعالات التي تحملها معاني الأَلفاظ، وتتفاوت كثرةً وقلّةً فِي هذه الأَلفاظ، بمعنى أَنَّ ما يحمله الفعل (يكره) مِنْ مشاعر النفور غير ما يحمله الفعل(يُبغض)، على الرغم مِنْ اشتراكهما فِي أَصل المعنى، حيثُ إِنَّ السامع أَو المتلقي يلمس شعورًا بالنفور، وكراهية أَشدّ فِي الفعل(يُبغض)، منه فِي الفعل (يكره)، وكذلك الفعل(يقتل)، يختلف فيمَا يحمله مِنْ مشاعر النفور عن الفعل (يغتال)، فلا شكَّ أَنَّ الاغتيال أَكثر تعبيرًا عن القسوة والشدّة مِنْ القتل، وهكذا ينطبق على بقية الأَفعال[2].

ويرى بعض اللُّغويين أَنَّ السِّياق العاطفي أَو الانفعالي هو الذي يحدّد دلالة الصيغة أَو التركيب مِنْ معيار قوّة أَو ضعف الانفعال، فعلى الرغم مِنْ اشتراك وحدتين لُغويتين فِي أَصل المعنى إِلاَّ أَنَّ دلالتهما تختلف، مثل ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين: (اغتال) و(قتلَ)، إِضافةً إِلى أَنَّ القيم الاجتماعية التي تحدّدها الكلمتان، فهناك إِشارة إِلى درجة العاطفة والانفعال التي تُصاحب الفعل، فإِذا كان الأَوَّل يدلّ على أَنَّ المُغتال ذو مكانة عالية، وأَنَّ الاغتيال كان لدوافع سياسية أَو نحوها فإِنَّ الفعل الثَّاني يحمل دلالات مختلفة عن الأَوَّل، وهي دلالات تشير إِلى أَنَّ القتل قد يكون بوحشية، وأَنَّ آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال فضلاً على أَنَّ المقتول لا يتمتّع بمكانة اجتماعية عالية كالتي يتمتع بها الأَوَّل[3].

وقد ذكر بعض الباحثين كلامًا آخر على السِّياق العَاطفي بقوله: " هو ذلك الموقف الذي يحدّد درجة القوّة والضعف فِي الانفعال مِمَّا يقتضي تأكيدًا أَو مبالغةً أَو اعتدالاً، وهذا النوع من السِّياق يُبيّن لنا أَنَّ وظيفة اللُّغة تتعدّى الحدود الموضوعية والمعاني التجريدية إِلى التعبير عن العواطف والانفعالات والتأثير فِي السلوك الإِنساني، وقد عبّر(فندريس) عن السِّياق العاطفي وما يحيط الكلمة مِنْ معانٍ عاطفية بهيجة أَو حزينة، مرضية أَو كريهة، معجبة أَو مضحكة... فإِدراكنا خاضع لانطباعات فجائية منبعثة مِنْ الاسم الذي تدلّ عليه؛ لذلك يُميَّز فِي مجال علم

---

(1) ينظر: الوجيز فِي علم الدلالة، علي حسن مزبان، 71 .72.

(2) ينظر: علم الدلالة(دراسة نظرية وتطبيقات)، فريد عوض حيدر، 71.

(3) ينظر: علم الدَّلالة (أحمد مختار عمر): 70 –71، والدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، 81، واللغة (فندريس)، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، 237.

المعنى بين المعنى الموضوعي للكلمة والمعنى العاطفي لها، ويكون السِّياق وحدة الفصل بين المعنيين" [1].

وهذا النوع من السِّياق فردي يتعلّق بنفسية الفرد، فقد يُعنى بالحب الوصول إلى درجة الغرام، أَو يعني الحبّ درجة العشق، أَو درجة الإعجاب بحسب تأثيرها فِي عاطفة المحب لكنّها غير ثابتة، وقد تتحوّل دلالتها فِي أَحيان كثيرة إِلى نقيضها(الكره) لارتباطها بنفسية الفرد وسِياق الموقف؛ لذا يمكن تسمية هذا النوع من السِّياق بـ (السِّياق المتحوّل) الذي يُصاحب الكلمة المشحونة عاطفيًا.

وقد ورد عند أَبي بكر بن الأَنباري أَمثلة على هذا النوع من السِّياق، من ذلك قوله: " وقولهم: فلانٌ بيضةُ البلد، هذا حرف من الأَضداد يكون مدحًا ويكون ذمًّا، فإذا مُدِحَ الرجل فقيل: هو بيضةُ البلدِ، أُريدَ به: واحد البلد الذي يُجتمع إِليه ويُقبل قوله، أَنشدنا أَبو العبّاس لامرأةٍ ترثي عمرو بن ودّ وتذكر قتل عليّ –رضي الله عنه– إيّاه:

لو كانَ قاتلُ عمروٍ غيرَ قاتلِهِ بكيتهُ ما أقامَ الروحُ في الجسدِ

لكنَّ قاتلَهُ مَنْ لا يُعابُ بهِ وكانَ يُدعى قديمًا بيضةَ البلدِ[2]

والشاهد فِي هذا البيت قول الشاعر: فإذا ذُمَّ الرجلُ فقيل هو بيضةُ البلدِ، أَرادوا هو منفرد لا ناصرَ له بمنزلة البيضة التي يقوم عنها الظليم ويتركها منفردة لا خير فيها ولا منفعة، قالت إِمرأة ترثي بنينَ لها:

لهفي عليهم لقد أصبحتُ بعدهُمُ كثيرةَ الهمِّ والأحزانِ والكَمَدِ

قد كنتُ قبل منايا هُمْ بمغبطةٍ وصرتُ مُفرَدةً كبيضةِ البلد [3].

حيثُ يتّضح أَثر السِّياق العَاطفي فِي اختيار الدَّلالة التي يريدها أَو يستريح لها المتكلم بحسب عاطفته من حزن أَو فرح، أَو مدح أَو ذمّ؛ لذا فإِنَّ أُخت الفارس عمرو بن ودّ العامري امتنعت من ذم علي بن أَبي طالب –رضي الله عنه– ؛ لأَنَّها تعرف أَنَّه شخص شجاع وكريم ونبيل ويقاتل من أَجل عقيدته لكنها مدحته بقولها –لا يُعاب به– أَي: ليس فيه عيب تستطيع أَنْ

---

(1) اللغة، (فندريس)، 238.

(2) البيتان لأم كلثوم أبنت ود ترثي أخيها عمر بن ود، وهما من بحر البسيط.

(3) كتاب الزاهر، الأنباري، 2ج/ 17 ـ18. ، والمذكر والمؤنّث، للأنباري، 120. والبيتان من البسيط، وغير منسوب إلى قائل.

تقوله، والمعروف عنه قديمًا أَنَّهُ الشجاع الكريم، وفِي المثال الثَّاني كان الحزن هو العاطفة لامرأة مات أَولادها فبقيت وحيدة، هنا تلعب العاطفة والانفعال دورًا كبيرًا فِي اختيار الدَّلالة المرجوّة.

ومِنْ أَمثلة السِّياق العاطفي ما ذكره أَبو بكر بن الأَنباري " وقولهم: بشّرتُ فلانًا بكذا وكذا، العامّة تُخطئ فِي معنى بشّرت فيذهبون إِلى أَنَّهُ لا يكون إِلاَّ فِي الفرح السرور، والعرب تقول: بشّرتُ فلانًا بالخير وبشّرته بالشرّ، قال الله –عزّ وجلّ–: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ويُقال: قد بشّرتُ الرجلَ أَبشّره بشرًا إِذَا سررته وأَفرحته، قال عبد الله بن مسعود: (مَنْ أَحبَّ القرآنَ فلْيبْشُر) معناه: فليسرّ وليفرحْ، وأَنشد الفرّاء:

بشّرتُ عيالي إذْ رأيتُ صحيفةً أتتكَ من الحجّاجِ يُتلى كتابها[2]

ومعنى البيت: سررتُ عيالي وفرّحتهم، ويُقال: أَبشرتُ الرجلَ أُبْشُرهُ إبشارًا إِذَا أَخبرته بالشيء، قرأ حُميد: " إِنّ اللهَ يُبْشُرُكَ بكلمةٍ منه " [3]، ويُقال: قد استبشر الرجلُ بالأَمر وأَبشر به وبَشَرَ به يَبْشُرُ بمعنىً... " [4].

ومِنْ خِلال هذا النصّ يتضح أَنَّ السِّياق العَاطفي بشكلٍ واضح هو الذي يحدّد دلالة الكلمة مِنْ فرح وسرور أَو غضب ومكروه فيوجّه المعنى إِلى المتلقّي ليفهمه.

وقد تساعد زيادة الحرف على الفعل فِي توجيه السِّياق العَاطفي، مِنْ ذلك ما ذكره أَبو بكر بن الأَنباري بقوله: " وكذلك تُخطئ العامّة فيقول الرجل منهم للرجل: أَوعدني موعدًا أَقف عليه وهذا خطأ فِي كلام العرب، وذلك أَنّهم يقولون: قد وعدتُ الرجلَ خيرًا وأَوعدته شرًّا فإِذا لم يذكروا الخبر، قالوا: وعدته، فلم يُدخلوا أَلفًا، وإِذا لم يذكروا الشرّ قالوا: أَوعدته ولم يُسقطوا الأَلف، قال الشاعر:

وإِنّي وإِنْ أوعدتُهُ أو وعدتهُ لأُخلفُ إيعادي وأُنجزُ موعدي[5]

وإِذَا أَدخلوا (الباء)، لم يكن إِلاَّ فِي الشرّ كقولهم: أَوعدني بالضرب "[6].

وهكذا يتضح أَنَّ السِّياق له دور مُهمّ فِي توجيه المعنى بين المُتكلّم والمُتلقّي لتحصل الفائدة.

---

(1) سورة التوبة، من الآية: (3).

(2) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، تفسير الطبري، الناشر: مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1954م، ج61/3. والجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، الأنصاري، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1953م، ج75/4. والبيت من الطويل، ولم يُنسب إلى قائل.

(3) ينظر: المحتسب، لابن جنّي، ج161/1.

(4) كتاب الزاهر، للأنباري، ج135/2 –136.

(5) ديوان عامر بن الطفيل (شرح ابن الأنباري)، بيروت، 1962م، 58. والبيت من الطويل.

(6) كتاب الزاهر، للأنباري، ج136/2.

المبحثُ الخامس
السِّيـــاق السَّببـــيّ

أَوَّلاً– السِّياق المعزول.

ثانيًا– السِّياق المباشر.

ثالثًا– السِّياق المستعار.

السِّياق السببيّ:

إنَّ هذا النوع مِنَ السِّياق لم يذكره كلّ المحدثين بل ذكره بعضهم بأنّ هذا النوع من السِّياق يمثّل ما يرد فِي المُعجم مِنْ تعليل لاستعمال الصيغة اللُّغوية على ما هي عليه مِنْ هذا النوع من السِّياق على السبب الذي مِنْ ًاجله سُمّيت به الكلمة وثبت فِي المُعجم، لكنّه يرتبط بالظروف والعوامل التي تؤدّي إلى تغيير فِي الأِسماء، أَو المصطلحات، او العبارات، فهو يشتمل على ما يرد فِي المُعجم مِنْ تعليلات لاستعمال الصيغة اللُّغوية وما يرافقها من تغيير فِي الاستعمال نتيجة لتغيّر المواقف والظروف والأسباب؛ لأَنَّ دلالات الكلمات لا تثبت على حال، فقد تزول بزوال الأَسباب أَو المواقف الداعية لإطلاقها، لذا يمكن إدراج هذا النوع مِنْ ضمن السِّياق (المتحوّل) [1].

وذكر (يوجين نيدا) أَنواعًا متعدّدة لأشكال من السِّياقات التي يمكن أَنْ ترد فِي سياق الكلام، وهي:

أَوّلاً– السِّياق المعزول.

ثانيًا– السِّياق المُباشر.

ثالثًا– السِّياق المستعار. [2]

ويمكن دراسة هذا على النحو الآتي:

أوّلاً– السِّياق المعزول:

وهو السِّياق الذي يكون فيه المدلول شخصًا أَو شيئًا غير حاضر، وتُعدّ هذه الحالة أَكثر شيوعًا؛ حيثُ إنَّ اللُّغة تستعمل في المقام الأَوَّل للتحدث عن أَشياء غير موجودة، أَو أَشخاص غير موجودين فِي بيئتنا المُباشرة[3]، وهذا بحكم اجتماعية اللُّغة ووظيفتها فِي إقامة الاتّصال والتفاهم بين بني البشر، فلو كان استعمال اللُّغة عن الأَشياء المُباشرة فقط لما استقامت الحياة، ولما تطورت المجتمعات البشرية بالشكل الذي نراه اليوم.

---

(1) ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، 54.

(2) ينظر: نحو علم الترجمة، (يوجين.نيدا)، ترجمة: ماجد النجّار، الناشر: مطبوعات وزارة الإعلام، العراق، ط1، 1966م، 74.

(3) ينظر: الدَّلالة السِّياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، 82.

وقد أَورد أَبو بكر بن الأَنباري أمثلة لهذا النوع من السِّياق، منها ما ذكره بقوله: " وقولهم: نارُ الحُباحب: قال الكلبي عن أَبي صالح عن ابن عبّاس: كان الحُباحب من أَحياء العرب، وكان رجلاً بخيلاً، فكان لا يُوقد نارًا بليلٍ كراهية أَنْ يراها راءٍ فينتفع بضوئها فإذا احتاج إلى إيقادها فأوقدها ثمّ بصر بمستضئ أطفأها، فضربت العرب بناره المثل، وذكروها عند كلّ نارٍ لا يُنتفع بها"[1].

وقوله فِي موضع آخر: " وقولهم ندمتُ ندامةَ الكُسَعيّ، قال أَبوبكر: قال بعض الرواة: الكُسعي رجلٌ من أَهل اليمن، وقال آخرون: الكُسَعيّ من بني سعد بن ذبيان، وقال آخرون: الكُسَعيّ رجل من بني كُسَع ثُمّ أحد بني مُحارب، يُقال له: غامد بن الحارث، كان يرعى إبلاً بوادٍ كثير العشب والخَمْط، فبينما هو يرعاها بصر بنبعةٍ في صخرة، فقال: ينبغي أَنْ تكون هذه النبعة قوسًا فجعل يتعهّدها ويقوّمها فِي كلّ يوم، حتّى إذا استوت وأَدركت قَطَعَها وحفّفها، واتّخذ منها قوسًا، وأنشد يقول: [2]

يَا رَبِّ وَفِّقْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لذَّتِي لِنَفْسِي

وَانْفَعْ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي أَنْحِتُهَا صَفْرَاءَ مِثْلَ الوَرْسِ "

ثُمَّ خَطَمها بوتر، واتّخذ من بُرايتها خمسة أَسهم... ثُمّ أتى قُترةً على موارد حِمْيَر فمرّ به قطيع منها، وهو كامن في القُتْرة فرمى عَيْرًا منها بسهم فأصابه وأمخطه السهم، أي: نفذَ منه فصار إِلى الجبل فأورى فيه نارًا فظنّ أنّه أخطأ ولم يُصِبْ... ثُمّ مرّ به قطيع آخر منها فرمى عَيْرًا منه بسهم فأصابه ونفذ السهم منه إِلى الجبل وصنع مثل صنيعه الأوَّل... ثمّ مرّ به قطيع آخر منه فرمى عَيْرًا منه بسهم فأصابه ونفذ السهم منه إِلى الجبل وصنع صنيعه الأوّل...

ثُمّ أخذ القوس فضرب بها حجرًا فكسرها ثُمّ بات، فلمّا أصبح نظر فإذا الحُمُر مُطرَّحة حوله مُصرَّعة، وأَسهمه بالدماء مضرّجة، فأسف وندمَ على كسره القوس وقطع أبهامه، وأنشد يقول: [3].

نَدِمْتُ نَدَامَةٌ لوْ أنَّ نَفْسِي تُطَاوِعُنِي إِذًا لَقَطَعْتُ خَمْسِي

تَبَيَّنَ لي سفَاهُ الرَّأي مِنِّي لَعَمْرُ أَبِيكَ حِينَ كَسرتُ قَوْسِي

---

(1) كتاب الزاهر، الأنباي، ج194/2.

(2) مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، ج2، 348 والبيت من السريع، لمحارب بن قيس من بني كسع.

(3) اينظر: المصدر السابق، ج2/ 348، والبيت من الوافر، لمحارب الكسعي.

وضربت العرب بندامة الكسعي المثل.

وهكذا يتضح أَنَّ هذا النوع من السِّياق يتمثّل في (الأمثال)؛ لأَنَّ الأَمثال تُقال عن شخصيات غير موجودة بيننا، ثمّ هي تجربة لأَحداث حدثت قبل وجودنا فهي متعلّقة باجتماعية اللُّغة، وهذا ما كان واضحًا فيما ذكره أَبو بكر بن الأَنباري من الأَمثال.

ثانيًا – السِّياق المُباشر:

وهو السِّياق الذي يُستعمل فيه الرمز لتعيين هُوية شيء فِي البيئة المباشرة، وليس من الصعب تحديد مدلول الرمز ؛ لأنّه بالإمكان الإشارة إليه، وقد تُفضي القرابة للمدلول إلى الغموض عند إعادتنا المعلومات فِي وقت لاحق؛ إذْ حينما نعجز عن خلق الظروف الأَصلية مجدّدًا، فإنّنا لن نستطيع تحديد المدلول الأَصلي[1]. وهذا هو سياق الحال بعينه عند المحدثين، وشاهد الحال عند اللُّغويين القدامى؛ لأنّه يُركّز على الظروف المحيطة بالمدلول الداعية إلى الاستعمال المباشر.

ومن وروده عند أبي بكر بن الأنباري، قوله: " وقولهم: (لا أطلبُ أثَرًا بعدَ عينٍ)، العين نفس الشيء، يُقال: هذا ثوبي بعينه وحقيقته، فمعنى هذا المثل: لا أترك نفس الشيء، وأطلبُ أثره، وقال قوم: العين: المعاينة، ومعنى المثل عندهم: لا أترك الشيء وأنا أعاينه وأطلب أثره بعد أنْ يغيب عنّي، والعين عند العرب حقيقة الشيء، يُقال: قد جئتك به من عينٍ صافيةٍ، أي: من فِصّهِ وحقيقتهِ. والعين عندهم أيضًا الرقيب، قال جميل بن معمر:

رمى اللهُ في عيني بثينةَ بالقذى وفي الغُرِّ من أنيابها بالقوادحِ[2]

معناه: رمى اللهُ فِي رقيبيها اللذينِ يرقبانها ويحولان بينها وبيني. ويقولون: فلانٌ عينُ الجيش، يريدون: رئيسه، والعين أيضًا عندهم: مطر أيامٍ لا يُقلَعُ، وقال أَبو ذؤيب الهذلي في العين التي تأويلها الرقيب:

ولو أنّني استودعتُهُ الشمسَ لارتَقَتْ إليه المنايا عينُها ورسولُها [3]

---

(1) ينظر: الدَّلالة السِّياقية عند اللُّغويين، عواطف كنوش، 82.

(2) ديوان جميل بن معمر، تحقيق: د. حسين نصّار، الناشر: مكتبة مصر القاهرة، (د،ط/د،ت)، 53. والبيت من الطويل.

(3) ينظر: الزاهر، للأنباري، ج2/ 52 ــ 53، وديوان الهذليين، الناشر: دار الكتب، القاهرة، ط1، 1965م: ج33/1، والبيت من الطويل.

ومن خلال هذا النصّ الذي ذكره أبو بكر يتضح أَنَّ هذا النوع من السِّياق يمكن أَنْ يطلق عليه فِي الدرس الدَّلالي بـ (ظاهرة المشترك اللفظي) التي يتعدّد فيها المدلول والدالّ واحد نتيجة ظروف كثيرة وأَسباب متعدّدة منها اختلاف اللهجات؛ إذ تعبّر كلّ قبيلة عن مدلول تستعمله فِي حياتها.

ثالثًا – السِّياق المُستعار:

وهذا النوع من السِّياق تُستعمل فيه رموز تحول فيه قابلية تطبيقها من صنف معيّن من الأشياء، أو الحالات إلى صنف منسوب، أو مُستعار، وهذا النوع من السِّياق يمكن أَنْ نسمّيه (السِّياق المجازي للغة)؛ لأَنَّهُ دليل على اتّساعها ومرونتها، ولولا هذه الخصيصة لتقولبت اللُّغة على رموز معيّنة وجمدت وانعدمت فيها اجتماعية التواصل والإبلاغ والتعبير[1]، ومن ورودها عند أَبي بكر بن الأَنباري: قولهُ: (فلانٌ واسعُ الكفِّ)، معناه: كثير العطاء بيّن السخاء، فسعةُ الكفِّ معناه: كناية عن البذل، ويُقال: فلانٌ ضيّق الكفِّ وصغير الكفّ إذا كان بخيلاً..."[2].

وهُنا يلحظ إيراده فِي الكناية، والكناية نوع من المجاز اللُّغوي، وهي ترميز أَيضًا، والرمز واضح هنا ويدلّ على اتّساع اللُّغة وثرائها، يدخل في الدَّلالة الهامشية التي لا يفهمها إلاَّ المثقفون أو المبدعون من الشعراء والكُتّاب.

وكذلك يتجلّى هذا النوع من السِّياق فِي موارد أُخرى، منها ما ذكره أَبو بكر بن الأنباري بقوله: " (وقولهم قد كتب بالحِبرِ والمِداد)، العلّة فِي تسميتهم الحِبر حِبرًا أَنَّهُ مُزيّن للكتاب ومُحسِّنٌ للقرطاس، أُخِذَ مِنْ قول العرب: حبّرتُ الشيء إذا زيّنته، كان يُقال لطُفَيْل فِي الجاهلية: مُحبَّرٌ لتزيينه شعره، وقال النبي –صلّى الله عليه واله وسلّم–: (يخرجُ رجلٌ مِنَ النار قد ذهب حِبرُهُ وسِبرُهُ) [3]. أَراد: قد ذهبَ بهاؤُهُ وجمالهُ... ويُروى قد ذهب حَبْرُهُ وسَبْرُهُ، فإذا كُسرا كانا اسمين، وإذا فُتِحا كانا مصدرين، ويُقال إِنَّما سُمّي الحبر حبرًا؛ لأَنَّهُ يُؤثّر فِي القرطاس، ويكون علامة فِي الشيء الذي يصيبه ويقع فيه، يُقال للأَثر حِبْر وحَبار... قال الأَصمعي: لا أَدري كيف يُقال للعالم: حِبْر أَو حَبر، وقال غيره ويُقال للعالم: حَبْر.

---

(1) ينظر: الدَّلالة السِّياقية عند اللغويين، عواطف كنوش،83.

(2) كتاب الزاهر، للأنباري، ج395/2.

(3) ينظر: غريب الحديث، لابن سلام الهروي، ج1/ 85.

بالفتح، وقال الفرّاء: هو الحِبْر بكسر الحاء "[1].

ومِنْ خِلال الترميز أَو الرمز المتحصّل مِنْ معاني كلمة (الحبر) يمكن التعرف على هذا النوع من السّياق؛ إذ يؤدي الرمز دورا مُهمّا فِي دلالة اللفظ، إضافة إِلى مجازية اللُّغة.

ومِمَّا تقدم فِي هذا الفصل يمكن استخلاص النتائج التَّالية:

1- اهتمّ العرب القدماء بـ (السِّياق) مِنْ خِلال إيراد المعاني المحتملة للفظ الواحد، ثُمّ إبراز المعنى المراد مِنْ خِلال ذلك السِّياق، وهذه نقطة عوَّل عليها المحدثون فيما بعد.

2- صرَّح أَبو بكر بن الأَنباري بالاحتكام إِلى السِّياق فِي شروحه وتفسيره مِنْ خِلال قوله: " إنّ كلام العرب يُصحح بعضه بعضًا، ويرتبط أوّله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب إلاَّ باستيفائه واستكمال جميع حروفه "[2]. وهذا يدلّ على سبق العرب الغربيين فِي موضوع السِّياق.

3- أَوَّل مَنْ صرّح بلفظ (السِّياق) عند العرب القُدماء العلاّمة ابن قيّم الجوزية(ت745هـ) من خِلال قوله: " والسِّياق يرشد إِلى تبيين المُجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدَّلالة"[3].

4- رصد القدماء العرب (سِياق الموقف) مِنْ خِلال العلاقات الزمانية والمكانية قبل أَنْ يُولد العالم الإنجليزي (فيرث) بأكثر من أَلف عام، لكن القدماء اختلفوا فِي المصطلح، فذكره البلاغيون العرب باسم (المقام)، مِنْ خِلال قولتهم المشهورة: (لكلّ مقام مقال).

5- نسب الدارسون سياق الموقف أَو سِياق الحال إِلى ابن جنّي (ت392هـ)، والصحيح أَنَّ أَبا بكر بن الأَنباري سبق ابن جنّي فِي هذا النوع من السِّياق مِنْ خِلال الأَمثلة التي ذكرها فِي كتابه (الزاهر)، ولعلّ ابن جنّي أَخذهُ عن ابن الأَنباري؛ لأَنَّ ابن الأَنباري أَسبق زمنيًا بدليل وفاته(328هـ).

6- اهتمَّ عُلماء اللُّغة العرب القدماء بالسِّياق اللُّغوي مِنْ خِلال ظاهرة المُشترك اللفظي إضافة إِلى اهتمام دارسي القرآن الكريم بالسِّياق اللُّغوي من أَجل تحديد معاني النصّ القرآني؛ إذ جعلوا للسِّياق دورًا حاسمًا فِي فهم النصوص، وتحديد معاني الأَلفاظ، وضبط دلالاتها.

---

(1) كتاب الزاهر: للأَنباري، ج254/2،

(2) الأضداد: للأَنباري، 30.

(3) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج4 /9 .

7- السِّياق الثَّقافي أَقل ورودًا عند أَبي بكر بن الأَنباري، وهذا يدلّ على قلته عند القدماء فِي حين أَنَّ المُحدثين اهتمّوا به أيّما اهتمام، وهو يتجلّى فِي ظاهرة الترادف، ثُمّ استعمال كلّ فرد أَو أَديب أَو شاعر بالمعنى الذي يريده مِنْ خِلال ثقافته الاجتماعية، واقتصاره على هذا المعنى دون تلك المعاني؛ وهذا يرجع إِلى تداولية اللُّغة.

8- السِّياق السببي لم يذكره المُحدثون العرب وإِنَّما ذكره العالم الغربي (يوجين نيدا)، وعنه نقله بعض الدارسين المُحدثين، وقد قسّمه ثلاثة أَقسام، هي: (المعزول، والمباشر، والمستعار) وقد أَورد أَبو بكر أَمثلة لهذه الأَنواع سبق ذكرها مِنْ خِلال الاستعمال اللُّغوي شعرًا.

الفصل الثَّالث
التطوّر الدَّلالي ومظاهره فِي كتاب (الزاهر)

توطئة.

المبحـــثُ الأَوَّل: التغيّر الدَّلالي.

المبحثُ الثَّاني: أَهمّ مظاهر التغيّر الدَّلالي.

توطئة:

إنَّ كلمة التطوّر تحتاج إلى شيء مِنَ التوضيح، فالدارسون يستخدمون هذه اللفظة فِي ثلاثة معانٍ مُختلفة بحسب وجهة النظر المعيّنة التي ينطلق مِنْها كلّ فريق مِنْهم، فهي عند بعضهم تفيد الانتقال مِنْ طور إلى طور أَحسن وأَفضل على أَساس أَنَّ اللُّغة بهذا الانتقال قد أَدّت وظيفتها على خير وجه، فقابلت حاجات الإنسان فِي حياته المتجدّدة، ولم تقف جامدة أَو عاجزة عَنْ مواكبة الحركة الدائبة فِي المجتمع الذي يحتضنها، وهناك فِي الجانب الآخر رأي يأخذ اتّجاهًا مضادًّا فِي هذه القضية هو رأي التقليديين مِنَ المشتغلين باللُّغة الذين ينظرون إلى مظاهر التطور على أَنَّها نوع مِنَ الخطأ، وحجتهم فِي ذلك أَنَّ هذه المظاهر كلّها أَو بعضها يتضمّن بالضرورة خروجًا عَنِ القواعد المرسومة والأَحكام المحدّدة التي سُجّلت فِي كُتب اللُّغة والتي ارتضاها رجال القواعد الموثوق بهم، ومضمون هذا الكلام أَنَّ هؤلاء التقليديين جعلوا القواعد الرسمية وحدها أَساس الحكم بالصواب والخطأ، وأَنَّهم أَهملوا فِي الوقت نفسه النظر إلى الاستعمال الواقعي، وقيمة الاستعمال فِي الفصل فِي هذه المسألة[1].

وهذان الرأيان فِي التطوّر اللُّغوي يتّسمان بالذاتية؛ ذلك لأَنَّ كُلاً مِنْهما يعطي حكمه متأثّرًا بوجهة نظر خاصّة، وينظر إلى الموضوع مِنْ جانب واحد دون الجوانب الأخرى[2]

أَمَّا الرأي الثَّالث فإِنَّ أَصحابه حاولوا أَنْ يتخلّصوا مِنَ المسحة الذاتية التي طبعت موقفي أَصحاب الاتّجاهين السابقين، وأَنْ يفسّروا التطوّر تفسيرًا موضوعيًا على أَساس الواقع والحقيقة، وأَنْ ينظروا إِليه على أَنَّه تغيّر أَو شيء حدث فِي اللُّغة فِي هذه الفترة الزمنية أَو تلك، على هذا المستوى أَو ذاك، وقد آمن أَصحاب هذا الاتّجاه بأَنَّ اللُّغة، أيّة لغة تنزع إِلى اتّجاهين متقابلين، اتّجاه نحو المُحافظة والتقليدية، واتّجاه نحو التطوّر والتغيّر أَو التجديد، وهذان الاتّجاهان مفروضان فرضًا على اللُّغة مِنْ أَصحابها فِي البيئة اللُّغوية المعيّنة، فنحن فِي حياتنا اللُّغوية كما هو شأننا فِي أَنواع السلوك الأخرى، محكومون بعادات الآخرين وتقاليدهم؛ إِذْ يحاول كلّ مِنّا محاكاة رفاقه وأَبناء بيئته فِي أَساليبهم وطرائق تعبيرهم، وبذلك يضمن لنفسه مكانًا مؤكدًا بينهم، فلا ينعزل عنهم، أَو يبدو شاذًّا فِي نظرهم، دخيلاً عليهم، ولا شكّ أَنَّ الأَجيال المتلاحقة تكتسب

---

(1) ينظر: مظاهر التطوّر في اللغة العربية المعاصرة، د كمال بشر، الناشر: مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء الأوّل المجلد الأربعون، 1961م، 26.

(2) ينظر: المصدر السابق: 41.

معظم عاداتها اللُّغوية عَنْ هذا الطريق، وهذا الطريق نفسه طريق المحاكاة مِنْ أَقوى العوامل التي تتّجه باللُّغة نحو المُحافظة على عناصرها وخصائصها الأَصلية ولكنّا لا نعدم فِي الوقت نفسه أَنْ نعثر على عوامل أُخرى مهمّة تدفع باللُّغة نحو اتّجاه مضادّ، وهو اتّجاهها نحو التطوّر والتغيّر [1].

ومَا دام التطوّر مفروضًا على اللُّغة، ولا بُدَّ لأهلها من التوافق معه، أَو وقف تياره، فقد ذهب أَصحاب الاتّجاه الثَّالث إِلى استقصاء عوامل هذا التطوّر، وتعقّب آثارها فِي اللُّغة فأحصوا مِنْ ذلك عددًا لا بأس بـه أَسموه بـ (قوانين التطوّر اللُّغوي) ـ التي سأعرض لها فيما بعد ـ، ثُمَّ رأوا بعد ذلك أَنَّ على اللُّغوي المتجرّد ذي النظرة الموضوعية أَنْ يقف مِنَ التطوّر موقفين: **الأَوَّل** موقف وصفي تسجيلي مع محاولة ربطه بعوامله، أَو ردّه إِلى قوانين التطوّر التي لابدَّ من أَن تفعل فعلها فِي اللُّغة، وتعمل على نقلها مِنْ حال إِلى حال.

والثَّاني موقف تقويمي يعني بتجديد ما هو خطأ ترفضه اللُّغة، ويأباه نظامها الأَصيل وحقائقها الثَّابتة المُوروثة، وتحديد ما هو تطوّر تحتاج إِليه اللُّغة فِي حقبة مِنْ حقب حياتها، ويسمح به المعهود مِنْ قوانينها.

وفيما يلي دراسة لهذا التطور الدَّلالي، ومظاهره في كتاب(الزاهر):

(1) ينظر: مظاهر التطور فِي اللغة العربية المعاصرة، كمال بشر، ج/1، 55.

المبحـــــــث الأَوَّل
التغيّر الدَّلالي

أَوَّلاً ـ التغيِّر الدَّلالي العام.

ثانيًا ـ التغيِّر الدَّلالي الخاصّ أَو المقصود.

أَوَّلاً ـ التغيّر الدَّلالي العام:

اللُّغة كائن حيّ تخضع لما يخضع له الكائن الحيّ فِي نشأته ونموّه، وتطوّره، فهي تنشأ وتتطوّر، وتموت كأيّ كائن حيّ، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا وسط المجتمع وتنمو بنموّه وتحطّ بانحطاطه، هي قابلة للتطوّر أَو الانقراض كأيّ ظاهرة اجتماعية تنشأ فِي المجتمع وليست مِنْ صنع فرد أَو مجموعة أَفراد، وإِنَّمَا هي نتيجة حتمية للحياة فِي مجتمع يجد أَفراده مضطرين إِلى اتّخاذ وسيلة معيّنة للتفاهم عمّا يجول فِي أَنفسهم، كما أَنَّها وسيلة لتبادل الأَفكار، وليس فِي قدرة الأَفراد أَنْ يوقفوا تطوّر لُغة أَو يجعلوها تجمد على وضع خاص[1].

ومهما أَجادوا فِي وضع مُعجماتها، وتحديد أَلفاظها ومدلولاتها، وما بذلوا مِنْ قوة لمحاربة اللَّحن الذي يطرأ عليها، فإِنَّها لا تلبث أَنْ تحطّم هذه الأَغلال، وتفلت مِنْ هذه القيود، وتسير فِي السبيل التي تريده.

واللُّغة العربية هي أَكثر اللُّغات قابلية للتطوّر؛ لأَنَّها مِنْ أَوسع اللُّغات الحيّة لقابليتها على الاشتقاق والنحت والتوليد؛ لأَنَّ النحت يُعدّ وسيلة مِنْ وسائل إِبداع الأَلفاظ المطلوبة[2].

والمقصود بالتطوّر الدَّلالي أَو التغيّر الدَّلالي هو تغيّر معاني الكلمات، وهي ظاهرة موجودة فِي جميع اللُّغات، وفِي رأَيي أَنَّ دراسة تطوّر المَعاني مِنَ المشكلات الرئيسة التي تواجه أَيّ لُغة؛ لأَنَّ اللُّغة مقيّدة بحدود زمانية ومكانية، ومقاييس اجتماعية ونفسية وثقافية، يصعب معها توجيه دلالات الأَلفاظ، وما تشير إِليه بدقة.

ونستطيع أَنْ نلمح التطوّر الدَّلالي مِنْ خِلال قراءتنا أَدب الأُمم فنجد كثيرا مِنْ أَلفاظها قد تغيّرت دلالتها مع مرور الزمن فضلاً على تغيّر صورة التعبير طبقًا لتغيّر العصر والبيئة، وقد تنبّه الزمخشري(ت538هـ)، على تغيّر دَلالة الأَلفاظ ، فألّف كتابه (أَساس البلاغة)، ليبحث فِي هذا التغيّر الذي يطرأ على دلالات الأَلفاظ، مِنْ ذلك كلمة (عبد)، فقد مرت دلالة هذه اللفظة بعدة مراحل تطورية، وهي تدلّ فِي اللُّغات السامية على العمل وبخاصّةٍ الحرث فِي الحقل، ولم يبق مِنْ مشتقاتها فِي العربية مَا يدلّ على العمل إِلاَّ (المعبدة) بمعنى (المحراث)، وما عدا ذلك فإِنَّها ومشتقاتها فِي العربية تدلّ على العبادة والعبودية، ومثلها لفظة (شعر) ترجعها المعاجم

---

(1) ينظر: لحن العامة والتطوّر اللغوي، د. رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1967 م، 20.

(2) ينظر: النحت فِي العربية واستخدامه في المصطلحات العلمية، د. محمد ضاري حمادي، الناشر: مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد/ 31، ج/2 ، شهر أبريل، 1980م.

العربية إلى الشعور والفطنة، وسُمّي الشاعر شاعرًا لفطنته وشعوره، وفِي هذا التعليل تسامح وسعة [1]، والأَظهر كما يقول جرجي زيدان: " إنَّ الشعر مشتق مِنْ أَصل آخر فيه معنى الغناء أَو الإنشاد أَو الترتيل، وقد سقط مِنَ العربية، وبقي فِي بعض أَخواتها[2] " .

وفِي العصر الإسلامي تغيّرت دلالات كثير مِنَ الأَلفاظ الجاهلية أَيضًا، مثل: المُصطلحات الشرعية والفقهية، فلفظة (مُؤمن) كانت تدل على الأَمان أَو الإيمان وهو التصديق، فأصبحت بعد الإسلام تدلّ على (المُؤمن) وهو غير الكافر، وله شروط معيّنة لم تكن معروفة، وكذلك المسلم والكافر والفاسق، ومثلها الصلاة الركوع والسجود والحجّ، ومِنَ الأَلفاظ الأُخرى التي تغيّرت دَلالتها المُصطلحات اللُّغوية كالنحو، والعروض، والشعر، والإعراب، والحقيقة والمجاز، والبيان، ومِنْها أَيضًا المُصطلحات الإدارية والحربية، ثُمَّ فِي عصور تالية المُصطلحات الطبية والفلسفية[3].

ويمكن عرض أَهمّ الأَسباب التي أَدّت إلى التغيّر الدَّلالي أَو تطوّر المعنى، فِيمَا يأتي:

1 – الاستعمال اللغوي:

إنَّ الأَلفاظ كما هو معروف لم تُخلق لتُحبسَ فِي خزائن مِنَ الزجاج فيراها النَّاس مِنْ وراء تلك الخزائن، ويكتفون بتلك الرؤية العابرة، ولو أَنَّها كانت كذلك لبقيت على حالها جيلاً بعد جيل، وعصرًا بعد عصر، ولكنّ الأَلفاظ وُجدت وتعارف النَّاس عليها لاستعمالها فِي حياتهم اليومية كما يتعاملون بالسلعة والعملة، غير أَنَّ هذا التبادل يكون عَنْ طريق الأَذهان التي تختلف مِنْ جيل إلى جيل، وبين أَفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة بل والأسرة الواحدة فِي التجربة والذكاء، وتتشكّل وتتكيّف الدَّلالة تبعًا لها[4].

ويشترك النَّاس عادةً فِي الدَّلالة المركزية، ويختلفون فِي الدَّلالة الهامشية وظلالها، ومَا يكتنفها مِنْ ظروف وملابسات تتغيّر كلّ يوم وتتنوّع بتنوّع التجارب والأَحداث، فإذا ورثتها

(1) ينظر: الوجيز في علم الدلالة، علي حسن مزبان، 50.

(2) اللغة العربية كائن حيّ، جرجي زيدان، مراجعة: د. مراد كامل، الناشر: دار الهلال، بيروت، (د،ط/د،ت)، 52 ـ 54.

(3) ينظر: المصدر السابق: 49 ـ 52. والوجيز فِي علم الدلالة، علي حسن مزبان، 50 ـ 51.

(4) ينظر: عوامل التطوّر اللغوي، د. أحمد عبد الرحمن حماد، الناشر: دار الأندلس، بيروت، ط1، 1983م، 119 ـ 120.

الأَجيال الناشئة واتّخذتها أَيضًا للتعامل والتبادل لم ترثها على حالها الأُولى بل ترثها مع بعض الانحراف فِي الدَّلالة ثُمَّ يتضخم ذلك الانحراف على توالي الأَجيال[1].

ورُبَّما تتغيّر مدلولات كثيرة؛ لأَنَّ الشيء الذي تدلّ عليه فد تغيّرت طبيعته أَو عناصره أَو وظائفه، أَو الشؤون الاجتماعية المتّصلة به، وما إِلى ذلك، فكلمة (الريشة) مثلاً تُطلق على آلة الكتابة أَيام كانت تتّخذ مِنْ ريش الطيور، ولكنّ مدلولها الأَصلي قد تغيّر الآن تبعًا لتغيّر المادّة المتّخذة مِنْها آلة الكتابة فأَصبحت تُطلق على قطعة المعدن، وكذلك ما ورد فِي مدلول (القطار) الذي كان يُراد به مجموعة مِنَ الإِبل المنتظمة فِي سيرها ثُمَّ استُعيرَ للقاطرة الحديثة؛ لأَنَّها تجمع فِي سيرها طائفة مِنَ العربات [2].

ومَا سُمّي (الخاتَم) بهذا الاسم إِلاَّ لأَنَّه كان يُنقش عليه اسم صاحبه، ويُستخدم فِي ختم الرسائل والوثائق والصكوك غير أَنَّه فقد هذه الوظيفة بعد ذلك ولم يبق له إِلاَّ الاسم وتغيّرت بذلك دلالته [3].

وفِي رأيي أَنَّ هذا التغيّر منوط بتغيّر الزمان والمكان وتطوّر البيئة واختلافها بين العصور والتقدّم الذي يصيب المجتمع والحياة الاجتماعية، فهو تطوّر شامل فِي الحياة والاستعمال اللُّغوي، وفيه دلالة على صيرورة الحياة واللُّغة.

ولعامل الاستعمال عناصر، مِنْ أَهمها:

أ ـ سوء الفهم:

مِنَ المعلوم أَنَّ الكلام هو علاقة بين المتكلّم والسامع أَو المُتلقّي، فقد ينطق المتكلّم بلفظة تُوحي إِلى ذهن السامع دلالة غير التي يريدها المتكلّم بسبب سوء الفهم، وتبقى هذه اللفظة غير الصحيحة فِي ذهن السامع، وهكذا ينقلها بدوره إِلى أَشخاص غيره، ولم تُتح لهؤلاء فرصة لتصحيح هذه الدَّلالة غير الصحيحة، ثُمّ تنتقل هذه الدَّلالة غير الصحيحة إِلى جيل آخر، وتتطوّر دلالة هذه الكلمة بسبب الفهم غير الصحيح، ويتمّ هذا التطوّر عادةً فِي المجتمعات البدائية حيثُ الانعزال بين أَفراد الجيل الناشئ وجيل الكبار إِذ تسود الدَّلالة الجديدة بينهم ويتعلمها

(1) ينظر: دلالة الأَلفاظ، إبراهيم أنيس، 134 ـ 135. والوجيز في علم الدلالة، علي حسن مزبان، 51.

(2) ينظر: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، الدكتور رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1983م: 112.

(3) ينظر: مباحث لغوية، الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، ط1، 1971م: 92.

الدارس ولا يستطيع أَنْ يجد لها تعليلاً، وبهذا تكون للفظة دلالتان القديمة والجديدة، ويُخيّل للناس أَنَّ للكلمة دلالتين، فتنشأ ظاهرة (المشترك اللفظي)، ومثل هذا موجود فِي اللُّغة العربية إذ تنقل لنا المعاجم العربية أنّ كلمة (الأرض)، مثلاً تعني الكوكب المعروف الذي نعيش عليه، كما تأتي بمعنى الزكام، كذلك لفظة (الليث) التي تعني الأسد، وتعني . أيضًا . العنكبوت[1].

وكذلك ما نجده فِي كُتب الأَدب مِنْ أَلفاظ دالّة على أَكثر مِنْ معنى، مِنْ ذلك كلمة (الغروب) فِي قول الشاعر:

يا ويحَ قلبي من دواعي الهوى إذْ رحلَ الجيرانُ عند الغروبِ

أتبعتهم طرفي وقد أزمعوا ودمعُ عيني كفيضِ الغروبِ

بانوا وفيهم طَفْلةٌ حرّةٌ تفترُ عن مثلِ أقاحي الغروبِ

فالغروب الأُولى هي (غروب الشمس)، والثَّانية جمع (غرب) وهو الدلو العظيمة، والثَّالثة جمع (غرب) وهي الوهاد العظيمة[2].

وهناك قصيدة للشاعر بطرس كرامة شاعر سوري حديث، فيها الأَبيات الآتية:

أمِنْ خدّها الورديّ أفتنكَ الخالُ فسحَّ من الأَجفانِ مدمعكَ الخالُ

وأومضَ برقٌ من محيّا جمالها لعينكِ أم من ثغرها أومضَ الخالُ

رعى اللهُ زيّاكَ القوام وإِنْ يكنْ تلاعبَ في أعطافهِ التيه والخالُ

مهاةٌ بأمي أَفتديها ووالدي وإِنْ لامَ عمي الطيّبُ الأَصلُ والخالُ

ومعاني (الخال)، بالترتيب (الشامة، والسحاب الممطر والبرق، والاختيال والتكبّر، والخال أخو الأم) [3]، وهُنا يُلحظ شيوع الدَّلالة الهامشية، ويُعلّل الدكتور إبراهيم أَنيس بعد أَنْ يسميه (الطفرة الدَّلالية) بأَنَّ اللفظ قد يكون قليل الشيوع، أَو يقتصر استعماله على أَساليب معيّنة، ولا يقع فِي تجارب كثيرة، فتُصاب دَلالته بشيء مِنَ الغموض، ويُصبح أَكثر تعرّضًا إِلى الانحراف فِي الدَّلالة مِنَ الأَلفاظ المُحدّدة الدَّلالة [4]. واتفق مع رأي مَنْ يذهب إِلى أَنَّ سوء الفهم يدخل

---

(1) ينظر: الوجيز في علم الدلالة، حسن مزبان، 52.

(2) ينظر: دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، 136، والأبيات من بحر السريع، وتنسب هذه الأبيات إلى الخليل بن أَحمد الفراهيدي في المصدر نفسه.

(3) ينظر: علم الدلالة والمعجم العربي، أبو شريفة وآخرون، ط1، عمّان ـ الأردن، 1981م: 81 ـ82، والبيت من الطويل، لبطرس كرامة من شعراء سوريا.

(4) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 136.

ضمن (القياس الخاطئ)، الذي يحدث عند الأَطفال كثيرًا وعند الكبار قليلاً، كما هو الحال عند الأَطفال حين يقيسون المؤنث على وزن واحد، فيقولون فِي مؤنث (أحمر) أحمرة، وفِي مؤنث (أصفر) أصفرة بدلاً مِنْ حمراء وصفراء، وعند الكبار حين يرادفون بين العتيد والعتيق والمعنيان مُختلفان، [1].

وكذلك مِنْ أَمثلة (القياس الخاطئ) كلمة (مُستهتَر) على وزن اسم المفعول إذ يستعملونها خطأ لأَنَّ الاستهتار أَصله فِي اللُّغة: الولوع بالشيء والغرام به، لكنهم الآن يستعملونها بمعنى الخارج عَنِ القصد والمتزيّد مِنَ العبث واللهو والذي لا يلتزم بالحدود، ومثله الفعل (شجبَ) الذي يرد فِي المُعجمات العربية بمعنى (الهلاك)، فِي حين استعملته لُغة الصحافة بمعنى (الرفض)[2].

ب . بلى الأَلفاظ: أَو(التغيّر فِي أَصوات الكلمة):

وهو العنصر الثَّاني مِنْ عناصر الاستعمال، ومعناه أَنْ يصيب اللفظ بعض التغيّر فِي الصورة، ويصادفه بعد ذلك أَنْ يُشبه لفظًا آخر فِي صورته، فتختلط الدَّلالتان ويصبح اللفظ ما يُسمّى بـ (المُشترك اللفظي)، فتطوّر صوت (السين)، فِي كلمة (السغب) إلى صوت مناظر لها فِي المخرج والصفة، أَي: المهموس كـ(التاء)، فينتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل تمام المُماثلة كلمة أُخرى موجودة فعلاً وتعني (الدرن والوسخ)، وهي كلمة (التغب)، ويترتّب على هذا التطوّر الصوتي تطوّر دلالي هو أَنْ يصبح للفظ الواحد أَكثر من دلالة واحدة.

وكذلك كلمة (القماش) التي تعني ما نعرفه الآن مِنَ الأَلبسة الحريرية أَو الصوفية، لكنَّها تعني في المَعاجم العربية القديمة كالصحاح والقاموس المحيط بمعنى (أَراذل النَّاس)، و(متاع البيت)، وبعضهم يقول: إنَّها لفظة دخيلة أُخذت مِنَ الكلمة الفارسية (كماش) بمعنى نسيج مِنْ قطن خشن، وبهذا فـ (القاف)، متطوّرة عَنِ (الكاف)، وقد أَشبهت الكلمة الفارسية بمعنى (النسيج)[3].

ويطلق الدكتور رمضان عبد التوّاب على هذا العامل (تطوّر أَصوات الكلمة)[4].

---

(1) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 136، والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، 112.

(2) ينظر: التطوّر اللغوي التأريخي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: بيروت، ط1، 1966م: 129.

(3) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 138 139. والوجيز في علم الدلالة، خسن مزبان، 53.

(4) ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، 112.

وفِي رأيي أنّ هذا العامل يقتصر على تطوّر أَصوات الكلمة الذي يؤدّي إِلى نشوء صوت آخر يحمل دَلالة أُخرى وينتج عن هذا تعدّد الدَّلالة ونشوء كلمة أُخرى غير الأُولى كما فِي (السغب) (التغب).

ج ـ الابتذال:

تؤدي الظروف السياسية والاجتماعية دورًا كبيرًا فِي ابتذال الأَلفاظ بسبب انحطاط بعض الرتب والأَلقاب التي كانت تعني شيئًا كبيرًا بسبب تغيّر الظروف السياسية، وهذا ما حدث فِي كلمة (حاجب)، التي كانت تعني فِي الدولة الأَندلسية (رئيس الوزراء) ثُمَّ صارت على النحو المألوف الآن إِذ انحدرت دلالتها فصارت تعني (البوّاب)، وكذلك الأَلفاظ (باشا، بك، أَفندي)، وهي أَلقاب تركية استُعملت فِي مصر وبعض البلدان العربية ثمَّ ابتذلها الناس بعد انتهاء الدولة العثمانية فأصبحت أَلفاظًا يتندر بها الناس لتفاهتها[1].

ولعلّ أَوضح الأَسباب فِي ابتذال بعض الأَلفاظ تلك التي تتّصل بالناحية النفسية العاطفية، وذلك أَنْ يكون اللفظ قبيح الدَّلالة، أَو يتّصل بالقذارة والدنس، أَو يرتبط بالغريزة الجنسية، فهنا يلحظ أَنَّ كلّ اللُّغات تفقد بعضًا مِنْ أَلفاظها التي تعبّر عَنْ هذه النواحي، فتندثر تلك الأَلفاظ ، ويحلّ محلّها لفظ آخر أَقلّ وضوحًا فِي دلالته وأَكثر غموضًا وتعميةً، مثل قضاء الحاجة، أَنا ذاهب إِلى الحمّام[2].

وذكر(فندريس): أَنَّ الانحدار الذي يصيب الكلمات ليعكس بطريقة ملموسة، إِمَّا الاحتقار الذي تكنّه الطبقات الاجتماعية بعضها لبعض، وإِمَّا البغض المتداول بين الأَوطان والأَجناس، وإِمّا التعصب الأَعمى مِنْ جانب الجماهير، وإِمَّا عدم احترام المتعصبين لآراء غيرهم، فالناس يتباغضون ويتبادلون الاحتقار، ويتنابذون الأَلقاب، واللُّغة حارس آمين على آثار هذه الحماقات المستمرّة[3].

وقد يتداخل الابتذال فِي بعض الأَلفاظ حتَّى ينطق النَّاس أَلفاظًا بلهجتهم فيظنونها مِنَ العامية وهي فصيحة، مثل الفعل (خشَّ) بمعنى (دخلَ) فهي فصيحة، ومثلها كلمة (روشن)، بمعنى(النافدة).

---

(1) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 134. والوجيز في علم الدلالة، حسن مزبان، 54.

(2) ينظر: اللغة والمجتمع، محمود السعران، الناشر: دار المعارف، الإسكندرية، ط2، 1962م، 14.

(3) ينظر: اللغة، (فندريس)، 256. والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، 114.

ومِنْ أَنواع الأَلفاظ تعرّض الأَلفاظ التي تعبّر عن الموت والمرض إِلى التغيّر السريع والتطوّر الدائم، فمثلاً كلمة (الهلاك) كانت فِي الاشتقاق السامي القديم تعني (الذهاب)، ومازالت مستعملة فِي اللُّغة العبرية لكنّها فِي العربية تطوّرت وأَصبحت تعني (الموت) [1].

2- الحاجة:

اللُّغة أَداة يعبّر بها النَّاس عَنْ أَفكارهم، وحاجاتهم، يقول ابن جنّي: " اللُّغة أَصوات يعبّر بها كل قوم عَنْ أَغراضهم "[2].وهذه الأَفكار والأَغراض في تطوّر مستمر ومتغيّر؛ لذا فالأَلفاظ تتطوّر تبعًا لتطوّر هذه الأَفكار والحاجات، والحاجة هي التي تُلحّ على النَّاسِ والعُلماء لإيجاد أَلفاظ تُساير التقدّم العلمي والحضاري فضلاً على أَنَّ الأُدباء والموهوبين مِنْ أَصحاب المهارة فِي الكلام يتمّ على أَيديهم تطوّر كثير مِنَ الأَلفاظ [3]، ومِنْ أَهم تطور دلالة الأَلفاظ ما يأتي:

أ ـ التطوّر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي:

فِي العصر الإِسلامي حدث تغيير كبير فِي مدلول كثير مِنَ الأَلفاظ والمُصطلحات الدينية والشرعية والثقافية واللُّغوية، وكانت أَلفاظها موجودة قبل الإِسلام، ولكنَّها كانت تدلّ على معانٍ أُخرى، فتحوّلت للدَّلالة على ما يقاربها مِنَ المعاني الجديدة، فمثلاً لفظ (المُؤمن) كان معروفًا فِي الجاهلية، ولكن كان يدلّ عندهم على الأَمان أَو الإِيمان، فأصبح فِي الإِسلام يدلّ على المُؤمن وهو غير الكافر، وكذلك المُسلم والكافر والفاسق، وقس على ذلك الاصطلاحات الفقهية كالطهارة، والعدّة، والحضانة، والنفقة، والإِعتاق، والاستيلاء، والتعزير، واللقيط، والوديعة، والعارية، والشفقة[4].

وهُناك الأَلفاظ الإِدارية التي استُحدثت لمَّا امتدّت الفتوحات واتّسعت رقعة الدولة، مِمَّا دفعت الحاجة إِلى مصطلحات إدارية وسياسية فحوَّرت معاني بعض الأَلفاظ العربية حتَّى صارت تفي بالأَغراض المطلوبة، وبذلك تضمنتا معنى اصطلاحيًا جديدًا غير المعنى الذي كانت تُعرف به في الجاهلية، حيثُ اقتبس العرب المسلمون بعض المصطلحات مِنَ الأَلفاظ الأَعجمية التي كانت شائعة فِي البلاد المفتوحة[5].

---

(1) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 136. والوجيز في علم الدلالة، حسن مزبان، 54.

(2) الخصائص، لابن جنّي، ج1/ 34.

(3) ينظر: الوجيز فِي علم الدلالة، حسن مزبان، 54..

(4) ينظر: اللغة كائن حي، جرجي زيدان، مراجعة مراد كامل، الناشر: دار الهلال، القاهرة، (د،ط/ د،ت)،65.

(5) ينظر: عوامل التطوّر اللغوي، أحمد عبد الرحمن حماد، 121.

وتتطوّر دلالة الأَلفاظ تبعًا للتطوّر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يصيب الناس، حينئذٍ تستجيب الأُمم لمظاهر الحياة الجديدة، فتعمل على تغيير الدَّلالات فِي بعض أَلفاظها، فتلجأ فِي بعض الأَحيان إِلى الأَلفاظ القديمة ذات الدَّلالات المتناثرة، فتحيي بعضها وتطلقه على مستحدثاتها، فنجد أَلفاظًا قديمة تحمل دَلالة جديدة كالدبّابة التي كانت تعني آلة حربية تتّخذ مِنَ الخشب الثخين تُغلّف بالجلود المُنقعة بالخلّ لدفع النار، وهكذا تُطلق الآن على معنى جديد يقترب مِنَ المعنى القديم [1]، ومثلها المِدفع، والسيَّارة، والبريد، والطائرة، والسخّان، والثَّلاجة، والقطار، وغيرها مِنَ الأَلفاظ، كما تطورت الأَلفاظ أَيضًا فِي الجانب السياسي تبعًا لتطور ظروف العصر ومتطلبات الحياة، ومِنْ أَمثلة ذلك ما حدث فِي البرلمان الإِنجليزي، فهو يختلف إِلى حدّ ما فِي لوائحه وقوانينه عَنْ برلمانات القرن السابع عشر، ومع ذلك فقد وجد أَنَّهُ مِنَ الأَصلح الاحتفاظ باللفظ الدالّ عليه، ولو فرض حدوث تعديل دستوري آخر، وكثيرًا ما يُناقش هذا التعديل فِي الوقت الحاضر والذي يرمي إِلى تغيير الطريقة التي يتكوّن مِنْها مجلس (اللوردات) مثلاً فإِنَّ هذا التعديل لا يتضمّن التخلّص مِنَ الاسم ذِي الشهرة التأريخية، وتغييره إِلى (جمعية) أَو (كونجرس) مثلاً، غير أَنَّ هذا المدلول سوف يلحقه تغيير جوهري، ولكنَّه يظلّ مرتبطًا بالمدلول القديم ومتّصلاً به.[2].

ب ـ الاقتراض:

قد تدعو الحاجة أَو الضرورة إِلى الالتجاء إِلى أَلفاظ اللُّغات الأَجنبية، فيّستعار مِنْها ما تمسّ الحاجة إِليه فِي بعض الأَحيان، ومَا لا يُحتاج إِليه أَحيانًا أُخرى.

واللُّغات تستعير بعضها مِنْ بعض لأَغراض مِنْها: الإِعجاب باللفظ الأَجنبي، ويقتصر الاقتراض على الأَلفاظ والكلمات، وهكذا أَخذ العرب أَلفاظًا مِنَ الفرس واليونان والروم للتعبير عن أَشياء ليست فِي بلاد العرب سموّها(المُعرّبات) ذكرتها المعاجم العربية، ثمَّ أُلّفت فِيها كُتب مستقلّة، مثل: شفاء الغليل للشهابي، والمُعرّب لأَبِي منصُور الجواليقي، وهكذا استعارت اللُّغة العربية أَلفاظًا ثُمّ غيّرتها على حسب صيغتها، ومِنَ الأَلفاظ التي أَخذوها: الخندق مِنَ الفارسية (خنده)، والصراط وأَصله الكلمة اللاتينية(ستراتا)، والأَسفنط، وهو من أَجود أَنواع الخمر والسكّر، وهي المادّة الحلوة المعروفة، والشاي وهو فِي الفارسية والتركية(تشاي)، والقرش وهي العملة المعروفة مأخوذة مِنَ اللاتينية(جروسو)، والريال: اسم لنقد عربي قديم عُرفَ فِي المغرب وفِي كثير

(1) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 145 ـ 146.

(2) ينظر: اللغة والمجتمع، د. محمود السعران، 14 . 15.

مِنْ بلاد المشرق، وهو مأخوذ مِنْ كلمة (رويال)، بمعنى الملكي، والبسترة، ومبستر مأخوذة مِنْ باستير مكتشف عملية حفظ الحليب مِنَ التلف والتعفّن[1].

وفِي رأيي أَنَّهُ ليست كلّ هذه الأَلفاظ مقترضة، كالصراط والاستبرق والسكّين فكل لفظ ورد فِي القرآن الكريم فهو عربي، وليس أجنبيًا كما ظنوا؛ لأَنَّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، وذكر الله سبحانه وتعالى أَنَّهُ قرآن عربي مُبين.

ثانيًا- التغيّر الدَّلالي الخاصّ أَو المقصود:

للتطوّر الدَّلالي عوامل مُختلفة تؤدّي إِليه، ومظاهر معيّنة يسلكها هذا التطوّر، أَمَّا عوامل التطوّر فكما أَشرتُ ـ سابقًا ـ منها عوامل غير مقصودة والتي تحدّثتُ عنها وفصّلتُ القول فيها، وقد تناولتها المصادر المُختلفة، وهُناك عوامل مقصودة كقيام المجامع اللُّغوية بخلع دلالات جديدة على بعض الأَلفاظ عند وجود حاجة تتطلّب ذلك، فقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب: " أَمَّا عوامل التطوّر، فمنها عوامل مقصودة متعمدة، كقيام المجامع اللُّغوية، والهيئات العلمية بمثل ذلك، عند وجود الحاجة إِلى خلع دلالات جديدة على بعض الأَلفاظ التي تطلّبتها الحياة الاجتماعية، أَو الاقتصادية، أَو السياسية الجديدة[2]" .

وقد أَهمل كلّ مِنْ كَتَبَ فِي علم الدَّلالة فِي موضوع (التغيّر الدَّلالي)، التغير المقصود ولم يتحدثوا عنه كما ذكر الدكتور رمضان عبد التواب أَنَّهُ متروك للمجامع اللُّغوية والهيئات العلمية؛ لذا سأعرّج على بعض ما ذكرته المجامع اللُّغوية، ومنها الأَلفاظ التَّالية:

1- (جريدة):

اعترض بعض المُحدثين على استعمال كلمة(جريدة) بمعنى(الصحيفة)[3].بحجّة أَنَّها مُحدثة، ولا حاجة بنا إِلى استعمالها ما دام فِي الفصحى ما يؤدّي معناها.

لكنّ مجمع اللُّغة العربية فِي القاهرة أَجاز استعمالها إِلى جانب كلمة(صحيفة)، فذكر أَنَّهُ يجوز أَنْ تقول: قرأتُ جريدة المساء، أَو صحيفة المساء[4].

---

(1) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 146. وعوامل التطوّر اللغوي، أحمد عبد الرحمن حماد، 119.

(2) التطوّر اللغوي(علله وقوانينه)، رمضان عبد التواب، 111.

(3) ينظر: معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، الناشر: مكتبة لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1980م: 55.

(4) المُعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، مادة (جرد).

2- (شهيّة):

خطّأ أَسعد داغر، وزهدي جار الله [1] مَنْ يقول: فلانٌ ذو شهيّة للطعام، والصحيح فلانٌ ذو شهوة؛ لأَنَّ (الشهيّة مؤنّث الشهيّ).

لكنّ مجمع اللُّغة العربية فِي القاهرة [2]، والمكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية [3] أَجاز استعمال (الشهيّة) بمعنى (الشهوة).

3- (جريحة):

اعترض بعض المُحدثين، أَمثال أَسعد داغر، وزهدي جار الله، ومحمد العدناني [4] على مَنْ يستعمل لفظة (جريحة) بقوله: (فلانة جريحة)؛ بحجّة أَنَّ وزنها(فعيل) الذي بمعنى (مفعول) يستوي فيه المذكّر والمؤنّث.

لكنّ مجمع اللُّغة العربية فِي القاهرة أَجاز تأنيث (فعيل) إِذَا كان وصفًا للمؤنّث بمعنى (المفعول)[5].

4- (صَمَدَ و الصمود):

خطّأ الدكتور مصطفى جواد مَنْ يقول: (صمدنا لهجوم العدوّ)؛ بحجّة أَنَّ الفعل(صمدَ) لم يُستخدم فِي اللُّغة العربية بمعنى (ثَبُتَ)، بل بمعنى (قصدَ)، ثُمّ قال: إِنَّ مصدر (صَمَدَ) هو (الصمد) لا(الصمود)، والصحيح ثبتنا لهجوم العدو والمصدر(الثبات)[6].

لكنّ لجنة الأُصول فِي مجمع اللُّغة العربية فِي القاهرة درستْ هذا الأسلوب فرأت أَنَّ معنى (الثبات) بعيد مِنَ الصلابة التي هي أَحد أصلي الصمد، كما أَنَّ (الصمود) ليس من الخطأ جعله مصدرًا لـ (صمدَ) لما ذكره ابن القطّاع؛ ولأَنَّ (الفُعول) مصدر قياسي لـ (فَعَلَ) اللازم

---

(1) ينظر: تذكرة الكاتب، أسعد داغر، الناشر: مطبعة المقتطف، القاهرة، ط1، 1973 م: 40 والكتابة الصحيحة، زهدي جار الله، الناشر: المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1977م: 186.

(2) ينظر: المعجم الوسيط: مادة (شهو).

(3) ينظر: معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، 136.

(4) ينظر: تذكرة الكاتب، أسعد داغر، 40، والكتابة الصحيحة، زهدي جار الله، 64، ومعجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، 55.

(5) أصول اللغة، مجمع اللغة العربية في القاهرة، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1969م، 1/ 106.

(6) ينظر: قل ولا تقل، د.مصطفى جواد، الناشر: مطبعة أسعد، بغداد، ط1، 1970 م: 22 ـ 27.

المفتوح العين فِي بعض دلالاته[1]، وقد وافقها المجمع اللُّغوي فِي القاهرة على تسويغ استعمال (صمدنا لهجوم العدو)، بمعنى (ثبتنا فِي وجهه)[2].

5- (غيورون):

خطّأ إبراهيم المنذر، وعبّاس أَبو السعود، أَسعد داغر[3] مَنْ يجمع (غيور) على (غيورين)، والصواب عندهم أَنْ نجمعها على (غُيّر)؛ بحجّة أَنَّ الصفة التي على وزن (فعول) والتي يستوي فيها المذكّر المؤنّث لا تُجمعُ جمعَ مذكّرٍ سالمًا.

غير أَنَّ مجمع اللُّغة العربية فِي القاهرة أَجاز جمعه على (غيورين)[4].

إِنَّ هذه التجويزات التي قام بها المجمع اللُّغوي فِي القاهرة تعدّ مِنْ قبيل التطوّر الدَّلالي الخاصّ المقصود ونكتفي بهذا القدر؛ لأَنَّ الكلام على هذا طويل.

وفِي رأيي أَنَّ مَا قام به مجمع اللُّغة العربية فِي القاهرة مِنْ إِجازة هذه الأَلفاظ التي اعترض بعض أَساتذة اللُّغة عليها تدخل فِي التطور الدَّلالي التأريخي، ويزيد العربية اتّساعًا وثراءً، ومواكبة العصر وما يُستجدّ فيه.

---

(1) ينظر: الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية في القاهرة، الناشر: الهيئة العامة لشؤون الطباعة الأميرية، ط1، 1977م، 35.

(2) ينظر: المصدر السابق: الموضع نفسه.

(3) ينظر: كتاب المنذر، إبراهيم المنذر، الناشر: بيروت، مطبعة السلام، ط1، 1927م: 2، وأزاهير الفصحى في دقائق اللغة، عبّاس أبو السعود، الناشر: دار المعارف ـ مصر، ط1، 1970م: 82. وتذكرة الكاتب، أسعد داغر، 109.

(4) كتاب في أصول اللغة، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ج74/1.

المبحث الثَّاني
أهمّ مظاهر التغيّر الدَّلالي

توطئة.

أولاً- توسيع المعنى.

ثانيًا- تضييق المعنى.

ثالثاً- رقي المعنى.

رابعًا- انحطاط المعنى.

توطئة:

يتّسم التغيّر الدَّلالي بأنَّـهُ يسير ببطء بحيث يُخفى عن الحسّ الفردي المباشر، وأنَّـهُ يحدث مِنْ تلقاء نفسه مِنْ دون دخل للإرادة الإنسانية فيه، يرى الدكتور فريد عوض أَنَّ هذا يكون فِي غالب الأَحيان وليس فِي جميعها، ففي مجال الاصطلاح أَو المصطلح نجد أَهل التخصّص يتواضعون على نقل دلالة اللفظ؛ لكي يتّفق مع ما يريدون منه مِن معنى بحيث يتناسب مع مجال استعمال اللفظ فِي تخصصهم[1].وهو جبري الظاهر؛ لأَنَّـهُ يخضع لقوانين دلالية كالتخصيص والتعميم والانتقال، وأَنَّ الدَّلالة الجديدة للفظ ترتبط غالبًا بالدَّلالة التي كان عليها، والتي انتقل معها بإِحدى علاقات المجاز المرسل أَو علاقة المشابهة، وهذه العلاقات يعتمد عليها تداعي المعنى فِي الذهن البشري، وهذا التطوّر الدَّلالي ـ فِي غالب أَحواله ـ مقيّد بالزمان والمكان، فمعظم ظواهره يقتصر على بيئة معيّنة، وعصر خاصّ، ولا نكاد نعثر على تطوّر دلالي لحق جميع اللُّغات الإِنسانية فِي صورة واحدة ووقت واحد.

وللتغيّر الدَّلالي مظاهر ذكرها العُلماء، وهي على النحو الآتي:

أوّلاً ـ توسيع المعنى:

ويُطلق كذلك عليه (تعميم الدَّلالة) [2]، ويرى الدكتور إِبراهيم أَنيس أَنَّ تعميم الدَّلالة أَقل شيوعًا فِي اللُّغات، وأَقلّ تأثّرًا فِي تطوّر الدَّلالات وتغيّرها مِنْ تخصيصها [3]، ويلحظ هذا التعميم أَكثر لدى الأَطفال حين يطلقون اسم الشيء على كلّ ما يُشبهه لأَدنى ملابسة أَو مُماثلة، ويأتي ذلك نتيجة لقلّة محصولهم اللُّغوي، وقلّة تجاربهم مع الأَلفاظ، فقد يطق الطفل لفظة حمار على كلّ حيوان يراه سواء أَحصانًا كان أَم بقرةً أَم خلافهما، وقد يُطلق لفظة دجاجة على كلّ طائر يُشاهده، وقد يطلق لفظة الأَب على كلّ رجل يُشبه أَباه فِي زيّه أَو قامته أَو لحيته[4].

والانتقال بالدَّلالة الخاصة إِلى الدَّلالة العامة إِيثار للتيسير على النفس، والتماس لأيسر السُبُل فِي الخطاب اليومي، مِنْ ذلك لفظة (البأس)، التي كانت فِي أَصل المعنى تُطلق فِي

(1) ينظر: علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية)، د. فريد عوض حيدر، 236.

(2) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، 245.

(3) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 154 . 155.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 155، والوجيز في علم الدلالة، حسن مزبان 46.

الحرب ثُمَّ أَصبحت تُطلق على كلّ شدّة، كذلك كلمة (الوردة) فهي تُطلق على أَيّ نوع مِنْ أَنواع الزهور، وكلمة (البحر) التي تُطلق على كل ماء سواء، أَبحرًا كان أَم نهرًا.

ومِنْ أَنواع تعميم الدَّلالة تحويل الأَعلام إِلى صفات، فمثلاً العلم (قيصر) يُطلق ويُراد به العظيم الطاغية، و(نيرون)، يُطلق رمزًا لكلّ ظالم مجنون، و(حاتم) للكرم والضيافة الحسنة، و(عرقوب) لكلّ مخادع لا يفي بوعده[1].

وكذلك كلمة (مكتب) التي تدلّ على المكتب الخاص بالكتابة، ومكتب المحاماة، ومكتب المدير، ومكتب البريد، ومكتب الرئيس.

ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب ما كان فِي لُغة أَهل الأَندلس فِي القرن الرابع الهجري مِنْ تعميم الدَّلالة إِطلاقهم كلمة (البلاط) على البيت المُحصَّن البناء، وهي فِي الأَصل للحجارة المفروشة بالأَرض، وجعلهم كلمة (الاستحمام) للاغتسال بالماء مطلقًا حارًا كان أَو باردًا، وهي فِي الأَصل للاغتسال بالماء الحميم أَي الحار[2].

وذكر الحريري(ت516هـ): استعمال الناس كلمة (القافلة) لجماعة الركب مطلقًا راحلةً كانت أَو قادمة، وهي فِي الأَصل للرفقة الراجعة مِنَ الفعل (قفلَ) بمعنى (رجعَ) [3].

ومِنْ ذلك استعمال (تعالَ) للأَمر بالمجيء مطلقًا، وأَصلها الأَمر لمَنْ كان فِي سفل أَنْ يأتي محلاً مرتفعًا، ثُمَّ استُعملت لمطلق المجيء[4].

وكذلك فِي اللُّغات الأَجنبية كلمة (arrived) التي كانت تعني الوصول إِلى شاطىء النهر، ثُمّ تعمّت دلالتها فأصبحت تعني الوصول فقط، وكذلك كلمة (picture) كانت تُطلق على اللوحة المرسومة، ثُمَّ تعمّمت دلالتها فأصبحت تُطلق على كلّ صورة فوتوغرافية [5].

وقد وردت فِي كتاب (الزاهر) إشارات إِلى تعميم الدَّلالة، وأَلفاظ تحوّلت مِنَ الخصوص إِلى العموم، وهو قليل فِي اللُّغة العربية، مِنْ ذلك قول أَبي بكر بن الأَنباري: " فإِنَّ أَبي ووالده

---

(1) ينظر: الوجيز في علم الدلالة، حسن مزبان، الموضع نفسه. وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر، 244.

(2) ينظر: لحن العوام، أبو بكر الزبيدي، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التوّاب، القاهرة، ط1، 1964م: 240 ـ242 والتطور اللغوي، إبراهيم السامرائي، 117.

(3) ينظر: درّة الغواص في أوهام الخواص، الحريري، الناشر: مطبعة الجوائب، اسطنبول، 1299 هـ: 172 م، والتطوّر اللغوي، إبراهيم السامرائي، 118.

(4) ينظر: شفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، القاهرة، 1325هـ: 53، والتطوّر اللغوي، إبراهيم السامرائي، 118.

(5) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 115.

وآبائي، فأتى بالعموم بعد الخصوص " [1]، وإشارة أخرى، قوله: " قد شكرتُ فلانًا على حسن خُلُقه وعلى شجاعته، فالحمدُ أعمُّ مِنَ الشكر " [2].أَمَّا الألفاظ التي وردت مِنْ باب (تعميم الدَّلالة)، وهي قليلة، فهي كما يلي:

أ ـ الوِرْد: أَصله إِتيان الماء، ثمّ صار انتقال كلّ شيء وِرْدًا.

ب ـ القُرْب: هو طلب الماء ثُمّ صار، ثُمَ صار يُقال ذلك لكلّ طلب، فيُقال: هو يُقرب كذا، أَي: يطلب كذا [3].

ج ـ البأس: الشدّة فِي الحرب ثُمَّ صار معنى الشدّة فِي كلّ شيء، قال تعالى: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾[4].

د ـ تنزّه: التنزيه هو تطهير الله مِنَ الأَولاد والشركاء، قال أَبو عبيدة: ثُمَّ كَثُرَ استعمال العرب هذا حتَّى جعلوا التنزّه والخروج إِلى البساتين والخُضْر والأَصل ذاك [5].

هـ ـ استنجى: قال أَبو بكر: " معناه: قد تمسّح بالأَحجار، وأَصل هذا مِنَ النجوة، والنجوة ما ارتفع مِنَ الأَرض، فكان الرجل إِذا أَراد قضاء الحاجة طلب النجوة مِنَ الأَرض ليستتر بها، فكانوا يقولون: قد مرَّ فلان بنجو، أَي يطلب مكانًا مرتفعًا، كما قالوا: قد مرَّ يتغوّط، أَي: يطلب الغائط، والغائط ما اطمأنَّ مِنَ الأَرض ثُمَ سُمّيَ الحدث نجوًا وغائطاً، والأَصل ما ذكرنا " [6].

ثانيًا ـ تضييق المعنى:

وسمّاه الدكتور أَحمد مختار عمر (تخصيص الدَّلالة)، وهو تحويل الدَّلالة مِنَ المعنى الكُلي إِلى المعنى الجزئي أَو تضييق مجالها، وعرّفه بعض اللُّغويين بأَنَّهُ تحديد معاني الكلمات وتقليلها، أَي أَنَّهُ تقليص المعنى [7].

---

(1) كتاب الزاهر، الأنباري، ج2/68.

(2) المصدر السابق، ج2/ 85.

(3) المصدر نفسه ج1/116، ج2/92.

(4) سورة غافر: من الآية (29).

(5) ينظر: الزاهر، للأنباري، ج1/326.

(6) المصدر السابق، ج1/136.

(7) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، 245. 246.

وذكر الدكتور إبراهيم أنيس أَنَّ الأَلفاظ فِي معظم لُغات البشر تتذبذب دلالتها بين أَقصى العموم كما فِي الكليات، وأَقصى الخصوص كما فِي الأَعلام، هناك درجات مِنَ العموم و وهُناك درجات مِنَ الخصوص، والأَطفال يُدركون الدَّلالة الخاصة قبل إدراكهم الدَّلالة العامة، فيبدأ الطفل حياته بأَنْ يجعل مِنْ كلّ لفظ جديد على سمعه عِلمًا على شيء معيّن، فحين يسمع كلمة (السرير)، ويربطها بمهده ومكان نومه تظلّ فِي ذهنه زمنًا ما أَشبه بعلم على سريره هو وحده، والنَّاس فِي حياتهم العامة ينفرون عادة مِنْ تلك الكليات التي لا وجود لها إلاَّ فِي الأَذهان، ويؤثرون الدَّلالات الخاصّة التي تعيش معهم فيرونها، ويسمعونها، ويلمسونها؛ لذا يسهل عليهم تداولها والتعامل بها فِي حياة أَكثر ما فيها ملموس محسوس، وهو لقصور فِي الذهن حينًا، أَو بسبب الكسل والتماس أَيسر السُبُل حينا آخر[1].فإذا رأينا استعمال لفظة ما قد شاع وذاع بين جمهور الناس رأينا أَنَّ هذا اللفظ قد تطوّرت دلالته مِنَ العموم إلى الخصوص، وضاق مجالها واقتصر على ناحية منها، وهذا هو ما يُسمّى (تخصيص الدَّلالة)، ويصيب أَلفاظًا كثيرة مِنْ لُغات العالم، مِنْ أَمثلة التخصيص كلمة (العيش) التي كانت تدلّ عل الحياة وأَسبابها لكنّها الآن أَصبحت تدلّ على الخبز الذي هو سبب مِنْ أَسباب الحياة، كما هو فِي لهجة المصريين، وكذلك كلمة (الحريم) كانت تُطلق على كل محرَّم لا يُمسّ، أَصبحت الآن تُطلق على النساء، وكلمة (حرامي) كانت تُطلق على كلّ نسبة إلى الحرام، أَمَّا بعد ذلك فقد تخصّصت دلالتها منذ القرن السابع الهجري وأَصبحت تُطلق على اللص، وما زالت، وكذلك كلمة (الطهارة) إذْ كانت تعني النظافة مِنْ كلّ شيء ثمّ تخصّصت فأصبحت تُطلق على الختان [2].

وكذلك فِي اللُّغات الأَجنبية فكلمة (meet) كانت سابقًا تُطلق على الطعام ثُمَّ أَصبحت تُطلق على اللَّحم، وكذلك كلمة (poison) كانت تعني الجرعة مِنْ كلّ سائل، ثُمَّ أَصبحت تُطلق على الجرعة السامّة [3].

وفِي رأيي أَنَّ اللهجة الليبية تميل إلى التخصيص إلى أَكثر مِنْ التعميم، مِنْ أَمثلة ذلك إطلاق كلمة (الساخن) على الماء والأَكل، وكلمة (الحارّ) على الفلفل فِي حين نجد بعض اللَّهجات مثل العراقية يطلقون (الحار) على كل شيء مثل الماء والأَكل والفلفل والجو، وكذلك

(1) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 153 ـ 154.

(2) ينظر: التطور اللغوي (علله وقوانينه)، رمضان عبد التواب، 116.

(3) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 155، والوجيز في علم الدلالة، حسن مزبان، 45.

تطلق كلمة (لوطا) على الأَسفل و(جوا) على الداخل، فِي حين بعض اللهجات العربية ومِنْها العراقية تطلق كلمة (جوا) على الداخل والأَسفل.

ومِنْ مظاهر تخصيص الدَّلالة أَو تضييقها فِي كتاب الزاهر، ما يلي:

أ- **المأتم:** كان يطلق على اجتماع النَّاس فِي الفرح والحزن ثُمَّ تخصصت اللفظة لتدلّ على الاجتماع فِي الحزن، وعدّ أَبو بكر بن الأَنباري خطًا، بقوله: " المأتم فِي كلام العرب النساء المجتمعات فِي فرح أو حزن، وقال الطوسي: يُقال للرجال أَيضًا إِذا اجتمعوا فِي فرح أَو حزن مأتم، والعامة تغلط فِي هذا فتظنّ أَنَّ المأتم للنوح والنياحة، وليس هكذا " [1].

ب- **الطرب:** هو خفّةٌ تأخذ الشخص عند الفرح أَو الحزن ثُمَّ تخصصت دَلالة اللفظ لتدلّ على الفرح فقط، ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " وقولهم قد طرب الرجل، معناه قد خفّ لشدّة فرحٍ لحقه أَو حزن، والعامة تظنّ أَنْ لا يكون إِلاَّ مع الفرح، وهو خطأ منهم "[2].

ج- **بشّر:** والبشرى: البشرى تكون للسرور والفرح ثُمَّ تخصّصت دلالته وأَصبح يُطلق على الخير والسرور فقط، ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " العامة تُخطئ فِي معنى بشّرتُ فيذهبون أَنَّهُ لا يكون إِلاَّ فِي السرور والفرح، والعرب تقول: بشّرتُ فلانًا بالخير، وبشّرته بالشرّ " [3].

د- **الحميم:** يقع على الماء الحارّ والبارد، ثُمَّ تخصّصت دلالته فأصبح يُطلق على الحارّ فقط، ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " والحميم هو الماء الحارّ والبارد، ثمّ اطلق العامة الحميم على الماء الحارّ وهو خطأ، ذكر أَبو عمرو أَنَّهُ الماء البارد، وأَنشد يزيد بن الصعق:[4]

فساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ[5]

ثالثًا- رقيّ المعنى:

ويسمّيه بعض اللُّغويين (التغيّر المتسامي) [6]، فكما يصيب الدَّلالة انحطاط فإِنَّهُ يصيبها رقي فِي الدَّلالة أَيضًا لكنّه أقلّ حدوثًا وشيوعًا مِنَ الانحطاط، ذكر (فندريس): " أَنَّ كلمة (مارشال) انحدرت إِلينا مِنْ (خادم الإِسطبل)، وأَنَّ كلمتي (ملاك، ورسول) فِي العربية كانتا فِي

(1) كتاب الزاهر، الأنباري، ج262/1.
(2) المصدر السابق: ج264/1.
(3) المصدر نفسه: ج135/2.
(4) ينظر: شرح ابن عقيل، ج2/ 56.
(5) ينظر: المصدر نفسه: ج2/ 164، والبيت ليزيد بن الصعق، من بحر الوافر.
(6) ينظر: علم اللغة، محمود السعران، 230.

السابق بمعنى الشخص الذي يرسله المرء فِي مهمة مهما كان شأنها، ثُمّ تطوّرتا وأَصبح لهما تلك الدَّلالة السامية التي نألفها الآن"[1].

وكلمة (السُفْرة)، كانت تعني قديمًا طعام المسافر، أَمَّا ـ الآن ـ فتعني الطعام الفاخر الذي يوضع على طاولة فخمة، وكذلك لفظة (البيت) كانت تُطلق على بيت الشَعْر وهي الآن تدلّ على البيت المستقلّ الجميل (الفيلا).

أَمَّا المراكز العلمية فِي القرن السادس الهجري فقد استقرّت على حال معيّنة، فأصبحت مُحدّدة المعالم متدرّجة الرتب فِي سلسلة مِنَ الأَلفاظ التي اصطُلِح عليها، وهي:

المعلّم، فالمؤدِّب، فالمُدرِّس، فالمعيد، فالشيخ، فالأستاذ، فالرحّالة، فالعالم، فالإمام، وهذه الأَلقاب العلمية لها مراحل تختلف فيها، فالرحّالة كان لقبًا أرقى مِنَ الأستاذ، ولعلّه كان مِنْ أَلقاب بعض الأَساتذة الذين اشتُهروا بالتجوّل والأَسفار، ولقب (المُدرّس) أَقلّ منزلة مِنَ المعيد، وإِنَّ (المعيد) فِي ذلك العصر كان يعادل عندنا (الأستاذ المساعد) [2].

ومِنَ الأَلفاظ التي ذكرها أَبو بكر الأَنباري فِي كتابه (الزاهر)، ودلّت على رقي الدلالة، مَا يأتي:

أ ــ (الرسول): كانت هذه اللفظة تعني الشخص المبعوث لقضاء مهمة ما، ثُمَّ انحصرت هذه الكلمة بالرسالة وصاحبها وهو الرسول محمد ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ [3]

ب ــ (الفاسق): لم يعرف العرب قبل الإسلام غير (فَسَقتِ الرطبةُ إذا خرجت عن قشرها) ومعناه فِي الإسلام الإفحاش فِي الخروج عَنْ طاعة الله، ذكر أَبو بكر بن الأنباري: " قال أَهل اللُّغة: الفاسق معناه الخارج عن الإيمان إِلى الكفر، وعَنْ الطاعة إِلى المعصية، أُخِذَ مِنْ قولهم: قد فَسَقَتِ الرطبةُ إِذا خرجت عَنْ قشرها، وقال قوم: الفاسق الجائر، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[4]، معناه: جار عَنْ أَمر رَبّه "[5].والآن يُقال فاسق لكلّ مَنْ خرج عَنِ الطريق السويّ الصحيح.

---

(1) دلالة الألفاظ، إبراهيم أَنيس، 158.

(2) ينظر دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 159، والوجيز في علم الدلالة، حسن مزبان، 48.

(3) كتاب الزاهر، ابن الأَنباري، ج421/1.

(4) سورة الكهف: من الآية (50).

(5) كتاب الزاهر، ابن الأنباري، ج217/1.

ج ـ (الكافر): لم يعرفه العرب إلاَّ بمعنى الغطاء والستر، ويقال للزارع: كافر، قال أَبو بكر بن الأَنباري: " قال أَهل اللُّغة: الكافر معناه فِي كلام العرب الذي يُغطّي نعمَ الله وتوحيده، أُخِذَ مِنْ قول العرب: قد كفرتُ المتاعَ فِي الوعاء أكفره كُفرًا إذا سترته فيها... ويّقال للزارع كافر؛ لأَنَّهُ إذا أَلقى البذر فِي الأَرض غطّاه بالتراب"[1].

د ـ (المُؤمن): لم يكن المؤمن عند العرب غير التصديق، والمؤمن هو المُصدّق ثُمَّ جاء الإسلام فحدّده بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، قال أَبو بكر بن الأَنباري: "رجل مؤمن، معناه: مُصدّقٌ لله ورسله، يُقال: قد آمنتُ بالشيء إذا صدّقتَ به " [2].

هـ ـ (المُنافق): معناه فِي اللُّغة يختلف عَمَّا عُرِفَ به فِي الإسلام، ففِي الإسلام معناه هو الذي دخل الإسلام بلسانه دون قلبه، وقد وصف أَبو بكر بن الأَنباري معناه اللُّغوي بقوله: " فيه ثلاثة أَقوال: قال أَبو عبيدة: إذا قيل له مُنافق؛ لأَنَّهُ نافق كاليربوع، يُقال: قد نافقَ اليربوع ونفق إذا دخل نافقاءه... قال: فقيل له مُنافق؛ لأَنَّهُ يخرج مِنَ الإسلام مِنْ غير الوجه الذي دخل فيه...وقال آخرون: النفاق مأخوذ مِنَ النفق وهو السرب... وقال قوم: المُنافق مأخوذ مِنَ النافقاء، وهو جُحر يخرقه اليربوع مِنْ داخل الأَرض فإذا بلغ إلى جلدة الأَرض أَرقَّ حتَّى إذا رابه ريب دفع التراب برأسه وخرج، فقيل للمُنافق منافق؛ لأَنَّهُ يُضمر غير ما يُظهر " [3].

وفِي رأيي أَنَّ المُنافق هو الإنسان الذي يُظهر عكس ما يُبطن، أَو الإنسان الذي يراوغ فِي كلامه.

ومِمَّا تقدّمَ فِي باب (رقي الدَّلالة)، هو كذلك مِنْ باب (انتقال الدَّلالة) إذ تخرج بدلالتها مِنَ المألوف والواقع إلى شيء مجازي، والأَلفاظ التي تمَّ ذكرها قد خرجت مِنْ معناها إلى معنى سامٍ آخر بفضل الإسلام الذي تطوّرت الأَلفاظ مِنْ خِلاله إلى معانٍ أُخرى تطابق ما جاءت به العقيدة الإسلامية.

---

(1) المصدر السابق: ج1/216.

(2) المصدر نفسه: ج1/202.

(3) كتاب الزاهر، الأَنباري، ج1/229 . 230.

رابعًا ـ انحطاط المعنى:

ويسمّيه الدكتور محمود السعران (التغيّر الانحطاطي أَو الخافض) [1]، ويعني بها فقدان بعض الأَلفاظ شيئًا مِنْ رونقها أَو هيبتها فِي ذهن الناس بسبب الانهيار الذي يصيبها أَو الضعف، وبذلك تفقد مكانتها بين الأَلفاظ التي تنال مِنَ المجتمع الاحترام والتقدير.

وهُناك أَلفاظ تبدأ حياتها معبّرة عَنْ أَشياء شنيعة أَو فظيعة تفزع الأَذان لسماعها، وبعد مرور الأَيام يكثر تداولها بيَّن الناس فيستعملونها فِي مجالات أَضعف مِنَ الاستعمال الأَوَّل، الأَمر الذي يؤدّي إِلى انهيار قوّة دلالتها الأُولى لأَسباب سياسية واجتماعية ونفسية [2].

ولو تتبعنا تطوّر الأَلفاظ العربية منذ العصر الجاهلي إِلى الآن لوجدنا أَلفاظًا كثيرة تطوّرت وسمت، وأُخرى انحطّت وانزوت فِي المجتمع وانمسخت مِنَ الأَذهان، ونحن نعرف أَنَّ مجيء الإِسلام كان ثورة كبرى فِي المجتمع، ثورةً على كل العادات والقيم السيئة فِي المجتمع الجاهلي، فقد سادت فِيه عادات وتقاليد مِنَ الصعب نزعها مِنْ جذورها لولا معجزة مِنَ الله سبحانه وتعالى ببعث الرسول عليه الصلاة والسلام ونزول القرآن.

فعندما نزل القرآن الكريم كان مِنْ واجب كلّ مسلم أَنْ يعرف معنى جميع الكلمات أَو الأَلفاظ الموجودة فيه، وشرح الغموض فِي بعض أَلفاظه ـ إِن وُجِدَ هذا الغموض ـ ؛ لذلك يلحظُ ظهور شروح وتفسيرات عديدة، وقد نشطت حركة التأليف، وكان القرآن الكريم فِي الحقيقة هو المحور الأَساس لكثير مِنَ الدراسات اللُّغوية، قال أَبو عمرو بن العلاء(ت159هـ) وهو أَحد القُرّاء السبعة: " إِنَّ فهم لُغة القرآن وتدبّر معانيه غاية كلّ مسلم، وإِنَّ الشعر واللُّغة ينبغي أَنْ يكونا أَدوات لفهم القرآن "[3].

أَمَّا فِي العصر الحديث فنرى على مستوى العامل السياسي فقد فقدت بعض الأَلقاب السياسية كثيرا من هيبتها بعد إِلغاء الرتب والأَلقاب فِي مصر فأَصبحت الأَلقاب مثل: (باشا بك، أفندي، سيّد)، ذات قدر ضئيل بعد أَنْ كانت مرموقة، ومن الأَلقاب التأريخية التي أَصابها الابتذال كلمة (حاجب) التي كانت تدلّ على مقام رئيس الوزراء فِي الدولة الأَندلسية، لكنّها ـ

(1) ينظر: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 228.

(2) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 156.

(3) التطوّر اللغوي التأريخي، د. إبراهيم السامرائي، 49.

حاليًا ـ تدلّ على البوّاب، ومثله فِي الإنجليزية حين شاع إطلاق كثير مِنْ هذه الأَلقاب على الأَشخاص العاديين، نحو: (sir) أو (lady) [1].

أَمَّا على مستوى العامل النفسي أَو العاطفي فهو أَوضحها تأثيرًا، فكثيرًا ما تتغير الأَلفاظ المرتبطة بالغريزة الجنسية أَو المقابح و العورات أَو القذارة، وتحلّ محلّها أَلفاظ عامة غامضة، فقد كنّى القرآن الكريم عَنِ العلاقة الجنسية بألفاظ كريمة، منها (الحرث ـ الدخول . الملامسة ـ الرفث ـ الإفضاء ـ النكاح)، يأخذ معنى فِي أَذهان العامّة يثير الحرج مع أَنَّها وردت فِي القرآن الكريم كثيرًا بمعنى (الزواج) [2].

ومِنْ أَشهر الأَلفاظ التي كانت تدلّ على معنى سامٍ ثُمّ انحدرت لتدلّ على صفة رذيلة هي كلمة (طول اليد)، التي كانت تدلّ على السخاء والكرم، وبها وصف النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ زوجه عائشة ـ رضي الله عنها ـ حين سأله بعض أَزواجه: " أيّنا أسرع لحاقًا بك يا رسول الله ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ أَطولكُنَّ يدًا "، ثُمَّ أَصبحت تدلّ على السارق، ومثلها (نؤوم الضحى) التي كانت تدلّ على العزّة والرفاهية، فأصبحت تدلّ فِي المُجتمع المصري على الخمول والكسل[3].

ولم يرد في كتاب الزاهر مَا يدلّ على ألفاظ قد انحطّت دلالتها.

ويمكن استخلاص أَهم نتائج هذا الفصل فيما يأتي:

1- إِنَّ تطوّر الدَّلالة يُعَدُّ مِنَ المَعَاني الرئيسة التي تواجه أَيّ لُغة؛ لأَنَّ اللُّغة مُقيّدة بحدود زمانية ومكانية، ومقاييس اجتماعية ونفسية وثقافية، يصعب معها توجيه دلالات الأَلفاظ وما تشير إِليه بدقّة.

2- يشترك النَّاس فِي الدَّلالة المركزية؛ لأَنَّها مفهومة عند جميع أَفراد المجتمع، وهي تعكس تداولية اللُّغة حين استعمالها، فِي حين أَنَّهم يختلفون فِي الدَّلالة الهامشية التي لا يفهمها إِلاَّ المبدعون مِنَ الشعراء والنقّاد والأَكاديميين.

3- التغيّر الدَّلالي منوط بتغيّر الزمان والمكان، وتطوّر البيئة واختلافها بين العصور، والتقدّم الذي يُصاحب المجتمع والحياة الاجتماعية فهو تطوّر شامل فِي الحياة والاستعمال اللُّغوي.

---

(1) ينظر علم اللغة، محمود السعران، 228. والوجيز في علم اللغة، حسن مزبان، 47.

(2) ينظر: علم الدلالة والمعجم العربي، أَبو شريفة وآخرون، عمّان، الأردن، ط1، 1981م: 67.

(3) ينظر: المصدر السابق: 69.

4- سوء الفهم يدخل ضمن قانون (القياس الخاطئ) الذي يحدث عند الأَطفال كثيرًا، وعند الكبار قليلاً.

5- تضييق المعنى أَو تخصيص الدَّلالة أَكثر استعمالاً فِي اللُّغة وحدوثًا منذ الزمن القديم وحتَّى الآن مِنْ توسيع المعنى أَو تعميم الدَّلالة.

الفصل الرَّابع
الظواهر الدَّلالية فِي كتاب الزَّاهر

توطئة.

المبحث الأَوَّل: ظاهرتا الاشتقاق والمثنَّى.

المبحث الثَّاني: التذكير والتأنيث، والمقصور والممدود.

المبحث الثَّالث: ظاهرتا النوادر والغريب.

المبحث الرَّابع: دلالة الأَلفاظ الإسلامية.

توطئة:

يبدأ تأريخ عُلُوم اللُّغة العربية بالقرآن الكريم، وقد بدأت الدراسات اللُّغوية عند العرب لخدمة الدين الإسلامي؛ ولغرض فهم القرآن الكريم الذي يُعَدُّ المصدر الأَوَّل للتشريع الإسلامي، ودستور المسلمين، بل إنَّ القرآن الكريم يُعَدُّ محورًا للدراسات العربية كلّها، وهو الأَساس الذي مِنْ أَجله قامت هذه الدراسات.

ولم يترك اللُّغويون العرب صغيرةً ولا كبيرةً مِنَ الظواهر اللُّغوية العربية إلاَّ وتناولوها بالبحث والتأليف خدمةً للغة هذا الكتاب الكريم، فألّفوا فِي ظاهرة الهمز، والقصر والمدّ، والتذكير والتأنيث، والقلب والإبدال، والإتباع، والتثنية، والترادف والأَضداد والمُشترك اللفظي، وفي اشتقاق الأَسماء، وأَلّفوا فيها كُتبًا مُستقلّة اشتهر مؤلّفوها بين الدارسين.

وسأَتناول فِي هذا الفصل أَهم هذه الظواهر التي وردت فِي كتاب الزاهر:

المبحث الأَوَّل
ظاهرتا الاشتقاق والمثنَّى

أَوَّلاً– ظاهرة الاشتقاق.

ثانيًا ـ ظاهرة المُثنَّى.

أَوَّلاً ـ الاشتقاق:

ـ الاشتقاق لُغةً:

هو أخذ شِقّ الشيء وهو نصفه، واشتقاق الحرف مِنَ الحرف، أَخذه منه، ذكر ابن فارس(ت395هـ): " الشين والقاف أَصل واحد يدلّ على انصداع فِي الشيء، ويُقال نصف الشيء الشِقّ "[1]، وقال محمد بن أبي بكر الرازي(ت700هـ): " و(الشِقّ) بالكسر نصف الشيء... واشتقاق الحرف مِنَ الحرف أَخذه منه " [2].

ـ الاشتقاق اصطلاحًا:

هو أَخذ كلمة مِنْ كلمة أَو أَكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ مِنْهُ فِي اللفظ والمعنى جميعًا [3]، أَو هو: " نزع لفظ مِنْ آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيبًا، وتغايرهما فِي الصيغة، أَو هو: تحويل الأَصل الواحد إِلى صيغ مُختلفة؛ لتفيدَ ما لم يستفد بذلك الأَصل " [4].

ـ الاشتقاق بين عُلماء الغرب وعُلماء العربية:

الاشتقاق عند عُلماء الغرب أَحد فروع علم اللُّغة التي تدرس المفردات، وينحصر مجاله فِي أَخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة، وتزويد كلّ واحدة مِنْها بِمَا يُشبه أَنْ يكون بطاقة شخصية يُذكر فيها: مِنْ أَين جَاءتْ ؟ ومتى، وكيف صيغت؟ والتقلّبات التي مرّت بها، فهو إِذنْ علم تأريخي يُحدّد صيغة كلمة فِي أَقدم عصر تسمح للمعلومات التأريخية بالوصول إِليه، ويدرس الطريقة التي مرّت بها الكلمة مع التغييرات التي أَصابتها مِنْ جهة المعنى، أَو مِنْ جهة الاستعمال [5].

أَمَّا الاشتقاق عند العرب فهو علم تطبيقي؛ لأَنَّهُ توليد لبعض الأَلفاظ مِنْ بعض، والرجوع بها إِلى أَصل واحد يُحدّد مادّتها، ويُوحي بمعناها المُشترك الأَصيل مثلما يُوحي بمعناها الخاص الجديد [6].

---

(1) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، بيروت، 1979م: مادة (شقق).
(2) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، الناشر: دار الرسالة، الكويت، 1984م: مادة (شقق).
(3) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، الناشر: مكتبة العهد، بغداد، ط1، 1965م: 246.
(4) في فقه اللغة العربية، محمد فريد عبد الله، الناشر: مطبعة دار البحار، دمشق، ط1، 2009 م: 399.
(5) ينظر: فصول في فقه العرب، رمضان عبد التواب، 290.
(6) ينظر: المصدر السابق، 290.

أَهمية الاشتقاق:

يُعدّ الاشتقاق أحد الوسائل المهمة التي تنمو عن طريقها اللُّغات وتتّسع، ويزداد ثراؤها فِي المفردات، ولعلّ أقدم استعمال لهذه اللفظة بمعناها الاصطلاحي قول الرسول الأَعظم –صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم– على لسان الحق جلّ وعلا فِي الحديث القدسي: " أنا الرحمن، خلقتُ الرحمَ وشققتُ لها من اسمي " [1].

ويرى الشيخ عبد القادر المغربي أَنَّ الاشتقاق قوّة لنموّ اللُّغة وتكاثر كلمها، وتشعّب صيغها [2]. لكنّه يرى أَنَّهُ سماعي مقيّد بأزمان خاصّة وأشخاص معيّنين، وليس فِي مقدور المُحدثين أَنْ يعملوا تلك القوّة الآن فِي اللُّغة، فيشتقّوا مِنْ مصادرها، ويحوّلوا موادّها اشتقاقًا وتحويلاً لم يعرفهما أَهل اللُّغة أَنفسهم. إلاَّ أَنَّهُ سرعان ما يلتفت إِلى مَا فِي هذا مِنْ تحجير على اللُّغة وتضييق عليها فيقول مستثنيًا: "اللهمّ إلاّ إذا طرأ على عمراننا وعقولنا وعلومنا التي نسمّيها نقلية ما يفكّها مِنْ قيودها القديمة، ويجاوز بها سننها المتّبعة " [3].

وقد أَصدر مجمع فؤاد الأَوَّل للغة العربية بعد ستٍّ وعشرين سنة على مقولة عبد القادر المغربي قرارًا أَجاز فيه الاشتقاق مِنَ الاسم الجامد، وهذا نصّ القرار: " لقد اشتقّ العرب كثيرًا مِنْ أَسماء الأَعيان، والمجمع يُجيز هذا الاشتقاق للضرورة فِي لُغة العلوم " [4].

وفِي رأيي أَنَّ مَا ذهب إِليه مجمع فؤاد الأَوَّل للغة العربية فِي قياسية الاشتقاق مِنَ الأَسماء الجامدة رأي سديد يتّفق وتطوّر اللُّغة.

وأَخيرًا فإِنَّ عُلماء اللُّغة قد لاحظوا أَنَّ ثَمّةَ ارتباطًا معيّنًا يربط بين الكلمات، وبخاصّةٍ بين اللفظ واللفظ، أَي بين لفظ كلمة ولفظ الكلمة الأُخرى المُشتقّ مِنْها، وبين المعنى كذلك؛ إِذْ قالوا بوجود ارتباط وضعي بين هذه الكلمات، وقد لفت انتباههم أَمران:

الأَوَّل: إِنَّ للكلمة العربية أَصولاً ثلاثة تُعرف مِنْ خِلال الميزان الصرفي بفاء الكلمة، وعينها، ولامها، وأَنَّها تأتي طوعًا لترتيب (فَعَلَ).

---

(1) الاشتقاق، ابن السراج، 17.

(2) ينظر: الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، ط2، القاهرة، 1974م: 15.

(3) المصدر السابق: 16.

(4) مجلة مجمع فؤاد الأوّل للغة العربية في مصر: ج36/1

والثَّاني: إنَّ هذه الكلمات تأتي على أَشكال صرفية معيّنة تُدعى بالصيغ، وإنَّ اختلاف الكلمات مِنْ حيث التركيب هو فِي الحقيقة اختلاف بين هذه الصيغ، ولا يخفى أَنَّ الاختلاف اللفظي ينطبق عليه حكم الصرف فِي حين ينطبق على الاختلاف المعنوي حكم المعجم [1].

أَنواع الاشتقاق:

أَجمع عُلماء اللُّغة على أَنَّ أَنواع الاشتقاق أَربعة، هي:

1 ـ الاشتقاق الصغير:

هو انتزاع كلمة مِنْ أُخرى على أَنْ يكون بينهما تناسب فِي المعنى، وتغيير فِي اللفظ يضيف زيادة على المعنى الأَصلي، وهذه الزيادة هي سبب الاشتقاق، ويشمل هذا النوع عشرة أَقسام تضمّ المشتقات، وهي، (الفعل الماضي، والفعل المضارع، وفعل الأَمر، واسم الفاعل وصيغ المبالغة، واسم المفعول، والصفة المشبّهة، واسم التفضيل، واسم الآلة، واسما الزمان والمكان)، وهذا الاشتقاق هو أكثر أنواع الاشتقاق ورودًا [2]، ويسميّه علي عبد الواحد وافي (الاشتقاق العام) [3]، ويُطلق عليه الدكتور رمضان عبد التوّاب (الاشتقاق الصرفي) [4].

وتحدّث الدكتور إبراهيم أنيس عَنْ أَهميته، بقوله: " فما يُسمّى بالاشتقاق العام ليس فِي الحقيقة إلاَّ نوعًا مِنَ التوسّع فِي اللُّغة يحتاج إليه الكاتب، وتلجأ إليه المجامع اللُّغوية للتعبير عَمَّا يُستحدث مِنْ معانٍ الأَمر الذي يساعد اللُّغة على مسايرة التطوّر الاجتماعي " [5].

أَمَّا مِنْ ناحية قياسيه أَو سماعه فقد اختلف القُدماء والمُحدثون فذهب أَحمد بن فارس اللُّغوي إلى سماعه وعدم القياس عليه؛ لأَنَّ كلام العرب جُلّه توقيف بقوله: " فإنّ الذي وقفنا عليه على أَنَّ الاجتنان التستّر هو الذي وقفنا على أَنَّ الجنَّ مشتقّ منه، وليس لنا اليوم أَنْ نخترع، ولا أَنْ نقول غير ما قالوه، ولا أَنْ نقيس قياسًا لم يقيسوه لأَنَّ فِي ذلك فساد اللُّغة وبطلان حقائقها"[6]، حقائقها"[6]،

---

(1) ينظر: دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، 175.

(2) ينظر: المصدر السابق، 176.

(3) ينظر: علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، 75.

(4) ينظر: فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، 291.

(5) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ط2، 1966م: 63.

(6) الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، 67.

غير أَنَّ الدكتور إبراهيم أَنيس يرى قياسية هذا النوع مِنَ الاشتقاق، ودليله النصوص اللُّغوية المروية عَنِ العرب، بقوله: " وهذا النوع مِنَ الاشتقاق قياسي إِذ لا يُعقل أَنْ يُسمع عَنْ أَصحاب اللُّغة جميع المشتقات فِي كلّ مادّة مِنْ موادّ اللُّغة، فكثير مِنْ تلك الصيغة التي يجوز اشتقاقها لا يوجد لها فعل فِي نصّ صحيح مِنْ نصوص اللُّغة، فهناك فرق كبير بين ما يجوز لنا اشتقاقه مِنْ صيغ، ومَا اشتُقّ فعلاً، واستُعمل فِي أَساليب اللُّغة المرويّة عَنِ العرب، فليس مِنَ الضروري أَنْ يكون لكلّ فعل اسم فاعل، أَو اسم مفعول مرويّان فِي نصوص اللُّغة، فقد لا يحتاج المتكلّم أَو الكاتب إِلى كليهما فِي فعل مِنَ الأَفعال، فالمشتقات تنمو وتتكاثر حين الحاجة إِليها، وقد يسبق بعضها بعضًا فِي الوجود؛ ولهذا يجدر بنا أَلاَّ نتصوّر أَنَّ الأَفعال أَو المصادر حين عُرِفت فِي نشأتها عُرِفت معها مشتقاتها، فقد تظلّ اللُّغة قرونًا وليس بها إِلاَّ الفعل وحده أَو المصدر وحده حتَّى تدعو الحاجة إِلى ما يُشتقّ مِنْهما " [1].

ويرى الدكتور رمضان عبد التوّاب أَنَّ كلام ابن فارس السابق فيه غلوّ وإِسراف فِي منع القياس على ما اشتقّه العرب علاوة على ما فِيه مِنْ فساد الاعتقاد بالاشتقاق المعنوي مِنَ الحسي، فإِنَّ (الاجتنان) مأخوذ مِنَ (الجنّ) وليس العكس، وقد وقع بعض اللُّغويين فِي هذا الوهم[2].

وفِي رأيي أَنَّ ما ذهب إِليه الدكتور إِبراهيم أَنيس، والدكتور رمضان عبد التوّاب هو الراجح فِي قياسية هذا النوع مِنَ الاشتقاق؛ لأَنَّ هذا النوع يتصف بالميزة الحيّة فِي توليد الأَلفاظ الدَّالّة على المعاني الجديدة، وهذا أَمرٌ لم ينقطع خِلال تأريخ العربية الطويل إِلى حدّ الآن.

ـ ورود هذا النوع فِي كتاب (الزاهر):

ورد هذا النوع مِنَ الاشتقاق كثيرا فِي كتاب الزاهر، ومِنْ أَمثلة وروده على صيغة (اسم الفاعل)، قوله: " الحارث فاعل مِنْ حَرَثَ الأَرض يحرثُها حرثًا إِذَا أَصلحها، أَو يكون مِنْ قولهم: حَرَثًا لدنياه إِذا كسبَ لها، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرثَ الآخرةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾[3] أي: يكتب لآخرته... وقد سمعت العرب حارثًا وحارثةً "[4].

---

(1) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، 63.

(2) ينظر: فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، 293.

(3) سورة الشورى: من الآية (20).

(4) كتاب الزاهر، الأنباري، ج124/2.

ومِنْ خِلال النص المذكور أَستنتج أَنَّ اسم الفاعل (حارث) مشتق مِنَ الفعل الثلاثي (حرث) وهو قياسي له عدة معانٍ، مِنْها إِصلاح الأَرض، والكاسب الذي يكسب شيئًا لدنياه أَو آخرته.

وكذلك اسم الفاعل (صائم)، قال أَبو بكر بن الأَنباري: " الصائم معناه فِي اللُّغة قد أَمسك عَنِ الطعام والشراب مِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾[1] فمعناه: صمتا...، ويُقال: للصائم سائح، لتركه الطعام والشراب، قال الله تعالى: ﴿السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾[2].

ولفظة (البارئ) وهو اسم فاعل مِنَ الفعل (برأَ يبرؤ) فهو بارئ، أَي: خالق، قال ابن الأَنباري: "البارئ، معناه فِي كلام العرب: الخالق، يُقال: برأَ الله عباده يبرؤهم براء إِذا خلقهم" [3].

ولفظ (الواسع)، وهو اسم فاعل مِنَ الفعل (وَسِعَ)، ومعناه: الكثير العطايا، أَو المُحيط بعلم كلّ شيء، ذكر أَبو بكر بن الأنباري " وقولهم فِي أَسمائه: (الواسع) كقوله: واللهُ واسعٌ عليم قال أبو بكر: " الواسع معناه فِي كلامهم: الكثير العطايا الذي يسعُ لما يُسأل ـ عزَّ وجلّ ـ هذا قول أَبي عُبيدة، ويُقال: الواسع المُحيط بعلم كلّ شيء، مِنْ قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[4]، معناه: أَحاط بكلّ شيءٍ علمًا "[5].

ومِنْ ورود صيغ المُبالغة (الفتّاح) وهي صيغة مبالغة مِنْ اسم الفاعل (فاتح) الذي فعله (فتحَ: يفتحُ)، " قال أَبو بكر: الفتّاح فِي كلامهم معناه الحاكم، مِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ الفَتْحُ﴾[6] معناه: إِنْ تستقضوا فقد جاءكم القضاء... وقال الفرَّاء: " أَهل عُمان يسمّون القاضي الفتّاح "[7].

---

(1) سورة مريم، من الآية: (26).
(2) سورة التوبة، من الآية: (112).
(3) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 183.
(4) سورة طه، من الآية: (98).
(5) كتاب الزاهر: ج191/1.
(6) سورة الأنفال، من الآية: (19).
(7) كتاب الزاهر، ج1/ 189.

ولفظة (الحكيم) وهو مبالغة (حاكم) وفعله (حكمَ يحكمُ)، ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: "والحكيم معناه فِي كلام العرب المُحكِم لخلق الأشياء، فصُرِفَ عَنِ المُحكِم إِلى الحكيم كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1]، فمعناه: ولهم عذابٌ مؤلم فصُرفَ عن مؤلم إِلى أَليم "[2].

ومِنْ أَمثلة الصفة المُشبّهة باسم الفاعل لفظة(عزيز)، وهي على وزن(فعيل) مِنَ الفعل المُضعَّف (عَزَّ يَعزّ)، قال أَبو بكر الأَنباري: "العزيز معناه فِي كلام العرب القاهر الغالب، مِنْ ذلك قول العرب: قد عَزَّ فلانٌ فلانًا يعزّه عِزًّا، إِذا غلبه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾[3]، معناه: غلبني فِي الخطاب " [4].

وكذلك ما جاء على زنة (فعول)، ويراد به العدول إِلى صيغة أُخرى، أَي بمعنى (فاعل) أَو (مفعول)، مِنْ ذلك لفظة (الودود)، وهو مِنْ أَسماء الله الحسنى، ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: "والودود فِي أَسماء الله عزّ وجلّ المُحبّ لعباده، مِن قولهم: ودِدْتُ الرجلُ أَودّه ودًّا... والودود فِيه قولان: أَحدهما أَنَّهُ (فعول بمعنى فاعل) كقولك: (غفور بمعنى غافر)، والودود مِنْ صفات الله تعالى أَنَّهُ يودّ عباده الصالحين ويُحبّهم، والودّ والمودّة والمحبّة فِي المعنى سواء فالله سبحانه وتعالى ودود لأَوليائه، والصالحين مِنْ عباده، وهو مُحبّ لهم. و(فعيل)، بمعنى (مفعول) كما يُقال: (رجل هيوب) أَي: مُهيب، فتقديره: إِنَّهُ عزّ وجلّ مودود، أَي: يودّه عباده ويحبّونه " [5].

ويُلحظ أَنَّ ورود الاشتقاق الصرفي الصغير كثير جدًّا فِي كتاب الزاهر، وفِي رأيي أَنَّ هذه الكثرة توافق رأي العُلماء القدماء والمُحدثين فِي شيوعه وكثرته بالنسبة إِلى أَنواع الاشتقاق الأُخرى.

2 ـ الاشتقاق الكبير:

وهو أَنْ يكون بين الكلمتين تناسب فِي اللفظ والمعنى من غير ترتيب فِي الحروف، مثل: (حمدَ، ومدحَ) و(جبذَ، وجذبَ)[6]. ويُقال هو ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات

---

(1) سورة البقرة، من الآية: (10)

(2) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/176.

(3) سورة ص، من الآية: (23).

(4) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/ 174.

(5) المصدر السابق، ج1/184.

(6) ينظر: مباحث في فقه اللغة، علي حسن مزبان، إبراهيم الطاهر الشريف، الناشر: دار شموع الثقافة، ليبيا، ط1، 2002م، 120 . 121.

ثلاثية صوتية ترجع تقاليبها الستة وما يُصرف مِنْ كلّ مِنْها إلى مدلول واحد لهما يتغاير ترتيبها الصوتي [1].

وهذا النوع مِنَ الاشتقاق أَولِعَ به ابن جنّي(ت392)، عقد له فصلاً فِي كتابه (الخصائص)، وسمّاه (الاشتقاق الأكبر) [2]، ومثّل له بتقاليب المادّة الثلاثية (س م ل)، فابن جنّي يرى أَنَّ (س م ل) (م س ل)، (س ل م)، (م ل س)، (ل س م)، (ل م س)، مهما تقلّبت، واختلف ترتيبها الصوتي، فإِنَّ المعنى الجامع لها المُشتمل الإصحاب والملاينة، ومنها: الثوب(السَمِل) وهو الخلق... و(السمل) الماء القليل... [3].؛ لذلك ذهب الدكتور صبحي الصالح إلى أَنَّ ابن جنّي يُعدّ فِي طليعة القائلين بهذه القيمة التعبيرية للحرف العربي وذلك بخلط أَحرف أَي مادّة ومزج بعضها ببعض وتقليبها فِي تركيب ثلاثي على جهاتها الستّة المحتملة ثُمّ يُنظر إلى الحرف الواحد مِنْ أَحرفها حينما كان موضعه منها على أَنّهُ صوت ما يزال بسيطًا له دلالته التعبيرية الخاصّة ويتمتّع بدلالته السحرية الذاتية، فلا ضير فِي تقليب مادّة على وجوهها المختلفة، ولا ضير أَنْ تأتي فاء الكلمة فِي موضع العين أَو اللام، ولا أَنْ تأتي اللام فِي موضع الفاء أَو العين، ولا أَنْ تحلّ العين محلّ اللام أَو الفاء، فإِنَّ كل حرف منها قُدِّمَ أَو أُخِّرَ يُوحي بمدلوله الذاتي الخاصّ والفروق الدقيقة التي تنشأ أَحيانًا عن التقديم أَو ذاك التأخير مِنْ غير أَنْ تؤثّر فِي المعنى العام الذي تدلّ عليه المادّة بمجموع حروفها [4].

وقد وقف اللُّغويون القُدماء، والباحثون المحدثون مِنْ مذهب ابن جنّي ثلاثة مواقف، فمنهم مَنْ أَيده كالزجّاج(ت310هـ)[5]، ومنهم مَنْ أَنكره كالسيوطي(ت911هـ)[6]، مِنَ القدماء، وإِبراهيم أَنيس [7]، وفؤاد حنّا ترزي [8]، ومنهم مَنْ وقف موقفًا وسطًا بين الفريقين السابقين، مثل مثل صبحي الصالح [9].

---

(1) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، 186.

(2) الخصائص، لابن جني، ج2 / 132.

(3) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(4) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، 204 ـ 205.

(5) ينظر: المزهر، للسيوطي، ج354/1.

(6) ينظر: المصدر السابق: 1 / 347.

(7) ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، 68.

(8) ينظر: الاشتقاق، ابن السراج، 331.

(9) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، 195.

وفِي رأيي أَنَّ هذا النوع لا يفيد الاشتقاق بشيء، وهو ليس باشتقاق بل نوع مِنَ القلب المكاني، أَي تبديل مواقع الحروف، مثل: (أيس، ويئسَ) و (حمدَ، ومدحَ)، وبهذا فهو يوافق السِّيوطي فِي إنكاره أنّ فكرة التقاليب هي الفكرة الرياضية التي عقدها الخليل بن أَحمد الفراهيدي عند إنشاء كتابه (العين)، ثُمّ وجدت هذه الفكرة هوىً فِي الدرس اللُّغوي عند ابن جنّي.

ولم يرد فِي كتاب (الزاهر) إلاَّ قليلاً جدًّا، مثل: (صقع)، و(صعق)، قال أَبو بكر بن الأَنباري: " ويُقال: قد صُعِقَ الرجل إِذَا أَصابته صاعقة، والصاعقة العذاب، وجماعة مِنَ العرب يقولون: قد صُقِعَ الرجل " [1].

3 ـ الاشتقاق الأكبر:

وهو أَنْ يكون بين اللفظتين تناسب فِي المعنى والمخرج نحو: (نعقَ، ونهقَ)، فالمعنى متقارب؛ إِذْ هو فِي كلّ مِنْهما الصوت المُستكره، وليس بينهما تناسب فِي اللفظ؛ لأَنَّ فِي كلّ من الكلمتين حرفًا لا يوجد نظيره فِي الكلمة الأخرى غير أَنَّ الحرفين اللذين اختُلِفا، أَعني: العين والهاء متناسبان فِي المخرج؛ لأنّ مخرجهما الحلق[2].

وقد أَشار ابن جنّي إِلى هذا النوع مِنَ الاشتقاق بعنوان: (تصاقب الأَلفاظ لتصاقب المعاني)، وعرّفه بِأَنَّهُ نوع مِنْ تقارب الحروف لتقارب المعاني بقوله: " وهذا باب واسع، مِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُم أَزًّا﴾[3].

أي: تزعجهم وتقلقهم فهذا فِي معنى تهزّهم هزًّا، والهمزة أَخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنَّها أَقوى مِنَ الهاء، وهذا المعنى أَعظم فِي النفوس مِنَ الهزّ؛ لأنّك قد تهزّ ما لا بالَ له كالجذع، وساق الشجرة، نحو ذلك، ومنه العَسَف والأَسَف والعين أخت الهمزة " [4].كما أَنَّ الاشتقاق الأَكبر يقوم على الإِبدال، علمًا أَنَّ ابن فارس قد صرّح بأَنَّهُ " من سنن العرب إِبدال الحروف وإِقامة بعضها مقام بعض، ويقولون مدحه ومدهه، وفرس رفل ورفن، وهو كثير مشهور قد ألّف فيه العُلماء " [5].

---

(1) كتاب الزاهر: للأنباري، 2 / 128.

(2) ينظر دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، 195.

(3) سورة مريم: الآية (83).

(4) الخصائص، لابن جني، ج1/ 538.

(5) الصاحبي فِي فقه اللغة، لابن فارس، 173.

أَمَّا المحدثون فيرجعون هذا النوع مِنَ الاشتقاق إلى ضرب مِنَ التطوّر الصوتي الذي يدخل أَحيانًا فِي اختلاف اللهجات، وقد قسّم المُحدثون الإبدال إلى قسمين:

أ ـ إبدال صرفي: وهو أَنْ تُقيم حروف معيّنة حروفًا أخرى كإبدال الواو أَلفًا فِي نحو (صام)؛ إذْ قالوا: إنَّ أَصلها (صَوَمَ) تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها فقُلِبت أَلفًا، وكإبدال الطاء مِنَ التاء كما فِي (اصطنعَ) وأَصلها (اصتنعَ).

ب ـ إبدال لغوي: واشترط فيه اللُّغويون أَنْ تكون الحروف المتعاقبة متقاربة المخرج، وأَنْ تكون إحدى اللفظتين أَصلاً للأخرى لا لُغةً فِي الثَّانية، نحو: (نعقَ، ونهقَ)، و(سَقَر، وصَقَر)، و (دنَّ، وطنَّ) [1].

وفِي رأَيي أَنَّ هذا النوع مِنَ الاشتقاق لا يقدّم أَيّ تنمية للغة بل هو مِنَ الإبدال اللُّغوي الذي أَشار إليه القدماء، ولم يرد له أَي ذكر فِي كتاب (الزاهر).

4 ـ الاشتقاق الكُبّار (النحت):

أَوَّل مَنْ أَطلق عليه مصطلح (الكبّار) الأستاذ عبد الله أَمين فِي كتابه: (الاشتقاق)[2]، **والنحت لُغةً** هو النشر والبري والقطع [3]، وقد ورد فِي القرآن الكريم فِي آيات عدّة، مِنْها قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا آمِنينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ تَتَّخِذونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [5]،﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بيُوتًا فَارِهِينَ﴾[6].

أَمَّا اصطلاحًا فهو أَنْ تنتزع كلمة مِنْ كلمتين أَو أَكثر، أَو مِنْ جملة للدَّلالة على معنى مركّب مِنْ معاني الأصول التي انتزعت منه [7]، وقال بعضهم: " أَنْ يُنتزع مِنْ كلمتين أَو أَكثر كلمةً جديدة تدلّ على معنى ما انتزعت منه، وتكون هذه الكلمة اسمًا كالبسملة، أَو فعلاً كحمدلَ، أَو حرفًا كأَنّما " [8].

---

(1) ينظر: الاشتقاق (فؤاد حنا ترزي)، الناشر: مكتبة لبنان، ط1، 2005، 237.

(2) ينظر: الاشتقاق، عبد الله أمين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1956م: 325.

(3) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادّة (نحت).

(4) سورة الحجر: من الآية (82).

(5) سورة الأعراف: من الآية (74).

(6)سورة الشعراء: الآية (149).

(7) ينظر: الاشتقاق، عبد الله أمين، 326.

(8) ينظر: فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، 301 . 302.

ويُعدّ ابن فارس مِنَ القائلين بالنحت وعدّه سنّة مِنْ سنن العرب فِي اشتقاق الكلام وتوليد بعضه مِنْ بعض، واستشهد بالأَبيات الشعرية التي ذكرها الخليل بن أَحمد الفراهيدي فِي كتابه (العين) مثل قول الشاعر:

فباتَ خيالُ طيفِكَ لي عنيقًا إلى أنْ حيعل الداعي فحيعلا[1].

وقول الشاعر مجنون ليلى، قيس بن الملوح:

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها فيا حبّذا ذاكَ الحبيبُ المبسملُ[2]

وقد قسّم العُلماء النحت إِلى أَقسام عدة منها:

1 ـ النحت الفعلي: هو ما يُنحت للدَّلالة على النطق بها أو حدوث مضمونها، مثل: (بسملَ) مِنْ بسم الله الرحمن الرحيم، و(حمدلَ) مِنْ الحمد لله ربّ العالمين، و (جعفلَ) مِنْ جعلتُ فداك، و(حوقل) أَو (حولق) مِنْ لا حولَ ولا قوّةَ إِلاَّ بالله.

2 ـ النحت السببي: هو أَنْ تنسب شيئًا أَو شخصًا أَو فعلاً إِلى اسمين، مثل: (عبدري) مِنْ (عبد الدار)، و(مرقسي) مِنْ (امرؤ القيس)، و(حضرمي) مِنْ (حضرموت).

3 ـ النحت الوصفي: هو أَنْ تنحت مِنْ كلمتين للدَّلالة على صفة بمعناها أَو أَشدّ منها، مثل (ضبطر) مِنْ (ضبط وضبر) للاكتناز، و(صلدم) من(الصلد والصدم) للشديد الحافر، و(صهصلق) مِنَ (الصهيل والصلق) للصوت المرتفع.

ـ وروده فِي كتاب (الزاهر):

ورد فِي كتاب الزاهر فِي قول أَبي بكر بن الأَنباري: " ويُقال: قد حولق الرجل إِذا قال: لا حولَ ولا قوّةَ إِلّا بالله، وقال أَبو جعفر أَحمد بن عبيدة، يُقال حولق الرجل وحوقل، إِذا قال ذلك، ويُقال: بسملَ الرجلُ، إِذا قال: بسم الله.

وقال الشاعر:

فَداكَ مِنَ الأَقْوامِ كلُّ مُبخّلٍ بحولق إِمّا سَالهُ العُرفَ سَائلُ [3]

---

(1) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: 175، والعين: مادّة (نحت) ج10/1 ـ 11. والبيت من بحر الوافر، ولم ينسب إلى قائل.

(2) ينظر: العين: مادة (نحت) ج11/1، والبيت للشاعر: قيس بن الملوح مجنون ليلى، من بحر الطويل.

(3) ورد هذا البيت في الأمالي لأبي علي القالي: بلا قائل، وهو من بحر الكامل.

أي: يقول: لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله، وقال أبو عكرمة الضبيّ: يُقال: قد هيلل الرجل إذا قال: لا إلهَ إلاَّ الله، وقد أَخذنا فِي الهيللة، إذا أَخذنا فِي التهليل، قال الخليل بن أَحمد الفراهيدي، يُقال: حيعلَ الرجلُ، إذا قال: حيَّ على الصلاة، وقد أَخذنا فِي الحيعلة، إذا أَخذنا فِي هذا القول، قال الشاعر:

ألا رُبَّ طيفٍ منكِ بات مُعانقي إلى أنْ دعا داعي الصلاة فحيعلا[1]

وقال آخر:

ومَا إنْ زالَ طيفكِ لِي عنيقًا إلى أنْ حيعلَ الدَاعِي الفَلاحَا[2]

قال: والعرب تفعل هذا كثيرًا [3].

ثانيًا ـ المثنّى:

إنَّ المراد بالمثنّى هو ما دلّ على اثنين مِمَّا تكلّم به عرب الجاهلية، أَو أَنزل به القرآن الكريم، أَو رواة الحديث، لا يُفهمُ ما جَاء مِنْ ذلك كلّه إلاَّ بفهمه حقّ الفهم، ويُعدّ المثنّى مِنْ لطائف العربية وحسن بيانها؛ ولذا عُدَّ مِنْ محسنات البديع [4].

ويعرَّف النحاة المثنّى بأَنَّهُ ما دلّ على اثنتين بزيادة فِي آخره، صالح للتجريد وعطف مثله عليه، فإذا قلت: (كتابان) فقد دلّ هذا اللفظ على اثنين بزيادة في آخره (أَلف ونون)، ويصلح أَنْ يُجرّد مِنَ الزيادة فيغدو (كتاب)، وأَصل (كتابان) كتاب وكتاب بعطف الثَّاني على مثله، فالكتاب مثل الكتاب يجمع بينهما وجه الشبه وهو اشتمال كلّ منهما على أوراق مضمونة مؤلّفة فِي موضوع ما، ووجه الشبه هذا التغيّر هو القدر المشترك الجامع بينهما [5].

وللمثنّى إعراب يخصّه، فيُعرب بالأَلف مفتوحًا ما قبلها فِي حالة الرفع، وبالياء المفتوح ما قبلها فِي حالتي النصب والجرّ، وبعد الأَلف نون مكسورة فِي الأَحوال الثَّلاثة، وهي لغة جمهرة العرب [6]. وقد تلزم الألف المثنّى فِي حالاته الثلاث فِي لغة بلحارث بن كعب، وإنّ ما ذُكِرَ مِنْ

---

(1) ورد في كتاب العين، للخليل، بن أحمد، ج11/1، بلا نسبة إلى قائل، والبيت من بحر الطويل.

(2) ورد في المصدر السابق، ج11/1، بلا نسبة إلى قائل، والبيت من بحر الوافر.

(3) كتاب الزاهر، للأنباري، ج1/ 103 . 104.

(4) ينظر: المثنّى، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ط1، 1960م: 8.

(5) ينظر: المصدر السابق، 9.

(6) ينظر: شرح ابن عقيل: ج58/1 .59.

تعريف المثنّى الحقيقي يوجب الاثنين مِنْ جنس واحد، أي: متماثلين مبنى ومعنى ولو تغليبًا، (فالعُمران) يُراد بهما أبو بكر وعمر بن الخطّاب من جنس بشري واحد يجمع بينهما الحيوانية الناطقة أو الإنسانية الفاضلة وهي القدر المشترك بينهما [1]، و(الأحمرين) الخمر واللحم يجمع بينهما قدر مشترك واحد هو (الحمرة) [2].

ولم يختلفوا في مثل (القرئينِ) فهما مِنَ المثنّى الحقيقي إنْ أُريدَ بهما الطهران أَو الحيضان، لا بمعنى طهر وحيض فإنّهما حينئذٍ لا يكونان متماثلين ولا من جنس واحد فهو لا يُشبه المثنّى الحقيقي بمعناه، إنْ أشبه بالمبني وأُعرب إعراب المثنّى [3].

ـ أَنواع المثنّى:

المثنّى نوعان، منه ما يُفرد، ونوع ما لا يُفرد، فالمنفرد منهما أَصبح إطلاقه على كلّ المسمّين، مثاله (كتابان) إذا أُفرِدَ كان مفرده (كتابًا) يُطلق على كلّ مِنَ المسمّين، ايْ: الكتابين، وأَمَّا مالا يُفرد فينقسم إلى قسمين: التقليبي، والتغليبي[4].

أ ـ المثنّى التقليبي:

هو إذا ما أُفرِدَ لم يُفد المعنى الموضوع له فِي التثنية، ولذلك لا يصحُّ إطلاقه على أَحد المسمّين، مثاله (البحران) لبحر القلزم، وبحر الروم، فإذا أُفردَ هذا المثنّى بحذف الأَلف والنون لم يصحّ إطلاقه على أَحدٍ منهما، فلا يُقال: إنَّ (البحر) هو بحر القلزم أَو بحر الروم، ومثله (الرافدين) لدجلة والفرات، وما أَشبههما [5].

ب ـ المثنّى التغليبي:

هو الذي إذا أُفرِدَ صحّ إطلاقه على المتغلّب مِنَ الاثنين، مثاله (العُمَران) لأَبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ مفردهما (عمر) يصحّ إطلاقه على ابن الخطّاب، وهو المُتغلب مِنَ الاثنين، ومثله (القمران) للشمس والقمر[6].

---

(1) ينظر: أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة السعادة، مصر، 1958م: 36.
(2) ينظر: المصدر السابق: 37
(3) ينظر: المثنّى، أبو الطيب اللغوي، 10.
(4) ينظر: المصدر السابق: 11.
(5) ينظر: المصدر نفسه،13.
(6) ينظر: أدب الكاتب: 36.

وكذلك قُسِّمَ المُثنّى إلى جاهلي، وقرآني، ونبويّ، وإسلامي.

فمن الجاهلي: (الدُحْرضان)، وهما موضعان، دُحْرض، والآخر توشيع، تغلّب الأَوَل على الثَّاني فقيل لهما (دُحْرضان) على التغليب.

ومِنَ القرآني، قوله تعالى: ﴿رَبُّ المَشْرِقَينِ وَرَبُّ المَغْرِبَينِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿حَتّى إِذَا جاءَنا قَالَ يَا لَيتَ بَيْنِي وبينكَ بُعدَ المَشْرِقَينِ﴾[2].

ومن النبوي: ما رواه الترمذي، وغيره، " أكثر ما يُدخل الناس النار الأجوفان (الفم والفرج)، وقوله: " اقتلوا الأسودين (الحيّة والعقرب)، إنّ هذا المثنّى من البديع يُقال له: التوشيع)[3].

ومن الإسلامي: وهو ما قيل في المثنّيات في صدر الإسلام على أُلسن الصحابة والتابعين وأتباعهم فتناولته ألسنة الشعراء، وأقلام أهل الإنشاء، أو ما اشتملت عليه عبارات العلماء[4].

وقد عرض أبو بكر بن الأنباري لهذه الظاهرة في كتابه (الزاهر)، وذكر كثيرًا من الألفاظ التي تدلّ عليها، منها:

أ ـ الأَطيبان:

وهما الأكل والنكاح، ذكر الحلبي أنّه جمعهما في التثنية لاتّفاق نعتيهما، وقال

أَبو بكر بن الأنباري: " وقولهم: قد ذهب من فلانٍ الأطيبان" معناه قد ذهب منه الأَكل والنكاح، والأَطيبان مِنَ الأَشياء التي جاءت مثنّاة لا يُفرد واحدها على مثل معناها فِي التثنية، مِنْ ذلك قولهم ما عندنا إلاَّ الأَسودان، يُراد بالأَسودين التمر والماء، والمَلَوان، الليل والنهار "[5].

---

(1) سورة الرحمن: من الآية (17).

(2) سورة الزخرف: الآية (38).

(3) ينظر: المثنّى، أبو الطيب اللغوي، 11 ، و(التوشيع): هو أنْ يؤتى بمثنّى مفسّر باسمين ثانيهما معطوف على الأوّل.

(4) ينظر: المصدر السابق، 12.

(5) كتاب الزاهر، الأنباري، ج616/1.

ب ـ الخافقان:

قال أَبو بكر بن الأنباري: " والخافقان: المشرق والمغرب، ويُقال: ما بين الخافقين أعلم منه، يُراد بالخافقين المشرق والمغرب؛ وإنَّما سُمّيا خافقين لأَنَّ الليل والنهار يخفقان عندهما".[1].

ج ـ المِذْروان، والحيرتان، والموصلان:

ذكر أَبو بكر بن الأَنباري " والمِذروان طرفا الإليتين، والحيرتان الكوفة والحيرة، والموصلان الموصل والجزيرة، وأَنشد الفرّاء:

فبصرةُ الأزدِ منّا والعراقُ لنا والموصلانِ ومنّا مِصرُ والحَرَمُ [2]

د ـ العصران:

ذكر أَبو بكر بن الأَنباري " ويُقال للغداةِ والعشيّ العصران، ويُقال العصران الليل والنهار، قال الشاعر:

وأَمْطلُهُ العصرينِ حتّى يَملّني ويرضى بنصفِ الدَينِ والأنفُ راغمُ [3]

---

(1) الزاهر، للأنباري، ج616/1.

(2) المصدر السابق: الموضع نفسه، ولم ينسبه في الزاهر، وذكره الحلبي في المثنّى بلا قائل، وهو من بحر البسيط.

(3) المصدر نفسه: ج180/2 لم ينسبه في الزاهر، وذكره الحلبي في المثنّى بلا قائل، وهو من بحر الطويل.

المبحث الثَّاني
التذكير والتأنيث، والمقصور والممدود

أولاً- التذكر والتأنيث.

ثانيًا- المقصود والممدود.

أوّلاً ـ التذكير والتأنيث:

الأصل في الأسماء التذكير [1]، وإنّ تحديد (الجنس) من حيث التذكير والتأنيث، من خصائص العربية وأخواتها اللغات الجَزَرية [2]. واقتصر علماء العربية على وضع علامة للمؤنّث؛ لأنّ المذكّر هو الأصل كما سبق ذكره.

والعلامة التي تصحب الاسم المؤنّث ثلاثة أنواع:

أ ـ التاء المربوطة في مثل: (قائمة، وفاطمة).

ب ـ الألف المقصورة في مثل: صُغرى، وليلى.

ج ـ الألف الممدودة في مثل: حمراء، وصفراء [3].

غير أنّه ليس من الضروري أَنْ تكون للمؤنّث علامة مِنَ العلامات المذكورة لكي يكون مؤنّثًا فقد احتفظت العربية بطائفة مِنَ الأَسماء تعارفَ الناس على تأنيثها مِنْ دون حاجة إلى استعمال العلامة فيها مثل: العين، واليد، والذراع، وغيرها، وأَطلق اللُّغويون عليها (المؤنّثات السماعية)، كما أَنَّهُ ليس هناك علامة للذكورية والأنثوية فِي أَسماء كثير مِنَ الحيوانات، مثل: الضبع، والأَرنب، والعقاب، والعقرب [4].

فما تذكّره قبيلة تؤنّثه أخرى [5]، ويقول (برجشتراسر): " فكان من المنتظر أنْ يكون لكلا الجنسين، أو لأَحدهما علامة مميّزة خاصّة به تشترك فيها كل الأسماء المنسوبة إليه، وأنْ يكون لعدّد كلّ واحد من الأسماء بين أسماء الجنس الواحد دون الآخر؛ بسبب مفهوم ظاهر، والأمر في الحقيقة على ضدّ ذلك في كلتا الجهتين " [6].

---

(1) ينظر: الكتاب، سيبويه، ج241/3. والتكملة، أبو علي الفارسي، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، بغداد، ط1، 1981م: 293.

(2) ينظر: اللهجات العربية فِي القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، الناشر: دار المعارف، مصر، ط1، 1968م: 178

(3) ينظر: المذّكر والمؤنّث، أبو زكريا الفرّاء، 57.

(4) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكّر والمؤنّث، أبو بكر بن الأنباري، تحقيق: د. رمضان عبد التوّاب، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1970 م: (مقدّمة المحقق) 53.

(5) ينظر: التطوّر النحوي للغة العربية، (براجشستر)، تعليق د. رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2003م: 114.

(6) المصدر السابق،113.

والمؤنّث يُقسمُ إلى قسمين: حقيقي، وغير حقيقي، فالحقيقي نحو قولك: سعاد وفاطمة، وغير الحقيقي ما لحق باللفظ، ولم يكن فيه معنى أنثى كقولك: مدرسة، وبشرى[1].

ويجب معرفة المذكّر والمؤنّث؛ لأَنَّ معرفتهما مِنْ إتمام معرفة النحو والإعراب، فمَنْ ذكّر مؤنّثًا، أو أنّث مذكّرًا كمَنْ نصب مرفوعًا، أو خفض منصوبًا [2].

والثابت فِي اللُّغة أَنَّ فيها كلمات مذكّرة، وأُخرى مُؤنّثة، وثالثة مشتركة فِي التأنيث والتذكير.

وقد أَورد أَبو بكر بن الأَنباري كثيرًا مِنَ الأَلفاظ فِي كتابه (الزاهر) التي تدلّ على هذه الظاهرة فِي اللُّغة العربية، وهي:

أ ـ **لفظ (السبيل)**: ذكر أبو بكر بن الأنباري " وقولهم: قد قُتِلَ في سبيل الله، معناه فِي طريق الله الذي يريده ويُثيب عليه، ويُحسن مجازاة مَنْ سلكه، فالسبيل: الطريق، يُذكّر ويُؤنّث، قال الله تعالى: ﴿وإنْ يروا سبيل الرُشد لا يتّخذوه سبيلاً وإنْ يروا سبيل الغي يتّخذوه سبيلاً﴾ [3]، أراد بالسبيل الطريق، وفِي بعض المصاحف، ﴿ وإنْ يَروا سَبِيلَ الرشْد لاَ يَتّخِذُوهَا سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الغَي يتّخِذُوها سَبِيلَا﴾ [4] وقال في موضع آخر: ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ ﴾[5]، وقرأوا وقرأوا "وليستبينَ سبيلُ المجرمين " بالتذكير والتأنيث [6]. وقال الشاعر:

يا نفسُ إنَّ سبيلَ الرُشدِ واضحةٌ منيرةٌ كبياضِ الفجرِ غرّاءُ [7]

والطريق بمنزلة السبيل يُذكّر ويؤنّث[8].

---

(1) ينظر: التكملة، أبو علي الفارسي،293، والبلغة في الفرق بين المذّكر والمؤنّث، للأنباري 65.

(2) ينظر: المذكّر والمؤنّث، ابن الأنباري، 87.

(3) سورة الأعراف، الآية: (146).

(4) تنسب هذه القراءة إلى أُبيّ بن كعب، ينظر: المذكّر والمؤنّث، ابن الأنباري، 229، ونسبها أبو حيّان إلى ابن أبي عبلة، ينظر: البحر المحيط، ج390/4.

(5) سورة الأنعام، من الآية: (55)

(6) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، ط1، دمشق، دمشق، 1974 م: 1 /433.

(7) ينظر: المذكّر والمؤنّث ابن الأنباري، 230، والبيت من بحر البسيط، للشاعر سابق البربري.

(8) كتاب الزاهر، الأنباري، ج2/ 208 . 209.

ب ـ لفظ (المسك والعنبر): المسك والعنبر يُذكّران ويؤنّثان، قال ابن الأَنباريّ: " قال حدَّثنا أَبو هفّان المهزمي، قال: المسك والعنبر يُذكّران ويؤنّثان، قال وأنشدنا فِي التأنيث:

والمَسْكُ والعَنْبرُ خَيرُ طِيبٍ آخذتانِ الثمنَ الرغِيبَ (1)

وقال الأَعشى فِي التذكير:

إِذَا تَقُومُ يضوعُ المَسْكُ آونةً والعَنْبَرُ الوردُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ (2)

ويُقال: المسكُ ذكيٌّ، ومسكٌ ذكيّةٌ، فالذي يُذكّر يقول: المسكُ مذكَّر، والذي يؤنّث يقول: ذهبتُ إِلى الرائحة، أَنشدنا أَبو العبّاس عَنْ سلمة عَنِ الفرّاء:

لَقَدْ عَاجَلَتْنِي بِالسِبابِ وثَوبُهَا جَديدٌ ومِنْ أَثوَابِها المَسكُ تَنْفَحُ (3)

وقال: أَراد رائحة المسك(4).

ج ـ (بغداد): تُذكّر وتؤنّث، ذكر ابن الأَنباري " وقولهم: هذه بغداد، قال أبو بكر: أصل هذا الاسم للأعاجم، والعرب تختلف في لفظه إذ لم يكن أصله من كلامها ولا اشتقاقه من لغاتها، وبعض العرب يزعم أنّ تفسيره بالعربية: بستان رجل، فبغ: بستان، وداد: رجل... قال أنشدنا أبو يعقوب بن السكّيت:

لعمرُكَ لولا هاشمٌ ما تعفّرتْ ببغدانَ في بَوْغائهِ القدمانِ (5)

وبغدان أو بغداد تُذكّر وتؤنّث، فيُقال: هذه بغدان، وهذا بغدان.

ثانيًا ـ المقصور والممدود:

إِنَّ وجود المقصور والممدود فِي أَلفاظ اللُّغة ظاهرة فريدة مِنْ ظواهر اللُّغة العربية، وخصائصها البارزة، وقد تنبّه عُلماؤنا القدامى لهذه الظاهرة الفريدة وعرفوها فاهتمّوا بها حين بدؤوا بجمع اللُّغة مِنْ أَفواه الأَعراب الفصحاء، مِنْ تراث العرب القديم فِي الشعر والأَمثال وأَقوال

---

(1) البيت لم يُنسب إلى قائل، ينظر: المذكّر والمؤنّث، ابن الأنباري، 130، والمخصص لابن درستويه: 17 /25، وهو من بحر الرجز.

(2) ينظر: ديوان الأعشى، تحقيق: مجمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط1، 1969م، 55، والبيت من بحر البسيط.

(3) ينظر: ديوان جران العود النميري، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1931 م، 40، والبيت من بحر بحر الطويل.

(4) ينظر: كتاب الزاهر، ابن الأنباري، ج378/2.

(5) البيت لم يُنسب إلى قائل، ينظر: المذكر والمؤنّث (ابن الأنباري): 372. والبوغاء: تراب دقيق، وهو من بحر الطويل. الطويل.

الفصحاء والخطباء مِنْ رجالهم، وكان قصدهم فِي الجمع تصحيح اللُّغة وتعليمها تعليمًا صحيحًا؛ لحفظها مِنَ الغلط والفساد، وتقويم اللسان مِنْ خِلال الكلام الفصيح؛ وقد حملهم على ذلك فساد اللغة، وظهور الغلط واللحن فِي كلام الناس، فاحتيج إِلى حفظ اللُّغة مِنَ الضياع، ومِنْ سُبُل ذلك جمع المقصور والممدود مِنْ أَلفاظ اللغة، وتأليف الكتب فِي ذلك فبلغ عندهم زهاء عشرين عالمًا[1].

وقد ذكر أَبو حاتم السجستاني(ت255هـ)، لكلمة (القصر) فِي اللُّغة مدلولات عدّة، مِنْها خلاف الطول، ومِنْها: الحبس، والمقصور على ما اتّفقوا عليه: كلّ اسم كانت فِي آخره أَلف فِي اللفظ زائدة كانت أَو غير زائدة، كقولك: ملهى، ومرمى، ومغزى، وبشرى [2].

وذكر أَحمد بن ولاّد(ت332هـ): " وأَمّا المقصور فهو مختصّ بألف مفردة فِي آخره نحو: الهوى، والهدى، والدنيا، وسُمّيَ مقصورًا؛ لأَنَّ حركات الإِعراب قُصِرتْ عنه، أَي: حُبِستْ[3].

والمقصور فِي الرفع والنصب والجرّ على لفظ واحد، كقولك: هذه رحىً وعصًا، ورأيتُ رحىً وعصًا، ومررتُ برحىً وعصًا، يلحقه التنوين؛ لأَنَّهُ متصرّف، فإِنْ كان غير متصرف لم يلحقه التنوين، وهو ـ أَيضًا ـ على لفظ واحد مِنْ جميع وجوه الإِعراب، كقولك: هذهِ حُبلى، ورأَيتُ حُبلى، ومررتُ بحبلى [4].

أَمَّا مِنْ حيثُ رسم آخره فما كان منه على أَربعة أَحرف فصاعدًا فالاختيار أَنْ يُكتبَ بالياء؛ وإِنْ كان مِنْ ذوات الواو، نحو ملهى، يكتب بالياء أَو بأَلف مقصورة؛ لأَنَّهُ مقصور على أَربعة أَحرف، وهو مِنْ ذوات الواو، فإِنْ كان قبل آخره حرف فيه ياء كُتِبَ بالأَلف، وإِنْ كثرت حروفه، نحو: خطايا وزوايا؛ كرهوا الجمع بين ياءين فكتبوه بالأَلف على اللفظ، فإِنْ وُصلت ما يكتب بالياء بمضمر كتبته بالأَلف، نحو: حُبلاكَ، ورجاكَ وما شابه ذلك، وكلّ ما كان من المقصور على ثلاثة أَحرف، وكان الحرف الأَوّل منه، أَو الأَوسط واوًا، فالاختيار أَنْ يُكتب

(1) ينظر: المقصور والممدود، أبو العبّاس أحمد بن محمد بن ولاّد، تحقيق: د. عزّة حسن، الناشر، دار الشرق العربي، القاهرة، ط1، 2008م، 9 ـ 10.

(2) ينظر: المصدر السابق، 22.

(3) ينظر: المصدر نفسه، 56.

(4) ينظر: المقصور والممدود، أبو عمر الزاهد، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، ط1، بغداد، 1975: 34.

بالياء، وهو ما يطلق عليه الأَلف المقصور نحو: الوجى، والورى، والنوى، والشوى،[1]. من قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾[2].

وكلّ مقصور على ثلاثة أَحرف مُخالف لهذا النوع تعرف بتصريف الكلمة إِلى الفعل أَو التثنية، أَو الجمع بالأَلف والتاء، أَو التأنيث، أَو الاشتقاق، فإِنْ كانت أَلفه مُبدلة مِنْ واو كُتِبَ بالأَلف على اللفظ، وإِنْ كانت مبدلة مِنْ ياء كُتِبَ بالياء على الاختيار، وإِنْ شئت فاكتبه على اللفظ. فتكتب (قفًا)؛ لأَنَّهُ مِنْ ذوات الواو، تقول: قفوتُ أَثره، و(رحىً) تكتب بالياء؛ لأَنَّك تقول فِي التثنية: رَحَيان، و(حصىً) بالياء؛ لأَنَّك تقول فِي الجميع حصيات، و(قطًا) بالأَلف؛ لأَنَّك تقول: قطوات، و(العمى) بالياء؛ لأَنَّك تقول فِي التأنيث: عمياء، و(العشا) بالأَلف؛ لأَنَّك تقول: امرأة عشواء[3].

وأَمَّا المقصور الذي يُسمّى منقوصًا فهو ما كانت أَلفه التي فِي آخره مبدلة مِنْ ياء أَو واو وانفتح ما قبلها، وكانت فِي موضع حركة فأُبدل منهما ألف، نحو: ملهى، ألفه مبدلة من واو؛ لأَنَّهُ مِنَ اللهو، ومرمى أَلفه مبدلة مِنْ ياء؛ لأَنَّهُ مِنَ الرمي[4].

وفي تعريف المنقوص يقول سيبويه: " المنقوص كلّ حرف من بنات الياء وقعت ياؤه، أو واوه، بعد حرف مفتوح"[5].

وذكر أَبو البركات بن الأنباري(ت577هـ): " المنقوص ما كانت فِي آخره ياء خفيفة قبلها كسرة، نحو: القاضي والداعي، فإِنْ قيل: لِمَ سُمّيَ منقوصًا قيل لأنّه نقص الرفع والجرّ "[6].

وفي رأيي أَنَّ تعريف أَبي بكر بن الأَنباريّ أَوضح إِلى المُتعلّم مِنْ تعريف سيبويه.

وقد سمّوا عصًا ورحىً، وما شاكل ذلك مِمَّا ألفه مُبدلة منقوصًا مِنْ أجل أَنَّ الأَلف أُبدلت مكان الياء والواو المتحركتين فلم يدخلها رفع ولا نصب ولا جرّ؛ لأَنَّ الأَلف لا تتحرّك، فهذا وجه نقصانها؛ لأَنَّها نقصت الحركة، فكلّ منقوص مقصور؛ لأَنَّ آخره أَلف، وليس كلّ مقصور

---

(1) ينظر: المقصور والممدود، ابن ولاّد، 23.

(2) سورة المعارج، الآية: (16).

(3) ينظر: المقصور والممدود، أبو عمر الزاهد، 37.

(4) ينظر: المقصور والممدود، ابن ولاّد، 25.

(5) الكتاب: سيبويه، ج2/ 161.

(6) أسرار العربية، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دمشق، ط1، 1957م: 45.

منقوصًا؛ لأَنَّ المنقوص ما ذكرناه، مِمَّا فِي آخره ألف مبدلة مِنْ ياء أو واو؛ لانفتاح ما قبلها وتحرّكها، وليست كلّ أَلف هي آخر اسم تكون هكذا[1].

أَمَّا الممدود فِي اللُّغة العربية فقد ذكر ابن ولاّد: " قال أَبو العبّاس على ما اتّفق عليه أَهل النحو، كلّ اسمٍ كانت فِي آخره همزة بعد أَلف زائدة، كقولك: قُرّاء، ورِداء، وعَلياء وصحراء " وقال أيضًا: " جملة الهمزات التي تقع فِي آخر الممدود إِمَّا أَصلية وإِمَّا مُلحقة، وإِمَّا للتأنيث... والممدود فإنّك تُجري عليه الإِعراب وتُلحقه التنوين إِنْ كان غير منصرف أَعربته، ولم تنوّنه، فقلت: هذه حمراءُ، ورأيتُ حمراءَ، ومررتُ بحمراءَ "[2].

وقد أَورد أبو بكر بن الأَنباري كثيرًا مِنَ الأَلفاظ التي تدلّ على هذه الظاهرة، ومن هذه الأَلفاظ ما يلي:

أ ـ الذكاء:

ذكر أبو بكر بن الأنباري " قال الشاعر فِي (الذكاء) الذي معناه: تمام الفطنة:

شَهْمُ الفؤادِ ذَكاَؤُهُ مَا مِثْلُهُ عِنَّدَ العَزيمةِ فِي الأَنامِ ذَكَاءُ [3]

وقال زهير فِي (الذكاء)، الذي معناه: تمام السنّ:

وَبِفَضْلِهَا إِذَا اجْتَهدتْ عَليهِ تَمَام السنِّ مِنْهُ والذَّكَاءُ [4]

و**(الذكاء)** فِي هذين المعنيين ممدود.

و**(الذكاء)**، تمام اتّقاد النار، مقصور يُكتب بالأَلف، قال الشاعر:

وتُضرِمُ فِي القَلبِ اضْطِرامًا كَأنّه ذَكَا النَّارِ تَزفِيه الريَاحُ النَوافِحُ[5]

ب ـ الولاء:

ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " والولاء فِي هذا المعنى ممدود يُكتب بالألف، والولاء في العتق مثله، وقال الحارث بن حِلّزة:

---

(1) ينظر: المقصور والممدود، أبو علي القالي، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة، ط1، 1965م: 55.

(2) المقصور والممدود، ابن ولاّد 26.

(3) البيت لم ينسب إلى قائل، ينظر: المقصور والممدود لأبي علي القالي، 307. وكتاب الزاهر، الأنباري، ج378/2، وهو من بحر الكامل.

(4) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى: 69، والبيت من بحر الوافر.

(5) لم ينسب إلى قائل: ينظر: المقصور والممدود لأبي علي القالي، 307. وكتاب الزاهر، للأنباري، ج378/2، وهو من الطويل.

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العِيـ ـر مُوَالٍ لَنَا وأَنَّا الوَلاَءُ [1]

والولي من المطر مقصور يُكتب بالياء، ويُقال: أولاني معناه أنعم عليَّ من الآلاء، وهي

النِعَم، قال الله جلَّ اسمه: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربّكما تُكذّبان﴾[2]، وواحد الآلاء (إليٌ، وإلًى، وألًى)، قال الأَعشى:

أبيضُ لا يرهبُ الهُزالَ ولا يقطعُ رَحِمًا ولا يخونُ إلاّ[3]

والأصل في: إلي ولي، فأبدلوا من الواو المكسورة همزة كما قالوا: الوسادة والإسادة، وكذلك ألى، ، والأصل في ألى ولى، فأبدلوا من الواو المفتوحة همزة كما قالوا: امرأة أناة وأصلها وناة من الونى والفتور " [4].

ج ـ الغثاء: قال أبو بكر بن الأنباري: " الغثاء عند العرب ما يعلو الماء مِنَ القماش والزَبَد مِمَّا لا يُنتفع به، فيُشبَّه كلّ مَنْ لا خير فِيه ولا منفعة عنده بالغثاء، والغثاء هو الجفاء... قال نابغة بني شيبان:

غُثاءُ السَّيلِ يَضرحُ حَجَرتيهِ تَجلّلهُ مِنَ الزَبَدِ الجُفَاءُ[5]

وقال ـ الله عزّ وجلّ ـ : ﴿فأمّا الزَبَدُ فيذهبُ جُفاءً﴾ [6].

د ـ **الخفاء:**قال أبو بكر بن الأَنباري: " وقولهم: برحَ الخفاءُ، وهو ممدود" [7].

هـ ـ الملأ: ذكرها أبو بكر بقوله: " وذكر أبو عبيدة: الملأ بالقصر والهمز الرؤساء والأشراف واحتجّ بقوله تبارك وتعالى: ﴿ألم ترَ إلى الملأ من بني إسرائيل﴾[8]، وبالحديث الذي يُروى عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنّه سمع رجلاً مِنَ الأَنصار بعد وقعة بدر يقول: "

---

(1) ينظر: ديوان الحارث بن حلّزة، تحقيق: هاشم الطعّان، بغداد، ط1، 1969م: 10، وهو من بحر الخفيف.

(2) سورة الرحمن، الآية: (13).

(3) ينظر: كتاب الزاهر، الأنباري، 2 /144، وديوان الأَعشى، 157، وهو من بحر المنسرح.

(4) كتاب الزاهر، الانباري، ج2/143 . 144.

(5) ينظر: المصدر السابق، ج2/95، وديوان النابغة الشيباني، 43، والبيت من بحر الوافر.

(6) سورة الرعد، من الآية: (17).

(7) الزاهر، الأنباري، ج1/542.

(8) سورة البقرة، من الآية: (246).

"إنّما قتلنا عجائز صُلْعًا، فقال له النبيّ ـ عليه الصلاة السلام ـ: أُولئك الملأ مِنْ قريش لو احتضرتَ فعالهم احتقرتَ فعالكَ مع فعالهم "[1]، وقال كعب بن مالك:

فَدُونَكَ واعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عُهُودِنَا أَبَاهُ المَلا مِنّا الذين تَبايَعُوا [2].

فإنّما أوقع (الملأ) على سادة وترك همز الملا لضرورة الشعر وحقّه الهمز[3].

و ـ الصدى: ذكره أَبو بكر بن الأَنباري: (وقولهم: أصمَّ الله صدى فلان)، ومعناه: أماته الله حتَّى لا يُسمع لصوته إِذَا صاح فِي بيت أَو صحراء صدى، والصدى الصوت الذي يسمعه الصائح فِي البيت الحالي... والصدى ينقسم إِلى خمسة أَقسام، صدأ الحديد مهموز، صَدِئ الإِناء يصدأ صَدَئًا: إِذَا علاه الوسخ، ويُكتبُ في هذا المعنى بالألف، قال الشاعر:

صَدأُ الحَديدِ عَلَى أُنُوفِهُم يَتوقّدُونَ تَوقّدَ النَجْمِ [4].

والصدى: جواب الصوت مقصور يُكتب بالياء...[5].

ز ــ الجداء: ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " والجدا في هذا المعنى مقصور يُكتب بالأَلف، والجداء: الغناء ممدود، وكلّ ممدود يُكتب بالأَلف، يُقال: إِنَّهُ لقليل الجداء عنك، قال نابغة بني شيبان:

فَعَجتُ على الرسومِ فشوّقتني ولم يَكُ فِي الرسومِ لنَا جداءُ [6]

ح ـ الذماء: قال أَبو بكر بن الأَنباري: " والذماء: بقية النفس ممدود. والذماء: ضرب مِنَ المشي أَو السير، يُقال: مرّ يذمي ذَماءً ممدود أَيضًا، والذَمى الريح المنتنة مقصور يُكتب بالياء"[7].

وفِي رأيي أَنَّ أَبا بكر بن الأَنباري كان دقيقًا فِي إِيراد الأَلفاظ مِنْ هذه الظاهرة اللُّغوية، فكان يورد الممدود ومعناه، والشواهد الدالّة عليه مِنَ القرآن الكريم والشعر العربي ضمن عصور

---

(1) ديوان كعب بن مالك، تحقيق د. سامي مكي العاني، ط1، بغداد، 1966 م: 219. وكتاب الزاهر: 170/2.

(2) ينظر: ديوان كعب بن مالك: 219، والبيت من بحر الطويل.

(3) ينظر: كتاب الزاهر، الأَنباري، ج170/2 ـ 171.

(4) ينظر: المقصور والممدود، القالي، 238، وينظر: كتاب الزاهر، الأنباري، ج2/ 391، والبيت لم ينسب إلى قائل، وهو وهو من الكامل.

(5) ينظر: كتاب الزاهر، الانباري، ج391/2.

(6) ينظر: كتاب الزاهر، الأَنباري، 2ج/ 142، وينظر: ديوان النابغة الشيباني، 46، وهو من الوافر.

(7) كتاب الزاهر: ج162/2.

الاحتجاج، ثمَّ يذكر المقصور منه ويستشهد له، ويشبعه شرحًا مدعومًا بالشواهد، وبذلك أَغنى كتابه ثروة لُغوية مهمّة.

المبحث الثَّالث

ظاهرتا النوادر والغريب

أوَّلاً ــ ظاهرة النوادر.

ثانيًا ــ ظاهرة الغريب.

أَوَّلاً ـ ظاهرة النوادر:

تُعدّ ظاهرة التأليف فِي النوادر مرحلة مِنْ مراحل جمع اللُّغة وتسجيلها، واستخلاص قواعد النحو وشواهده، فهي فِي حقيقة أَمرها استكمال للجوانب التي فاتت النحاة، أَو نظروا إليها على أَنَّها ظواهر شاذّة عن القواعد التي سجّلوها [1].

مفهوم النوادر لُغةً، واصطلاحًا:

النوادر لُغةً: جمع نادرة أَو نادر، ذكر الجوهري "نَدَرَ الشيءُ يَنْدُرُ نَدْرًا سقط وشذّ، ومنه النوادر" [2]. وذكر ابن منظور " ونوادر الكلام، وهي ما شذَّ وخرج من الجمهور " [3].

أَمَّا اصطلاحًا: فهو تعبير لُغوي يرد فِي كُتُب اللُّغة ومعجماتها كثيرًا بمعنى خلاف الفصيح المعروف فِي الأَغلب [4].

والنادر فِي هذه التعريفات قريب فِي المعنى مِنَ الحواشي والغرائب والشوارد والشواذّ فِي اللُّغة، والنادر بمعناه العام يشمل هذه الأَلفاظ جميعًا، وفِي هذا السياق يقول جلال الدين السِّيوطي: " والنوادر تشمل المشكل والوحشي والغرائب والشوارد، والفرق بين اللفظة الفصيحة، والنادرة أَنْ يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم الفصيحة كثيرًا أَو أَكثر مِنْ استعمالهم لفظة بمعناها " [5].

وقد أَورد السِّيوطي فائدة لُغوية عند حديثه عَنِ الحواشي والغرائب والشواذ والنوادر تعريفًا كثيرًا بقوله: " ثُمَّ علامة كون الكلمة فصيحة أَنْ يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم إِمَّا كثيرًا، أَو أَكثر من استعمالها ما معناه بالفصيح أَكثر استعماله فِي أَلسنة العرب " [6].

ومِمَا تقدَّم يمكن استنتاج أَنَّ المراد بالنادر ما قلَّ استعماله على أَلسنة العرب، وكُلّما كَثُرَ استعمال اللفظة وعرفها العرب، وشاعت على أَلسنتهم كانت أَجود وأَفصح، وعلى العكس مِنْ ذلك فكلّما قلَّ استعمال اللفظة وعرفها أُناس قليلون مِنَ العرب كانت نادرة ومجهولة، وعلى هذا

---

(1) ينظر: النوادر، أبو زيد الأنصاري، الناشر:المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1894 م: 46 ـ 47.

(2) الصحاح الجوهري، مادة،(ندر) ج2/ 825.

(3) لسان العرب، ابن منظور، مادة، (ندر).

(4) ينظر: النوادر، أبو زيد الأنصاري، 5 (مقدمة الناشر).

(5) المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج1/ 149.

(6) المصدر السابق، ج150/1.

فكثرة الاستعمال أَو قلّته هو المعيار الصحيح الثابت الذي يمكن أَنْ تحكم على أَنَّ هذا اللفظ فصيح معروف، أَو أَنَّ ذاك اللفظ نادر مجهول.

توضيح هذه الظاهرة عند أَبي بكر بن الأَنباري:

أَورد أَبو بكر بن الأَنباري هذه الأَلفاظ مِنَ النوادر لكنَّهُ لم يُشر إِلى أَنَّها مِنَ النوادر لكن السند الذي رواه من أَجلها امتدّ إِلى ابن الإِعرابي، وأَبي عبيدة وهما قد رويا عن النوادر وألّفا فيها، ومِنْ أَمثلة النوادر التي وردت فِي كتاب (الزاهر) ما يلي:

أ ـ هِرًّا من بِرًّا:

ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " وقولهم: ما يعرفُ هِرًّا من برّ، قال الفزاري: الهِرّ العقوق والبِرّ اللطف، والمعنى: ما يعرفُ بِرًّا من عقوق، وقال خالد بن كلثوم: الهِرّ السنَّوْر، والبِرّ الجُرَذ، وقال ابن الأَعرابي: ما يعرفُ هِرًّا من برّ، معناه: ما يعرفُ هارًّا من بارًّا لو كُتِبتْ له، وقال أَبو عبيدة: ما يعرف هِرٌّ من برّ، معناه: ما يعرفُ الهرهرة مِنَ البربرة، والهَرهرة صوت الضأن، والبربرة صوت المعز " [1].

وبالرجوع إِلى نوادر أَبي زيد الأَنصاري وجدته يقول: " قال أَبو الحسن: وأَظنّ يريد به الأَخفش الأَوسط سعيد بن مسعدة(ت215هـ)؛ لأَنَّهُ مِنْ معاصريه ـ الهَرْهَرة: الضحك فِي الباطل، والهَرْهَرة: دعاؤكَ الغنم إِلى الماء، فتقول: هَرْهَرَ بها إِذا دعاها إِلى الماء، وبَرْبَرَ إِذا دعاها إِلى العلف. وقال غيره الهِرّ السنَّوْر، والبِرّ: الفأرة "[2].

وذكر ابن قتيبة (276هـ): " الهِرّ العقوق، والبِرّ: اللطف، وقولهم: ما يعرفُ هِرًّا من بِرًّا، معناه ما يعرف الهَرْهَرة من البِرْبَرة، والهَرْهَرة: صوت الضأن "[3].

ب ـ الرِّفاء والبنين:

ذكر أَبن الأَنباري " وقولهم: بالرِفاء والبنين، قال أَبو بكر، قال الأَصمعي: الرفاء على معنيين، يكون **الرِفاء مِنَ الاتّفاق** وحسن الاجتماع، ومنه قولهم: رفأتُ الثوبَ أرفؤُهُ رَفْـًا معناه: ضممْتُ بعضه إِلى بعض ولاءمتُ بينهما، قال الشاعر إِبراهيم بن هرمة:

---

(1) كتاب الزاهر، للأنباري، 1ج/ 351.

(2) النوادر، أَبي زيد، 593.

(3) أَدب الكاتب، ابن قتيبة،41.

بُدِّلتُ من جدّةِ الشبيبةِ والـ أبدالُ ثوبَ المشيبِ أردؤها

ملاءةً غيرَ جدٍّ واسعةٍ أخيطها تارةً وأرفؤُها[1]

والوجه الآخر: أَنْ يكون **الرِفاء من الهدوء والسكون**، يُقال: رفوتُ الرجل إذا سكّنته، قال أَبو خراش الهذلي:

رَفوني وقالوا يا خويلدُ لا تُرَع فقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ[2]

وقال أَبو زيد: الرِفاء مأخوذ مِنَ المرافاة، قال: والمرافاة غير مهموز الموافقة، واحتجّ بقول الشاعر:

ولمّا أنْ رأيتُ أبا رُويمٍ يُرافيني ويكرهُ أنْ يُلاما[3]

وقال اليمامي: الرِفاء: المال [4].

ج ـ سَخَّمَ:

ذكر ابن الأَنباري: " وقولهم: قد سَخَّمَ فلانٌ وجهَهُ، معناه: قد سَوَّدَ وجههُ، أَخذ من السُّخَامِ وهو سواد القِدْر، والسخام أَيضًا فِي غير هذا اللِين. يُقال: شعرٌ سُخام إِذَا كان ليّنًا، ويُقال: عسلٌ سُخام، ويُقال للخمر: سُخامية للينها " [5].

ومثل هذا الكلام أَورده أَبو زيد الأَنصاري، ونقله ابن قتيبة[6].

ثانيًا ـ ظاهرة الغريب:

القرآن الكريم كتاب الله العزيز أَنزلهُ على نبيّه وصفيّه محمّد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بلسانٍ عربي مبين غير ذي عوج، وعلى أُمّةٍ غلبت عليها الفصاحة بفضل سلامة سليقتها، فكانوا هم الفصحاء المعروفون. وما إنْ توسّعت رقعة الدولة الإسلامية، وفُتِحتِ الأمصار، وتمّ الاختلاط بين حضارة الإسلام العظيم وسكان البلاد المفتوحة... عندئذٍ امتزجت الأَلسن وتداخلت

---

(1) ينظر: ديوان ابن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، الناشر: مطبعة الآداب النجف، ط1، 1969م: 51، والبيت من بحر المنسرح.

(2) ينظر: ديوان الهذليين، ج144/2. وأبو خراش هو خويلد بن مرّة شاعر مخضرم، وينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، 663، والبيت من بحر الطويل.

(3) ينظر: المقصور والممدود، القالي، 384. وكتاب الزاهر: ج401/1، والبيت لم ينسب إلى قائل، وهو من بحر الوافر.

(4) كتاب الزاهر، الأنباري، ج401/1. وينظر نوادر أبي زيد، 510، وأدب الكاتب، لابن قتيبة، 41.

(5) كتاب الزاهر، الأنباري، ج81/2.

(6) ينظر: نوادر أبي زيد الانصاري، 595. وأدب الكاتب، لابن قتيبة، 41.

اللُّغات وظهرت مِنْ جرّاء ذلك طبقة مِنَ الناس بدأت تفقد عربية لسانها، وتميل إِلى اللحن فِي القول، فشاع على أَلسنتهم اللحن[1].

ومِنْ هذا المنطلق جاء اهتمام عُلماء اللُّغة، وبدافع الحرص منهم على حفظ اللسان مِنَ الانزلاق إِلى هوّة اللحن الذي يؤدّي بدوره إِلى الخطأ أَو الإثم فِي قراءة النصّ القرآني وفهمه، والحديث النبوي الشريف؛ إِذْ دخله التعمّد إِلى تدوين ما اعتاده السلف مشافهةً فِي غريب القرآن، وغريب الحديث والأَثر.

مفهوم الغريب لُغةً، واصطلاحًا.

الغريب لُغةً: ما ذكره ابن منظور بقوله: " الغريب هو الغامض مِنَ الكلام... وإِنَّما هو الغامض البعيد مِنَ الفهم كما جاء فِي قول الإِمام أَبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي"[2].

وذهب بعض اللُّغويين إِلى أنّ الغريب مِنَ الكلام يقع على وجهين: بعدٌ فِي المعنى وغموض، أَو كلام شاذّ جاء على لسان بعض القبائل العربية، فالأَوّل يُراد به أَنَّهُ بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إِلاَّ عن بعد ومعاناة فكر، والآخر أَنْ يُراد به كلام مَنْ بَعُدَت به الدار مِنْ شواذّ قبائل الغرب[3]، وفسّر بعضهم أَنَّ سبب الغرابة يأتي مِنْ قلّة الاستعمال، أَو لدقّة المعنى..."فقد ورد فِي كتب الحديث المعتبرة فما وقع فِي متن الحديث مِنَ الأَلفاظ الغامضة لقلّة استعمالها أَو لدقّة معناها "[4].

أمّا اصطلاحًا: فالغريب أَو غريب الحديث فهو العمل بما به إِذَا كان صحيحًا باشتماله على أَقوال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وما جاء على لسان الصحابة مِنَ الأَثر والتابعين، وتابعي التابعين مِنْ حيثُ آثارهم وفتواهم [5].

---

(1) ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثر: (المقدّمة)، ج1/ 5.

(2) لسان العرب، لابن منظور، مادة (غرب).

(3) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1992م، ج103/22.

(4) الدَّلالة المعجمية في غريب الحديث والأثر. د. حاتم الضامن، دمشق، ط1، 1987م: 43.

(5) ينظر: المصدر السابق،45.

ـ أهمية ظاهرة الغريب:

اهتمّ عُلماء اللُّغة بظاهرة علم أَلفاظ الغريب؛ لمكانة هذا العلم مِنْ علوّ منزلة، وشرف رفيع جعلته واضح البصمات فِي مصنّفات الأَوائل والمحدّثين، وقلّما نجد معجمًا خلا مِنْ هذه الظاهرة، فلا غرابة والحال هذه أَنْ يستقي العُلماء مِنْ معين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فهما المصدران الرئيسان فِي تقويم اللسان، وتقعيد النحو، فالأَوَّل مصدر الوحي، والثَّاني قائله أَفصح العرب: " أنا أفصح العرب بيدَ أنّي من قريش " [1]؛ ولهذا أَصبحت مادّته حجّة دامغة فِي الفصاحة والبلاغة، ومنها أَفاد اللُّغويون والنحويون معنى وإِعرابًا، واتّجهوا إِلى شرح اللفظة، واستدلّوا لها مِنْ كلام العرب، وأَمثالهم وأَشعارهم، فهذا ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ كما هو منسوب إِليه أَنَّهُ أَوَّل مَنْ طرق هذا الباب فِي شرح غريب القرآن[2]، وبعده حذا مِنْ عُلماء اللُّغة والمفسّرين منهجه فقدّموا لهذا العمل الجليل خدمة عظيمة للأمة الإِسلامية، وغدا هذا التراث النفيس سهلاً لرائديه بشقّيه القرآني، والحديث، وعالجوا بمصنّفاتهم ما ورد مِنْ غريبه لفظًا ومعنىً بأسلوب واضح، ومنهجية تامّة، فهذا أَبو منصور الأَزهري (ت370هـ)، فِي معجمه (تهذيب اللغة)، ذكر كثيرًا من غامض اللُّغة وغريب أَلفاظها، وغيره من فطاحل اللُّغة، أَمثال: أَبي عبيدة فِي غريبه ومصنّفه الذي اعتمد فيه على غريب النضر بن شُميل، (ولسان العرب)، لابن منظور زخرت كثير من صفحاته بآراء علماء الغريب وجعلها مواطن للاستشهاد.

ـ ما ورد من ألفاظ الغريب فِي كتاب (الزاهر):

أَلفاظ الغريب التي وردت فِي كتاب (الزاهر) قليلة جدًا، ومِنْ هذه الأَلفاظ:

1ـ الربيبة:

ذكر أبو بكر بن الأنباري " وقولهم: فلانة ربيبة فلان: ربيبة الرجل ابنة امرأته مِنْ غيره، وإِنّما قيل لها ربيبة؛ لأَنَّهُ يربّيها، وهي (فعيلة) بمعنى (مفعولة)، أَصلها مربوبة فصُرفت عن مفعولة إِلى فعيلة، كما قالوا: قتيل، وجريح، وطبيخ، والأَصل فيهنَّ: مقتول ومجروح ومطبوخ، يُقال: ربّب فلانٌ فلانًا، وربّى فلانٌ فلانًا، وتربّبَ فلانٌ فلانًا، قال الشاعر:

---

(1) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ج171/1.

(2) ينظر: الإتقان فِي علوم الفرآن، السِّيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط1، 1967 م، ج2/ 26.

ربّبها أهلُها وفنّقها حسنُ غذاءٍ فخلقُها عَمَمُ[1]

2 ـ الظعينة:

ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " وقولهم: فلانٌة ظعينةُ فلان، قال أَهل اللُّغة: أصل الظعينة المرأة فِي الهودج ثُمّ كثر ذلك حتَّى صارت العرب تقول: فلانٌة ظعينة فلان، يريدون زوجته، ويُقال لامرأة الرجل: هي زوجته وزوجه "[2].

وذكر أبو عبيدة: " والظعينة جمعها ظعائن وظُعُن، ثُمَّ أظعان، وهي الهوادج كان فيها نساء أَو لم يكن، والحَمولةُ والحُمول واحدها حَمْل وهي الهوادج كان فيها نساء أَو لا، والهوادج هي مراكب مثل المِحفّة إلاَّ أَنَّ الهودج يُقبّبُ، والمِحفّة لا تُقبّب " [3].

3 ـ عبدٌ قِنٌّ:

قال أَبو بكر: " قال أَهل اللُّغة: القنّ الذي مُلِكَ هو وأبواه، سمعتُ أبا العبّاس يحكي ذلك عنهم، فإذا مُلِكَ هو وحده ولم يُملك أَبواه قيل: عبدُ مملكة، والقِنّ مأخوذ مِنَ القِنْية عند بعض أَهل اللُّغة، والقنْية: أَصل المال والملك، مِنْ ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنَّهُ هُو أَغْنَى وَأَقْنَى﴾[4]، معناه: جعل له قنية" [5].

4 ـ لئيم راضع:

ذكر أَبو بكر بن الأَنباري: " وقولهم: لئيمٌ راضع، فيه أَربعة أَقوال: قال اليمامي[6]: الراضع الذي رضع اللؤم مِنْ ثدي أمّه، أَي: وُلِدَ في اللؤم ونشأ فيه، وقال الطائيّ: الراضع الذي يأخذ الخُلالةَ من رأس الخِلالة فيأكلها بُخلاً وحرصًا على أنْ لا يفوته شيء، وقال أبو عمرو: الراضع الذي يرضع الشاة والناقة من قبل أنْ يحلبها من شدّة جشعه، وقال قوم: الراضع هو

---

(1) ينظر: شعر ابن ميّادة، محمد نايف الدليمي، الموصل، ط1، 1970م: 88، و:كتاب الزاهر، الأنباري، ج286/1، والبيت من بحر المنسرح، ومعنى فنَّقها: أَي أَطعمها حسن الغداء وصُنوف الأَكل، ينظر:الصحاح للجوهري، مادة (فنق).

(2) كتاب الزاهر، لابن الأَنباري، ج63/2.

(3) الغريب المصنّف، أَبو عبيد القاسم الهروي، تحقيق: محمد المختار العبيدي، الناشر: المجمع التونسي للعلوم والآداب، ط2، 1996م، 123. ولسان العرب: مادة (ظعن). وأدب الكاتب، 52.

(4) سورة النجم، الآية: (48).

(5) كتاب الزاهر، الأَنباري، ج260/1، وينظر: الغريب المصنف، أَبو عبيد القاسم، 60. ولسان العرب، مادة (عبد).

(6) هو أبو علي محمد بن جعفر بن نمير، شاعر وراوية وأديب، من أهل اليمامة. ينظر الشعر والشعراء: 401.

الراعي لا يُمسك معه محلبًا فإذا جاءه إنسان فسأله أَنْ يسقيه احتجَّ بأَنَّهُ لا محلب معه، وإِذَا أَراد هو الشرب رضع الناقة والشاة " [1].

وهكذا أَورد أَبو بكر بن الأنباري ظاهرة الغريب فِي كتابه على الرغم مِنْ قلتها، ليكتمل الدرس اللُّغوي عنده مِنْ خلال هذه الظاهرة الدَّلالية.

(1) كتاب الزاهر، الأَنباري، ج273/1 . 274، وينظر: الغريب المصنف، أَبو عبيد القاسم الهروي، 160.

المبحث الرَّابع

دلالة بعض الأَلفاظ الإِسلامية الواردة فِي كتاب (الزاهر)

1. السجود.
2. تَيمَّم.
3. الفاسق.
4. النفاق.

تُعَدُّ اللُّغة العربية مِنْ أكثر اللُّغات تطوّرًا فِي مفرداتها ودلالات أَلفاظها، وقد أَولى عُلماء العربية عناية كبيرة بمعرفة حياة اللُّغة وتقلّبها، وتأثّرها بالظواهر الاجتماعية والدينية، فقد درسوا أصول الألفاظ وتطوّرها، وكان لهم فِي ذلك جهود مثمرة، ومن هؤلاء العُلماء، أَحمد بن فارس (ت395هـ)، الذي أقرّ بابًا سمّاه (باب الأَلفاظ الإسلامية)[1]، ذكر فيه طائفة مِنَ الأَلفاظ الدينية الإسلامية وما طرأ عليها مِنْ تغيير دلالي، وكذلك فعل أَبو هلال العسكري (ت395هـ) [2]، وغيرهما مِنَ العُلماء.

أَمَّا المحدثون فقد لاحظوا أَنَّ الأَلفاظ تتطوّر وتكتسب معاني جديدة لم تكن لها مِنْ قبل[3]، وهو ما أَثبتته الأَلفاظ الإسلامية التي جاءت لحاجة طرأت علي المجتمعات الإسلامية حيثُ أَصبح لهذه الألفاظ معانٍ غير معانيها الأولى التي كانت لها، فالإسلام عندما جاء خصّص كثيرًا مِنْ معاني الأَلفاظ التي كانت عامّة المدلول [4]، وقصر الدَّلالة العامّة للأَلفاظ على بعض أَجزائها، وتحديد مدلولها وتضييق شمولها؛ إِذْ أَصبحت مختصّة بدلالات معيّنة أَقلّ اتّساعًا عمّا كانت عليه فِي الأَصل[5]، وعند ذلك صارت هي الدَّلالة المتبادرة إِلى الذهن عند سماع تلك الأَلفاظ، وبمرور الزمن يؤدّي ذلك الاستعمال إِلى إِضمارها خلال عموم معناه، أَو اختفاء دلالتها العامة؛ ليتحدّد مدلولها على ما شاع فِي استعمالها السابق، فكان لها معانٍ جديدة لم تعرف من قبل[6].

وقد وردت عدّة أَلفاظ إِسلامية ذكرها أبو بكر بن الأَنباريّ فِي كتابه (الزاهر)، وكانت محل عناية المسلمين، وهي على النحو الآتي:

1 ـ لفظ (السجود): وردت هذه اللفظة فِي قولهم: (قد سجدَ الرجلُ)، قال أَبو بكر: " معناه انحنى وتطامنَ مالَ إِلى الأرض..." (7)، ثُمَّ انتقل إِلى دلالة خاصة بالشريعة الإِسلامية، وهي

---

(1) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، 44 ـ 64.

(2) ينظر: كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: مكتبة البابي الحلبي، ط1، 1371هـ، 1952م، 15.

(3) ينظر: التطوّر اللغوي التأريخي، إبراهيم السامرائي، 46.

(4) ينظر: المزهر، للسيوطي، ج1/294.

(5) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 152. وعلم اللغة، علي وافي، 319. وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر، 245.

(6) ينظر: علم اللغة، علي وافي، 319.

(7) كتاب الزاهر، الأَنباري، ج1/ 141، وينظر: مقاييس اللغة: مادّة (سجد) ج3/ 133. ولسان العرب: مادّة (سجد).

الركن المعروف من الصلاة ذلك من سجود الشكر لله تعالى، قال ابن الأَنباري: " ويكون السجود على جهة الخشوع والتواضع والتذلّل لله [1]، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يسجدُ لَهُ مَنْ السمواتِ وَمَنْ فـي الأرضِ والشمسُ والقمرُ والنجُومُ والجِبَالُ والشجرُ والدَّوابّ﴾ [2]. فإذا ذُكِرَت لفظة (السجود) اليوم أُرِيدَ بها سجود الصلاة، ووضع الجبهة على الأَرض خضوعًا وعبادةً لله ـ عزّ وجلّ ـ [3].

فانتقلت دلالة السجود وهي الانحناء والتذلّل والتضامن إلى دلالة خاصّة بالشريعة الإسلامية، وهي الركن المعروف مِنَ الصلاة.

2 ـ لفظ (تيمّمَ):

ذكره أَبو بكر بن الأَنباري بقوله: " وقولهم: (قد تيمّمَ الرجلُ) معناه قد مسح التراب على يديه ووجهه، وأَصل تيمّمَ فِي اللُّغة: قصدَه، أَمَّهُ يؤمُّهُ إذا قصدهُ، والتيمّم مصدر الفعل، وقد تيمّموا، كقوله تعالى: ﴿ ولاَ تَيمّمَوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[4].

وهنا ذكر أَبو بكر بن الأَنباري دلالتها الخاصّة، وهي أَنَّها مسح التراب عن وجهه، وفِي الشرع: اسم للطهارة الترابية المعروفة، أي: ضرب الكفّين إلى الأَرض ومسح الوجه بها واليدين لاستباحة الدخول فِي ما هو مشروط بالطهارة تقرّبًا لله تعالى [5].

فتخصّصت دلالة (التيمّم) بدلالة جديدة لتصبح مصطلحًا إسلاميًا جديدًا بعد أَنْ كانت دلالتها عامة، وهي (القصد) عمومًا، ثُمَّ تخصّصت لحال واحدة وهي (الوضوء على البدل)، والتطهير فِي الآيات التي تأمر بالصلاة [6] ويحمل معنى إسلاميًا جديدًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [7]

---

(1) ينظر: كتاب الزاهر، الأَنباري، ج1/ 142.

(2) سورة الحجّ، الآية: (18).

(3) ينظر: التطوّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، د. محمد حسين علي الصغير، ط1، منشورات دار دار الكتب العلمية، بغداد، 1988 م: 187.

(4) سورة البقرة، من الآية: (267)، ينظر: كتاب الزاهر، ج134/1.

(5) ينظر: التطوّر الدّلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، 191.

(6) ينظر: المصدر السابق، 188.

(7 سورة النساء، من الآية: (43).

3 ـ لفظ (الفاسق):

ذكرها أَبو بكر بن الأَنباري بقوله: وقولهم: رجلٌ فاسق، قال أَبو بكر، قال أَهل اللُّغة: الفاسق معناه فِي كلام العرب الخارج مِنَ الإيمان إِلى الكفر، وعن الطاعة إِلى المعصية، أُخِذَ مِنْ قولهم: قد فسقتِ الرطبةُ، إِذَا خرِجتْ مِنْ قشرها، وقال قومٌ: الفاسق، الجائر، واحتجّوا بقول الله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِن الجنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمرِ رَبّه﴾[1]، معناه: فجارَ عن أَمرِ ربّه " [2].

فأصبحت دلالة (الفسق) مِنْ أَشهر المصطلحات الإسلامية وأَكثرها دورانًا على أَلسنة الناس[3]، فالفسوق هو الخروج عن الدين وحدود الشريعة الإسلامية [4].

4 ـ النفاق:

ورد ذكره عند أَبي بكر بن الأَنباري مِنْ خلال تعليقه على قولهم (رجلٌ منافق): " فيه ثلاثة أَقوال، قال أَبو عبيد: إِنَّما قيل له: منافق؛ لأَنَّهُ نافق كاليربوع، يُقال: قد نافقَ اليربوع ونفّق إِذا دخلَ نافقاءه، قال: وله حجر آخر يُقال له القاصعاء، فإِذا طُلِبَ من النافقاء قصعَ فخرج مِنَ القاصعاء... قالَ: فقيل له مُنافق؛ لأَنَّهُ يخرج مِنَ الإِسلام مِنْ غير الوجه الذي دخل فيه " [5].

وقال ابن قُتيبة(ت276هـ): "والنفاق لفظ إِسلامي لم تكن العرب قبل الإِسلام تعرفه " [6]، [6]، ويوكّد أَبو حاتم الرازي قول ابن قتيبة قائلاً: " المُنافق لا ذكر له فِي كلام العرب " [7]. وهذا وهذا بيان على أَنَّهُ جاء به القرآن للدَّلالة على مَنْ يدخل فِي الإِسلام مِنْ وجه، ثُمَّ يخرج منه بغير الوجه الذي دخل فيه، أَي: إِنَّهُ يُبطن غير ما يُظهره، وكأَنّ الأَصل فيه أَنَّهُ مِنْ نافقاء اليربوع[8].

ومِنْ خلال هذا الفصل يمكن التوصل إِلى النتائج التالية:

---

(1) سورة الكهف، من الآية: (50).

(2) كتاب الزاهر، لابن الأنباري، ج1/217 ـ 218.

(3) ينظر: التطوّر الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، محمد حسين على الصغير، 268 ـ 269.

(4) ينظر: الكشاف، للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3 ،1407هـ، ج1/ 222.

(5) كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/229.

(6) تفسير غريب القرآن، فخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 2001م: 29.

(7) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم الرازي، اعتنى به حسن الهمداني الراجوتي، الناشر: دار الكتاب العربي، مصر، ط2، ج1/ 141.

(8) ينظر: كتاب الزاهر، الأنباري، ج1/230.

1ـ قياسية الاشتقاق الصغير؛ لأَنَّ هذا النوع مِنَ الاشتقاق يتميّز بتوليد الأَلفاظ الدالّة على المعاني الجديدة، وهذا أمر لم ينقطع خلال تأريخ العربية الطويل.

2 ـ ورود الاشتقاق الصغير كثيرا فِي كتاب (الزاهر) قياسًا على أَنواع الاشتقاق الأخرى، كصيغ اسم الفاعل، وصيغ المبالغة، والصفة المشبّهة باسم الفاعل.

3 ـ الاشتقاق الكبير لا يفيد الاشتقاق بشيء، وهو ليس باشتقاق وإِنَّمَا هو نوع من القلب المكاني، أَي: تبديل مواقع الحروف، مثل: (أيسَ، ويئسَ) و (حَمِدَ، ، مدح) ولم يرد فِي كتاب (الزاهر) إِلاَّ فِي (صاعقة، وصاقعة).

4 ـ ورود طائفة مِنَ المثنّى التقليبي، مثل: (الأَطيبان) و (الخافقان)، وكذلك مِنَ المثنّى التغليبي، مثل: (الحيرتان، العصران).

5 ـ أَورد ابن الأَنباري فِي كتابه (الزاهر) طائفة كبيرة مِنَ الألفاظ الدالّة على التذكير والتأنيث واستشهد لها بآيات كثيرة مِنَ القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، والشعر العربي لدعم ما يذهب إِليه.

6 ـ أَورد أَبو بكر بن الأَنباري أَلفاظًا إسلاميةً مقلّدًا مَنْ سبقه مثل ابن قتيبة، وبعده ظهر عُلماء ذكروا هذه الأَلفاظ الإِسلامية كابن فارس، وأَبي هلال العسكري وغيرهما.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية فِي كتاب (الزاهر)، وملاحظة الجهود الدَّلالية ورصدها ومناقشتها، والوقوف على دور المؤلّف أَبي بكر بن الأنباري فِي عرض الظواهر الدَّلالية مِنْ خِلال النصوص الواردة فِي الكتاب، أَتمنى أَنْ أَكون قد وُفّقتُ فِي إبراز صورة واضحة تليق بهذا الرجل العالم اللُّغوي الجليل وجهوده الدَّلالية، ومِنْ أَبرز النتائج التي توصّلتُ إليها مِنْ خلال البحث، والدراسة ما يأتي:

1- أَولى أَبوبكر ظاهرة (الإعلال) عناية خاصّة، فبحث فِي مسائل تتعلّق بالإعلال بالقلب، كقلب الواو ياءً، وضرب لها أَمثلة مُختلفة.

2- وردت ظاهرة (الإبدال) فِي كتاب (الزاهر) أَكثر مِنْ غيرها مِنَ الظواهر الأخرى، كإبدال التاء فِي صيغة (افتعلَ) دالاً، وإبدال الهمزة مِنَ الهاء، وإبدال التاء مِنَ الواو.

3- عُنيَ أَبو بكر بظاهرة (المُخالفة) مثلما اهتمّ بالظواهر الصوتية الأخرى، لكنَّهُ حدّدها بعلّة (الاستثقال).

4- صرّح بالاحتكام إلى السياق فِي شروحه وتفسيره للمسائل اللُّغوية مِنْ خلال قوله: إنَّ كلام العرب يُصحّح بعضه بعضًا ويرتبط أَوَّله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب إلاَّ باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، وهذا يدلّ على سبق العرب الغربيين فِي موضوع السياق.

5- أَوَّل مَنْ صرّح بلفظ السياق عند العرب القدماء العلاّمة، ابن قيّم الجوزية(ت745هـ)، مِنْ خلال قوله: " والسياق يرشد إلى تبيين المُجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المُراد، وتخصيص العام، وتقييد المُطلق، وتنوّع الدَّلالة "[1] وهذا في رأيي وحسب اطّلاعي.

6- رصد القدماء العرب (سياق الموقف)، مِنْ خلال العلاقات الزمانية والمكانية قبل أَنْ يُولد العالم الإنجليزي (فيرث)، بأَكثر مِنْ أَلف عام، لكنّ القدماء اختلفوا فِي المصطلح، فذكره البلاغيون العرب باسم (المقام) مِنْ خلال قولتهم المشهورة (لكلّ مقام مقال).

7- نسب الدارسون سياق الحال إلى العلامة ابن جنّي(ت392هـ)، والحقّ أَنَّ أَبا بكر بن الأَنباريّ سبق ابن جنّي، فيذكر هذا النوع مِنَ السياق مِنْ خِلال الأَمثلة التي ذكرها فِي كتاب

(1) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، 4 ، 9.

(الزاهر)، ولعلّ ابن جنّي أَخذهُ مِنْ ابن الأَنباريّ؛ لأَنَّ ابن الأَنباريّ أَسبق مِنْ ابن جنّي بدليل وفاته فِي(ت328هـ).

8- اهتمّ عُلماء اللُّغة العرب القدماء بالسياق اللُّغويّ مِن{ خلال ظاهرة المشترك اللفظي إِضافةً إِلى اهتمام دارسي القرآن الكريم بالسياق اللُّغوي مِنْ أَجل تحديد معاني النصّ القرآني؛ إِذ جعلوا للسياق دورًا حاسمًا فِي فهم النصوص، وتحديد معاني الأَلفاظ وضبط دلالاتها.

9- السياق الثقافي أَقلّ ورودًا عند أَبي بكر بن الأَنباريّ، وهذا يدلّ على قلّته عند القدماء فِي حين أَنَّ المحدثين اهتمّوا به أَيَّ اهتمام، ويظهر بشكل واضح فِي ظاهرة الترادف، ثُمَّ استعمال كلّ فرد أَو أَديب أَو شاعر بالمعنى الذي يريده مِنْ خلال ثقافته الاجتماعية، واقتصاره على هذا المعنى دون تلك المعاني، وهذا يرجع إِلى تداولية اللُّغة.

10- السياق السببي لم يذكره المُحدثون العرب، وإِنَّمَا ذكره العالم الغربي(يوجين نيدا)، وعنه نقله بعض الدارسين المُحدثين، وقدّ قسّمه إِلى ثلاثة أَقسام، هي: (المعزول، والمباشر، والمستعار)، وقد أَورد أَبو بكر أَمثلة لهذه الأَنواع ذكرناها مِنْ خلال دراسة الاستعمال اللُّغوي عنده.

11- ورود طائفة مِنَ المثنّى التقليبي، مثل: (الأَطيبان)، و(الخافقان)، وكذلك مِنَ المثنّى التغليبي، مثل: (الحيرتان)، و(العصران).

12- أَورد أَبو بكر بن الأَنباري فِي كتابه(الزاهر)، طائفة كبيرة مِنَ الأَلفاظ الدالّة على التذكير والتأنيث، واستشهد لها بآيات مِنَ القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، والشعر العربي لدعم ما يذهب إِليه.

13- فِي تعريف الاسم المنقوص كان أَبو بكر بن الأَنباري أَوضح مِنْ تعريف سيبويه بالنسبة إِلى المتعلّمين، وهذا الذي مالَ إِليه الباحث.

14- قلّة وجود النادر والغريب فِي كتاب (الزاهر).

الفهارس العامة

أوَّلاً ــ فهرس الآيات القرآنية.

ثانيًا ــ فهرس الشواهد الشعرية.

ثالثًا ــ فهرس المصادر والمراجع.

رابعًا ــ فهرس المحتويات.

أَولاً ـ فهرس الآيات القرآنية:

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الفاتحة	﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	2	45
البقرة	﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	10	140/48
	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	15/14	79
	﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾	15/14	79
	﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾	16	93
	﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ﴾	93	52
	﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	143	43
	﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	164	37
	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾	173	87
	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلأ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	246	156
	﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	247	39
آل عمران	﴿ ألمَ اللهُ لا إلهَ إلاّ هوَ ﴾	**21**	**24**

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
النساء	﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفًا﴾	22	81
	﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾	43	168
المائدة	﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾	22	42
الأنعام	﴿وهو يُطْعِمَ ولا يُطْعَمُ﴾	14	95
	﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ﴾	35	41
	﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ ﴾	55	151
	﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِقونَ﴾	65	37
الأنفال	﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ الفَتْحُ﴾	19	139
الأعراف	﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾	19	72
	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾	33	94
	﴿ تَتَّخِذونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتًا﴾	74	143
	﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾	180	41
	﴿وإِنْ يروا سبيل الرُشد لا يتّخذوه سبيلاً وإِنْ يروا سبيل الغي يتّخذوه سبيلاً﴾	146	151

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
التوبة	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	3	99
	﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ﴾	37	26
التوبة	﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	61	40
	﴿السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾	112	139
	﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾	127	37
هود	﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾	12	88
يوسف	﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾	24	37
	﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾	45	60
	﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	84	81
الرعد	﴿لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًا﴾	16	82
	﴿فأمّا الزَبَدُ فيذهبُ جُفاءً﴾	17	156
الحجر	﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾	82	143
النحل	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾	120	60
الإسراء	﴿أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾	2	61
	﴿فمَنْ شاءَ فليُؤمنْ ومَنْ شاء فليكفرْ﴾	29	14

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الكهف	﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِن الجنِّ فَفَسقَ عَنْ أَمرِ رَبّه﴾	50	/130 170
	﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾	79	87
مريم	﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾	26	139/14
	﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًا﴾	32	24
	﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُم أَزًّا﴾	83	142
طه	﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾	40	4
	﴿إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾	47	86
	﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	98	139/40
الأنبئاء	﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾	83	82
الحج	﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ﴾	2	88
	﴿أَلَمْ ترَ أَنَّ اللهَ يسجدُ لَهُ مَنْ السمواتِ وَمَنْ في الأرضِ والشمسُ والقمرُ والنجُومُ والجِبَالُ والشجرُ والدَّوابّ﴾	18	169
المؤمنون	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾	76	80
الشعراء	﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾	16	86
	﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	130	42

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بيُوتًا فَارِهِينَ﴾	149	143
القصص	﴿ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ﴾	19	42
	﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾	23	60
الروم	﴿وهو الذي يبدؤ الخلقَ ثمَّ يُعيدُهُ وهُوَ أَهونُ عليهِ ولَهُ المثَلُ الأعلى فِي السمواتِ والأَرضِ وهو العزيزُ الحكيمُ﴾	27	14
	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾	54	81
الأحزاب	﴿ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾	19	72
سبأ	﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾	14	4
	﴿وَهُوَ الفَتَّاحُ العَلِيمُ﴾	26	43
	﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾	52	25
فاطر	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾	15	81
ص	﴿ وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾	23	140
الشورى	﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرثَ الآخرةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾	20	138
الزخرف	﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾	23	60
	﴿حَتّى إِذَا جاءَنا قَالَ يَا لَيتَ بَيْنِي وبينكَ بُعدَ المَشْرِقَينِ﴾	38	147
	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	87	52

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الدخان	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾	46	73
ق	﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾	45	42
النجم	﴿وَأَنَّهُ هُو أَغْنَى وَأَقْنَى﴾	4	146
الرحمن	﴿فبأيّ آلاءِ ربّكما تُكذّبان﴾	13	156
	﴿رَبُّ المَشْرِقَينِ وَرَبُّ المَغْرِبَينِ﴾	17	147
الصف	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	10	4
المعارج	﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾	16	153
الجن	﴿ وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾	15	63
المرسلات	﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾	11	25
المطففين	﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾	14	63
البلد	﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾	16	87

ثانيًا ـ فهرس الشواهد الشعرية:

القافية	البيت	بحرهُ	قائله	الصفحة
الهمزة	يا نفسُ إنَّ سبيلَ الرُشدِ واضحةٌ منيرةٌ كبياضِ الفجرِ غرّاءُ	البسيط	سابق البربري	151
	شَهْمُ الفؤادِ ذَكاَؤُهُ مَا مِثلُهُ عِندَ العَزيمةِ فِي الأَنامِ ذَكَاءُ	الكامل	بلا نسبة	155
	وَبِفَضْلِهَا إِذَا اجْتَهدتْ عَليهِ تَمَام السنِّ مِنْهُ والذَّكَاءُ	الوافر	زهير بن أبي سلمى	155
	زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَربَ العِيـ ـر مُوَالٍ لَنَا وأَنَّا الوَلاَءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	155
	غُثاءُ السَّيلِ يَضرحُ حَجَرتيهِ تَجلّلهُ مِنَ الزَبَدِ الجُفَاءُ	الوافر	النابغة الذبياني	156
	فَعَجتُ على الرسومِ فشوّقتني ولم يَكُ فِي الرسومِ لنَا جداءُ	الوافر	النابغة الشيباني	157
الباء	أودى الشبابُ وحبُّ الخالةِ الخَلَبَة وقد برئت فما في الصدرِ من قَلَبَه	الكامل	النمر بن تولب	12
	وإِذَا لَهَا تَامُورَةٌ مَرْفُوعَةٌ لِشَرَابِها	الكامل	الأعشى	61
	هِزَبْرٌ مَشَى يَبغي هِزَبْرًا، وأغلَبٌ منَ القَوْمِ يَغشَى بَاسلَ الوَجهِ أغلَبَا	الطويل	البحتري	68
	فيومًا بخيلٍ تطردُ الرومَ عنهُمُ وَيَوْمًا بجُودٍ تَطْرُدُ الفَقْرَ والجَدبا	الطويل	المتنبي	69
	بشّرتُ عيالي إذْ رأيتُ صحيفةً أتتكَ من الحجّاجِ يُتلى كتابها	الطويل	بلا نسبة	99
	يَا ويْحَ قَلبِي مِنْ دَواعِي الهَوى	السريع	الخليل بن أحمد	114

القافية	البيت	بحرهُ	قائله	الصفحة
الباء	إذ رحلَ الجيران عند الغُروبِ			
	أتبعتهم طرفي وقد أَزمعوا ودَمْعُ عيني كَفيضِ الغروبِ	السريع	الخليل بن أحمد	114
	كَانُوا وفِيهم طِفْلَة حُرّة تفتر عَنْ مثل أَقَاحِي الغُروبِ	السريع	الخليل بن أحمد	114
	والمَسْكُ والعَنْبرُ خَيرُ طِيبٍ آخذتانِ الثمنَ الرغِيبَ	الرجز	بلا نسبة	152
الحاء	رمى اللهُ في عيني بثينةَ بالقذى وفي الغُرِّ من أنيابها بالقوادحِ	الطويل	جميل بن معمر	103
	ومَا إنْ زالَ طيفكِ لِي عنيقًا إلى أنْ حيعلَ الدَاعِي الفَلاحَا	الوافر	بلا نسبة	145
	لَقَدْ عَاجَلتْنِي بِالسِبابِ وثَوبُهَ جَديدٌ ومِنْ أَثوَابِها المَسكُ تَنْفَحُ	الطويل	حران العود النميري	152
	وتُضرِمُ فِي القَلبِ اضْطِرامًا كَأنّه ذَكَا النَّارِ تَزفِيه الرِيَاحُ النَوافِحُ	الطويل	بلا نسبة	155
الدال	والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ يمسحُها ركبانُ مكةَ بينَ الغيْلِ والسَنَدِ	البسيط	النابغة الذبياني	40
	عشيّةَ قيامِ النائحاتِ وشُقّقتْ جيوبٌ بأيدي مأتمٍ وخدودِ	الطويل	لأبي عطاء السندي	66
	لو كانَ قاتلُ عمروٍ غير قاتله بكيتُهُ ما أقامَ الروحُ في الجسدِ	البسيط	أم كلثوم بنت ود	98/66

القافية	البيت	بحرهُ	قائله	الصفحة
الدال	لكنَّ قاتلَهُ مَنْ لا يُعابُ بهِ وكانَ يُدعى قديمًا بيضةُ البلدِ	البسيط	أم كلثوم بنت ود	98/66
	لهفي عليهم لقد أصبحتُ بعدهُمُ كثيرةُ الهمِّ والأحزانِ والكَمَدِ	البسيط	بلا نسبة	98/66
	قد كنتُ قبلَ مناياهِم بمغبطةٍ وصرتُ مُفردةً كبيضةِ البلدِ	البسيط	بلا نسبة	98/66
	قريبُ الخطو يحسِبُ مَن رآني ولستُ مُقيَّدًا أنّي بقيدِ	الوافر	أبي الطمحان القيني	93
	وإنّي وإنْ أوعدتُهُ أو وعدتهُ لأُخلفُ إيعادي وأُنجزُ موعدي	الطويل	طرفة بن العبد	99
الراء	خَلتِ المَنَازلُ ما بِهَا مِمّنْ عهدت بهنَّ صافرُ	الكامل	بلا نسبة	11
	وشاقكَ بينَ الخليطِ الشُطُر وفيمنْ أَقامَ مع الحيِّ هِرُّ	المتقارب	امرئ القيس	11
	إنَّ العسيرَ بها داءٌ مُخامرُها فشَطْرَها نَظَرُ العينينِ محسورُ	االبسيط	قيس بن خويلد	12
	ولمْ يقلِّبْ أرضَها البيطارُ ولا لحَبْليهِ بها جِبارُ	الرجز	حميد الأرقط	12
	أبا حاضرٍ مِنْ يَزَن يُعرفُ زناؤه ومَنْ يشربِ الخُرطومَ يُصبح مُسكَّرا	الطويل	الفرزدق	17
	تقضّيَ البازي إذا البازي كَسَر	الرجز	العجاج	34
	نُبِّئتُ أنَّ بني سُحيمٍ أدخلوا أبياتَهُم تامورَ نفسِ المنذر	الكامل	أوس بن حجر	60
	أتيتُ بعبد اللهِ والقدّ مُوثَقًا فهلاّ سعيدًا ذا الخيانةِ والغدرِ	الطويل	بلا نسبة	93

القافية	البيت	بحرهُ	قائله	الصفحة
السين	قَامَتْ تُظَلِّلَنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي	الكامل	لابن العميد	69
	يَا رَبِّ وَفِّقْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَذَّتِي لِنَفْسِ وَانْفَعْ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي أَنْحِتُهَا صَفْرَاءَ مِثْلَ الوَرْسِ	السريع	محارب الكسعي	102
	نَدِمْتُ نَدَامَةٌ لوْ أنَّ نَفْسِي تُطَاوِعُني إذًا لَقَطَعْتُ خَمْسِي تَبَيَّنَ لي سفَاهُ الرَّأي مِنِّي لَعَمْرُ أبِيك حِينَ كَسرتُ قَوْسِي	الوافر	محارب الكسعي	102
العين	بَكيتُ مِنْ حَديثٍ نمّهُ وأشاعَ ولصّفَهُ واشٍ مِنَ القومِ راضعُ	الطويل	بلا نسبة	42
الفاء	أقبلتً مِنْ عندِ زيادٍ كالخرِفْ تخُطُّ رجلايَ بِخطٍ مُختلفْ	الرجز	أبو النجم العجلي	24
	أأنتَ الهلاليُّ الذي كنتَ مرّةً سمعنا بهِ والأرحبيُّ المُعلَّفُ	الطويل	حميد بن ثور	93
اللَّام	ألا أيّها الموتُ الذي ليس تاركي أرِحْني فقدْ أفنيتَ كلَّ خليل	الطويل	الإمام علي بن أبي طالب	5
	ويُضحي فتيت المسكِ فوقَ فراشه نؤمُ الضحى لم تنتطقْ عن تفضّلِ	الطويل	أمرئ القيس	25
	كما تُوضعُ الأثقالُ وهي مُهمّةٌ بِمسلمةَ استيلاؤها وازدمالُها	الطويل	الكميت	31
	لو أنّها تبدو لأشمطَ راهبٍ عَبَدَ الإلهَ صَرُورةٍ مُتبتّلِ	الرجز	ربيعة بن الضبي	60
	شربتُ الإثمَ حتّى ضلَّ عقلي كذاكَ الإثمُ يُذهِبُ بالعقولِ	الوافر	بلا نسبة	94

القافية	البيت	بحرهُ	قائله	الصفحة
اللام	أ مِـنْ خـدّها الـورديّ أفتنـكَ الخـالُ فسحَّ من الأَجفانِ مدمعكَ الخالُ	الطويل	بطرس كرامة	114
	فباتَ خيالُ طيفِكَ لي عنيقًا إلى أنْ حيعل الداعي فحيعلا	الوافر	بلا نسبة	144
	لقد بسملت ليلى غداة لقتيها فيا حبّذا ذاكَ الحبيبُ المبسملُ	الطويل	قيس بن الملوح	144
	فَداكَ مِنَ الأَقْوامِ كلُّ مُبخّلٍ بحولق إمّا سَالهُ العُرفَ سَائلُ	الكامل	الفرزدق	144
	ألا رُبَّ طيفٍ منكِ بات مُعانقي إلى أنْ دعا داعي الصلاة فحيعلا	الطويل	بلا نسبة	145
	إِذَا تَقُــومُ يضــوعُ المَسْــكُ آونــةً والعَنْبَرُ الوردُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِل	البسيط	الأعشى	152
الميم	عليهــا دليــلٌ بــالفلاةِ نهــارَهُ وبالليلِ لا يُخطي لها القصدُ مَنْسِمُ	الطويل	لأبي تمام	5
	عشيّةَ حمّق فاستحضنتْ إليه فجاءَ معها مُظلما	الوافر	النمر بن تولب	17
	وساغَ لي الشرابُ وكنتُ قِدْمًا أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ	الوافر	النابغة الذبياني	64
	فساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ	الوافر	يزيد بن الصعق	127
	فبصرةُ الأزدِ منّا والعراقُ لنا والموصلانِ ومنّا مِصرُ والحَرَمُ	البسيط	بلا نسبة	148
	وأمْطلُهُ العصرينِ حتّى يَملّني ويرضى بنصفِ الدَينِ والأنفُ راغمُ	الطويل	بلا نسبة	148
	صَدأُ الحَديدِ عَلَى أُنُوفِهُم يَتوقّدُونَ تَوقّدَ النَجْمِ	الكامل	بلا نسبة	157

القافية	البيت	بحرهُ	قائله	الصفحة
الميم	رَفوني وقالوا يا خويلدُ لا تُرَع فقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ	الطويل	الهذليين	161
	ولمّا أنْ رأيتُ أبا رُويمٍ يُرافيني ويكرهُ أنْ يُلاما	الوافر	بلا نسبة	161
	ربّبها أهلُها وفنّقها حسنُ غذاءٍ فخلقُها عَمَمُ	المنسرح	ابن ميادة	164
النون	وخَـرْقٍ كجـوفِ العيـرِ قَفْـرٍ قطعْتُـهُ بأتلـعَ سامٍ ساهمِ الطرفِ حُسّانُ	الطويل	امرئ القيس	12
	أو خِفتَ بعـضَ الجَـوْرِ مِـنْ سلطانهِ فدعَهُ ينفذهُ إلى أوانِهِ	الرجز	العماني	17
	أحجّاجُ لولا الملكُ هُنْتَ وليس لي بما جَنَتِ السلطانُ منكَ يدانِ	الطويل	جحدر السعدي	17
	عافتِ الشربَ فِي الشتاءِ فقلنا بردّيه تُصادفيه سخينا	الخفيف	بلا نسبة	63
	لعمرُكَ لولا هاشمٌ ما تعفّرتْ ببغدانَ في بَوْغائهِ القدمانِ	الطويل	بلا نسبة	152
الواو	فَدُونَكَ واعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عُهُودِنَا أَبَاهُ المَلا مِنّا الذين تَبايَعُوا	الطويل	كعب بن مالك	156
	بُدِّلتُ من جدّةِ الشبيبةِ والـ أبدالُ ثوبُ المشيبِ أردؤها ملاءةً غيرَ جدٍّ واسعةٍ أخيطها تارةً وأرفؤُها	المنسرح	ابن هرمة	161
الألف	أبيضُ لا يرهبُ الهُزالَ ولا يقطعُ رَحِمًا ولا يخونُ إلاّ	المنسرح	الأعشى	156

ثالثًا ـ فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1. الإبدال، ابن السكّيت، تحقيق: د. حسين شرف، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1978م.
2. ابن جنّي وعلم الدلالة، نوال كريم زرزور، الناشر: مطبعة العاني ـ بغداد، الطبعة الأولى، 1990 م.
3. أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، الناشر: مكتبة العهد، بغداد، الطبعة الأولى، 1965م.
4. الإتقان في علوم الفرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الطبعة الأولى، 1967م.
5. أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر: مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثالثة، 1958م.
6. الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، (د،ط)، 1375هـ.
7. أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، عبّاس أبو السعود، الناشر:دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1970م.
8. أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1965م.
9. أسرار العربية، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دمشق، الطبعة الأولى، 1957م.
10. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن السراج، تحقيق: محمد صالح التكريتي، بغداد، الطبعة الأولى، 1973م.
11. الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1974م.
12. الاشتقاق، عبد الله أمين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1956م.
13. الاشتقاق، فؤاد حنا ترزي، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.

14. أصالة البحث الدَّلالي عند العرب من حيثُ النشأة وتطور التأليف، لخضر أكبر كصير، الناشر: كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة تكريت للعلوم، العراق، العدد12، مجلد/19، كانون الأول، 2012م.
15. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، القاهرة، الطبعة السادسة، 1994 م.
16. أصول اللغة، مجمع اللغة العربية في القاهرة، الناشر: الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، بغداد، (د،ط)، 1969م.
17. الأضداد في كلام العرب، أبو الطيّب اللغوي، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، الطبعة الأولى، 1963م
18. الأضداد في اللغة، الدكتور محمد حسين آل ياسين، الناشر: مطبعة دار المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، 1974م.
19. الأضداد، قطرب، تحقيق: د. حنّا حدّاد، الناشر: دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، 1984م.
20. الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري(ت328هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1967م.
21. الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية في القاهرة، الناشر: الهيأة العامة لشؤون الطباعة الأميرية، بغداد، الطبعة الأولى، 1977م.
22. الأمالي، أبو علي القالي، الناشر: المطبعة الأميرية، بغداد، الطبعة الثانية، (د،ت)..
23. الأنباري سيرته ومؤلفاته، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: دار البشائر، الطبعة الأولى، 2004م.
24. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي(ت646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ.
25. أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، راجعه: إميل يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، (د،ط)، 1971م.
26. البحث الدَّلالي عند ابن قيم الجوزية، د. خيري جبير الجميلي، الناشر: مطبعة الآداب، بغداد، الطبعة الأولى، 2005 م.

27. البحث الدَّلالي عند العرب، د. محمد حسين علي الصغير، الناشر: دار الشؤون الثقافية بغداد، الطبعة الأولى، 1986 م.
28. البحث اللغوي المعاصر، رشيد عبد الرحمن العبيدي، الناشر: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى، 2004م.
29. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، الناشر: المطبعة المنيرية، مصر، (د،ط / د،ت).
30. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار التراث، القاهرة، (د،ط)، 2008م.
31. البسيط في علم الصرف، شرف الدين الراجحي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1989م.
32. بغية الوعاة، السيوطي(ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1965 م.
33. البلاغة والأسلوبية، الدكتور محمد عبد المطلب، الناشر: مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1984م.
34. البلغة في الفرق بين المذكّر والمؤنّث، أبو بكر بن الأنباري، تحقيق: د. رمضان عبد التوّاب، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1970م.
35. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: حسن السندوبي، الناشر: المكتبة الرحمانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1932م.
36. تاج العروس، الزبيدي، وضع هوامشه: عبد المنعم خليل إبراهيم وآخرين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ط)، 1971م.
37. تأريخ بغداد، الخطيب، البغدادي(ت463هـ)، الطبعة الأولى الناشر: مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، (د،ت).
38. تأريخ علم اللغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة: بدر الدين القاسم، الناشر: جامعة حلب، سوريا، الطبعة الأولى، 1981م.
39. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تعليق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.

40. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، الناشر: دار النشر للجامعات القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.
41. تذكرة الحفّاظ، شمس الدين الذهبي(ت748هـ)، الناشر: حيدر آباد، الدكن، الهند، الطبعة الرابعة، (د،ت).
42. تذكرة الكاتب، أسعد داغر، الطبعة الأولى، الناشر: مطبعة المقتطف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1923م.
43. التركيب النحوي وشواهده القرآنية، د. محمد أبو الفتوح شريف، الناشر: مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1993م.
44. تصحيح الفصيح وشرجه، ابن درستويه، تحقيق: محمد بدوي، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، (د،ط)، 2004م.
45. التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 2000م.
46. تطور البحث الدَّلالي، د. محمد حسين علي الصغير، الناشر: دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، 1986.
47. التطوّر الدَّلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، د. محمد حسين علي الصغير، الناشر: دار الكتب العلمية، بغداد، الطبعة الأولى، 1988 م.
48. التطوّر اللغوي التأريخي، د. إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، 1966م.
49. التطوّر اللغوي(علله وقوانينه)، د. رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1983 م.
50. التطوّر النحوي للغة العربية، (براجشستر)، تعليق د. رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2003م.
51. التعريفات الشريف الجرجاني، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د،ط)، 1986م.
52. تفسير غريب القرآن، فخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 2001م.
53. التكملة، أبو علي الفارسي، تحقيق: كاظم بحر المرجان، بغداد، الطبعة الأولى، 1981م.

54. تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، إبراهيم السامرائي، الناشر: القاهرة، الطبعة الأولى، (د،ت).
55. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق إبراهيم الأنياري، الطبعة الأولى، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.
56. جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر الطبري، الناشر: مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954م.
57. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي الأنصاري، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1953م.
58. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق: عبد الله التريكي، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، (د،ط)، 2006م.
59. جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، الناشر: مكتبة المثنى، بغداد، (د،ط)، 1346هـ.
60. حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان(ت1206هـ)، تحقيق: محمد بن الجميل، الناشر: مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002م..
61. الخصائص، ابن جنّي، تحقيق: محمد علي النجّار، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1952 / 1956م.
62. دراسات فِي الدَّلالة والمعجم، د. عبد القادر ستيتية، الناشر: دار الشروق، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، 1985م .
63. دراسات فِي علم اللغة، د. كمال محمد بشر، الناشر: دار المعارف، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1969م.
64. دراسات في علم اللغة، د. كمال محمد بشر، الناشر: مطبعة دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1972م.
65. دراسات في علم اللغة النفسي، الدكتور عبده بدوي، الناشر: مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1984م.
66. دراسات في علم اللغة النفسي، الدكتور: عبده بدوي، الناشر: مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1984م.

67. الدراسات اللُّغوية خلال القرن الرابع الهجري، د. حمودي زين الدين عبد المشهداني، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، 2005م .
68. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، الناشر: دار الملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1970م.
69. دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمودة، الناشر: دار الجميل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2001م.
70. درّة الغواص في أوهام الخواص، الحريري، الناشر: مطبعة الجوائب، اسطنبول، (د،ط)، 1299هـ.
71. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، تونس، الطبعة الأولى، 1966م.
72. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، 1084م.
73. الدَّلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوّش المصطفى، الناشر: دار السيّاب للطباعة والنشر، لندن، الطبعة الأولى، 2007 م.
74. دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1989م.
75. الدَّلالة المعجمية فِي غريب الحديث والأثر. د. حاتم الضامن، دمشق، الطبعة الأولى، 1987م.
76. ديوان ابن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، الناشر: مطبعة الآداب النجف،الطبعة الأولى، 1969م.
77. ديوان أبو النجم العجلي، جمعه وشرحه: محمد أديب عبد الواحد، 2006م.
78. ديوان الأعشى، تحقيق: مجمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الطبعة الأولى، 1969م.
79. ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين، الناشر: دار صادر، بيروت، (د،ط)، 1965 م.
80. ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، جمعه: عبد العزيز سيّد الأهل، الناشر: دار صادر، بيروت، (د،ط)، 1973م .
81. ديوان الحارث بن حلّزة، تحقيق: هاشم الطعّان، بغداد، الطبعة الأولى، 1969م.

82. ديوان الحماسة لأبي تمّام ، تحقيق: د.عبد المنعم أحمد صالح، الناشر: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، الطبعة الأولى، 1980 م .
83. ديوان الفرزدق، الناشر: دار، صادر، بيروت، (د،ط)، 1966 م.
84. ديوان المتنبي، شرح علي العسيلي، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.
85. ديوان النابغة الذبياني(صنعة ابن السكّيت)، تحقيق: د. شكري فيصل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م.
86. ديوان الهذليين، الناشر: دار الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1965م.
87. ديوان امرىء القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، (د،ط)، 1969م
88. ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، بيروت، الطبعة الأولى، 1960م .
89. ديوان جميل بن معمر، تحقيق: د. حسين نصّار، الناشر: مكتبة مصر القاهرة، (د،ط/د،ت).
90. ديوان حران العود النميري، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1931م.
91. ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: الميمني، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى،1951م.
92. ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، الطبعة الأولى، بغداد، الطبعة الأولى، 1968م.
93. ديوان عامر بن الطفيل (شرح ابن الأنباري)، بيروت، (د،ط)، 1962م.
94. الزاهر فِي معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري(ت328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مطبعة دار الشؤون الثقافية ـ بغداد، الطبعة الأولى، 1979 م.
95. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم الرازي، اعتنى به حسن الهمداني الراجوتي، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الثانية، (د،ت).
96. سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الناشر: مطابع الأهرام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954م.
97. سنن ابن ماجه(ت275هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة البابي الحلبي ـ مصر، الطبعة الأولى، 1952 م.

98. سنن أبي داوود، الحافظ أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: العلامة الشيخ محمد ناصر الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، (د،ط)، 1424هـ.
99. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، (د،ط / د،ت).
100. السياق القرآني والدَّلالة المعجمية، الدكتورة ماجدة صلاح حسن، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007 م.
101. السياق والنص، فطومة حمادي، الناشر: دار بسكرة للطباعة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008 م.
102. الشاعر قيس بن خويلد. شرح أشعار الهذليين، السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مصر، (د،ط)، 1384هـ.
103. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1966م.
104. شذا العرف فِي فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، منشورات المدينة المنوّرة، الطبعة الخامسة، 1411هـ.
105. شرح أدب الكاتب، أبو منصور الجواليقي، تعليق: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، (د،ط)، 1350هـ .
106. شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري، الناشر: مطبعة الاستقامة، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى، 1954م.
107. شرح المفصل، لابن يعيش(ت642هـ)، وضع هوامشه وفهارسه: أسيل يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ط)، 1971م.
108. شرح السيرافي على كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: د. رمضان عبد التوّاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م.
109. شرح كتاب سيبويه، السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهذلي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، (د،ط)، 1971م.

110. شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الأستراباذي(686هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 2005 م.
111. شرح الكافية في النحو، الأستراباذي، وبهامشه: السيد الشريف الجرجاني، الناشر: مكتبة مرتضوي، طهران، (د،ط)، 1989م.
112. شرح اللمع، ابن برهان العكبري، تحقيق: د. فايز فارس،الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، 1984م.
113. شعر ابن ميّادة، محمد نايف الدليمي، الموصل، الطبعة الأولى، 1970م.
114. شعر المرقش الأكبر، د. نوري حمودي القيسي، الجزء العاشر. الناشر: مجلة العرب، المملكة العربية السعودية، (د،ط)، 1970م.
115. شعر النمر بن تولب، صنعة الدكنور نوري حمودي القيسي، بغداد، (د،ط)، 1969م.
116. شفاء العليل فيما كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، القاهرة، (د،ط)، 1325هـ.
117. الصاحبي في فقه اللغة، أجمد بن فارس، تحقيق: السيّد أحمد صقر، الطبعة الأولى، الناشر: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، (د،ت).
118. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، حماد بن إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفّار عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1956م.
119. صحاح الجوهري، تحقيق: أحمد حسن عبد الغفور، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1990م.
120. الصرف الكافي، أمين عبد الغني، مراجعة د. عبدة الراجحي ود. إبراهيم بركات وآخرون، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.
121. الصرف والنظام اللغوي، حسن قراقيش، الناشر: دار الكرمل، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، 1990 م.
122. الصرف، د. حاتم صالح الضامن، الناشر: دار الجكمة . الموصل، العراق، الطبعة الأولى، 1991م.
123. الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البيجاوي، الناشر: مكتبة البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1371هـ / 1952م.

124. طبقات المفسرين، السيوطي، تحقيق: سالم فيض الله، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، (د،ط)، 1971م.
125. طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزُبيدي الأندلسي(ت379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1984م.
126. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي(ت749هـ)، مراجعة وضبط: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1995 م.
127. العربية الفصحى(هنري فليش)، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، بيروت، الطبعة الأولى، 1966م.
128. العربية والبحث اللغوي المعاصر، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، الناشر: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى، 2004م.
129. علم الأسلوب، الدكتور صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.
130. علم الدَّلالة (دراسة نظرية وتطبيقية)، د. فريد عوض جبر، الناشر: مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.
131. علم الدَّلالة (علم المعنى)، د. محمد علي الخولي، الناشر: دار الفلاح، الأردن، الطبعة الأولى، 2001م.
132. علم الدَّلالة العربي، د. فايز الداية، الناشر: دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، 1985م.
133. علم الدَّلالة والمعجم العربي، أبو شريفة وآخرون،عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، 1981م.
134. علم الدَّلالة، د. أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1982م.
135. علم الدَّلالة (جون لاينز)، ترجمة: مجيد عبد الحليم وآخرين، الناشر: مطبعة جامعة البصرة كلية الآداب، (د،ط)، 1980م.
136. علم اللغة، د. حاتم الضامن، الناشر: مطبعة البحث العلمي ـ الموصل، الطبعة الأولى، 1990م.
137. علم اللغة، مقدمة للقارئ محمود السعران، الناشر: دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الثانية، (د،ت).

138. عوامل التطوّر اللغوي، الدكنور أحمد عبد الرحمن حماد، الناشر: دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.
139. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، الناشرك دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، 1980 / 1988م.
140. غاية النهاية في طبقات القُرّاء، ابن الجزري(ت831هـ)، عني بنشره المستشرق الألماني (برجشتراسر)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1988م.
141. غريب الحديث، أبو عبيد الهروي، الناشر: حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى، 1965م.
142. الغريب المصنف، أبو القاسم الهروي، تحقيق: محمد مختار العبيدي، الناشر: المجمع التونسي للعلوم والآداب، الطبعة الثانية، 1996م.
143. فايدروس أو (علم الجمال)، إفلاطون، ترجمة: د. أميرة حلمي مطر، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1969م.
144. فصول في فقه العربية، د رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السادسة، 1999م.
145. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة السادسة، 1975م.
146. فقه اللغة وسرّ العربية، أبو منصور الثعالبي، الناشر: المطبعة الأدبية، القاهرة، (د،ط)، 1317هـ.
147. فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة السابعة، 1972م.
148. فن الشعر، أرسطو، ترجمة عياد شكري، الطبعة الأولى، الناشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1967م.
149. الفهرست، ابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1997م.
150. في علم الدَّلالة، دراسة تطبيقية فِي شرح ابن الأنباري للمفضليات، الدكتور عبد الكريم محمد حسن جبل، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1997م.

151. فِي فقه اللغة العربية، محمد فريد عبد الله، الطبعة الأولى، الناشر: مطبعة دار البحار، دمشق، الطبعة الأولى، 2009 م.
152. فِي اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1992م.
153. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، شرح حواشيه الشيخ: أبو الوفا المصري الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، (د،ط)، 1971م.
154. قل ولاتقل، د.مصطفى جواد، الناشر: مطبعة أسعد، بغداد، الطبعة الأولى، 1970م.
155. الكامل فِي اللغة والنحو والأدب، أبو العبّاس المبرّد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيّد شحاتة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954م.
156. كتاب المنذر، إبراهيم المنذر، الناشر: مطبعة السلام، بيروت، الطبعة الأولى، 1927م.
157. الكتاب، سيبويه (ت180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988م.
158. الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، 1966م.
159. الكتابة الصحيحة، زهدي جار الله، الناشر: المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1977م.
160. الكشّاف، جار الله الزمخشري، الناشر، دار الكتب العربي، بيروت، (د،ط)، 1407هـ.
161. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م.
162. الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، دمشق، الطبعة الأولى، 1974م.
163. الكُليات، أيوب بن موسى، تحقيق: عدنان درويش وجماعة، دمشق، الطبعة الأولى، 1975م.
164. لحن العامة والتطّور اللغوي، د. رمضان عبد التوّاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1967م.

165. لحن العوام، أبو بكر الزبيدي، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التوّاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1964م.
166. لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، (د،ط)، 1965م.
167. اللغة العربية كائن حيّ، جرجي زيدان، مراجعة: الدكتور مراد كامل، الناشر: دار الهلال، بيروت، (د،ط/ د،ت).
168. اللغة فِي الدرس البلاغي، عدنان عبد الكريم جمعة، الطبعة الأولى، الناشر: دار السيّاب للنشر، لندن، الطبعة الأولى، 2008م.
169. اللغة والمجتمع، د. محمود السعران، الناشر: دار المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1962م.
170. اللهجات العربية فِي القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1968م.
171. مباحث فِي علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1977م.
172. مباحث فِي فقه اللغة، د. عليّ حسن مزبان، د. إبراهيم الشريف، الناشر: دار شموع للثقافة، ليبيا، الطبعة الأولى، 2002م.
173. المثل السائر فِي أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تقديم: د أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، (د،ط / د،ت).
174. المثنّى، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، تحقيق: عز الدين التنوخي، الناشر: مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، الطبعة الأولى، 1960م.
175. مجاز القرآن، أبو عبيدة، تحقيق: فؤاد سزكين، القاهرة، الطبعة الثانية، 1970م.
176. مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.
177. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جنّي(392هـ)، تحقيق: علي النجدي، ود.عبد الحليم النجّار، وعبد الفتاح شلبي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1966م.
178. محاور الدراسة الدَّلالية، محمد عبد الله سرير الحاج، وآخرين، الناشر: مجلة آداب النيلين، عدد1، مجلد/3، مارس 2018م.

179. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، الناشر: دار الرسالة، الكويت، (د،ط)، 1984م.
180. المخصّص، ابن سيده، تقديم خليل إبراهيم الجفال، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.
181. المخصّص، لابن سيده، الناشر: المكتب التجاري للطباعة(أوفسيت عن طبعة المطبعة الأميرية، بغداد)، (د،ط)، 1321هـ.
182. مدخل إلى علم اللغة، الدكتور محمد حسن عبد العزيز، الناشر: دار النمر للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1991م.
183. المذّكر والمؤنّث، أبو زكريا الفرّاء، تحقيق: د. رمضان عبد التوّاب، ود. صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996م.
184. مراح الأرواح فِي الصرف، أبو الفضائل أحمد بن عليّ بن محمود من علماء القرن السابع تحقيق: محمد الطهراني، الطبعة الأولى، (د،ت).
185. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: مكتبة دار التراث العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (د،ت).
186. المعاجم اللغوية فِي ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1966م.
187. معاني الأبنية فِي العربية، الناشر: دار عمان ، الطبعة الثانية، 2007م.
188. معاني القرآن، الأَخفش الأوسط تحقيق: فائز فارس، الكويت، الطبعة الأولى، 1979م.
189. معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، الناشر: مكتبة لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م.
190. معجم الأدباء، ياقوت الحموي(ت626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الفكر، بيروت، (د،ط/ د،ت).
191. معجم المصطلحات العربية فِي اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984 م.
192. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية فِي القاهرة، الناشر: الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973م.

193. المعمرون والوصايا، أبو حاتم السجستاني، تحقيق: عبد المنعم عامر، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، 1961م.
194. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين، الناشر: دار الطلائع، بيروت، (د،ط)، 2005م.
195. مفردات ألفاظ غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الطبعة الأولى، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، (د،ت).
196. مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، د. أحمد عبد السيّد الصاوي، الناشر: الهيأة المصرية العامة للكتاب، دار بور سعيد للطباعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1979م.
197. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د،ط)، 1979م.
198. المقتضب، أبو العبّاس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: مطابع الأهرام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1963م.
199. المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد وافي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1967م.
200. المقصور والممدود، أبو العبّاس أحمد بن محمد بن ولاّد، تحقيق: د.عزّة حسن، الناشر: دار الشرق العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م.
201. المقصور والممدود، أبو علي القالي، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1965م.
202. المقصور والممدود، أبو عمر الزاهد، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، بغداد، الطبعة الأولى، 1975.
203. الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الناشر: الدار العربية للكتاب، طرابلس ـ ليبيا، الطبعة الخامسة، 1983م.
204. من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1966م.
205. مناهج البحث فِي اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، (د،ط)، 1990م.

206. المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، جمال الدين ابن الجوزي(ت597هـ)، الناشر: حيدر آباد، الطبعة الأولى، 1357هـ.
207. المنصف في شرح التصريف، ابن جنّي، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ومصطفى السقا، الطبعة الأولى، القاهرة، 1964 م.
208. المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، الكويت، الطبعة الأولى، 1980 م.
209. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيّد عبد الأعلى السبزواري، الناشر: مطبعة الديواني، بغداد، الطبعة الثالثة، 1989م.
210. ميزان الاعتدال فِي نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1963 م.
211. النحت فِي العربية واستخدامه فِي المصطلحات العلمية، د. محمد ضاري حمادي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الحادي والثلاثون، الجزء الثاني، شهر أبريل 1980م.
212. نحو علم الترجمة (يوجين.نيدا)، ترجمة: ماجد النجّار، الناشر: مطبوعات وزارة الإعلام، العراق، الطبعة الأولى، 1966م.
213. النحو والدَّلالة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 2005م.
214. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات بن الأنباري(ت577هـ)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثالثة، 1985م.
215. نظرية النحو العربي فِي ضوء مناهج النظر اللُّغوي الحديث، د. نهاد الموسى، الناشر: مطبعة الزرقاء، الأَردن، الطبعة الثانية، 1987م.
216. النكت فِي إعجاز القرآن، أبو الحسن الرمّاني، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1968م.
217. نهاية الأرب فِي فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، القاهرة، (د،ط)، 1959م.
218. النهاية في غريب الحديث، مجد الدين بن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، 1963م / 1956م.
219. النوادر، أبو زيد الأنصاري، الناشر: المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، 1894م.

220. همع الهوامع فِي شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الكويت، الطبعة الأولى، 1957م / 1980م.
221. الوجيز فِي علم الدَّلالة، علي حسن مزبان، الناشر: دار شموع الثقافة، (د،ط)، 2004م.
222. الوظائف الدَّلالية للجملة العربية، د. محمد رزوق شعير، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى، 2007م.
223. وفيات الأعيان، شمس الدين أجمد بن أبي بكر بن خلّكان (ت681هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط 1، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى 1998م.
224. يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي، الناشر: مطبعة الصاوي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1934م.

رابعًا ـ فهرس المحتويات:

الموضـــــــــــوع	الصفحة
الآية القرآنية.	
الإهداء.	
شكر وتقدير.	
مقدمة.	أ
التمهيد:	1
أولاً– مفهوم الدَّلالة فِي اللغة والاصطلاح وتأصيلها فِي التراث.	2
1– مفهوم الدَّلالة في اللغة والاصطلاح.	2
2– تأصيل الدَّلالة في التراث.	3
أ– تأصيل الدَّلالة في القرآن الكريم.	4
ب– تأصيل الدَّلالة في الحديث الشريف.	5
ج– تأصيل الدَّلالة في الشعر العربي.	5
ثانيًا – تَرْجَمَة أبي بكر الأنباري.	6
اسمه ونسبه.	6
مولده ونشأته.	6
شيوخه.	7
تلاميذه.	9
وفاته.	9
أثاره العلمية.	10
ثالثًا – التعريف بكتاب (الزاهر فِي معاني كلام الناس).	11
الفصل الأوّل ـ معالم الدَّلالة الواردة في كتاب الزاهر.	19
توطئـــــة.	20
المبحث الأوّل: الدَّلالة الصوتية.	21
أولاً– دلالة التسكين.	23
ثانيًا– دلالة الهمز.	24
ثالثًا– دلالة الإعلال.	27

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
رابعًا – الإبدال.	30
خامسًا – دلالة المخالفة.	33
المبحث الثاني: الدَّلالة الصرفيّة.	36
أوّلاً– مفهوم الصرف والدلالة الصرفية.	37
ثانيًا – من معالم الصرفية الواردة في كتاب (الزاهر).	38
ثالثًا – تناوب الصيغ الصرفية ودلالاتها في كتاب (الزاهر).	46
المبحث الثّالث: الدَّلالة النحويّة.	49
أولاً– مفهوم النحو والدلالة النحوية.	50
ثانيًا – العلاقة بين السند والمسند إليه.	51
ثالثًا – من معالم الدلالة النحوية الواردة في كتاب (الزاهر).	51
المبحث الرابع: الدلالة المعجمية.	54
أولاً– مفهوم الدلالة المعجمية.	55
ثانيًا – من معالم الدلالة المعجمية الواردة في كتاب (الزاهر).	55
1– ظاهرة الترادف.	55
2– ظاهرة المشرك اللفظي.	57
3– ظاهرة الأضداد.	61
الفصل الثَّاني ـ الظواهر السياقية فِي كتاب(الزاهر).	**67**
توطئة.	68
المبحث الأول: السياق اللغوي أو اللفظي.	77
المبحث الثاني : السياق الخارجي أو سياق الحال (المقام).	83
المبحث الثَّالث: السِّيــاق الثقافّــي.	91
المبحـث الرَّابــع: السِّياق العاطفّي.	96
المبحث الخامس: السيــاق السببــيّ.	100
أولاً– السِّياق المعزول.	101
ثانيًا – السِّياق المباشر.	103
ثالثًا – السِّياق المستعار.	104

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
الفصل الثالث ـ التطوّر الدَّلالي ومظاهره فِي كتاب(الزاهر).	**107**
توطئة.	108
المبحـــث الأوّل: التغيّر الدَّلالي.	111
أولاً– التغير الدلالي العام.	129
ثانيًا– التغير الدلالي الخاصّ أو المقصود.	119
المبحث الثاني: أهمّ مظاهر التغيّر الدَّلالي.	122
توطئة.	123
أولاً– توسيع المعنى.	123
ثانيًا– تطبيق المعنى.	125
ثالثًا– انحطاط المعنى.	127
رابعًا– في المعنى.	129
الفصل الرابع ـ الظواهر الدَّلالية فِي كتاب(الزاهر).	**132**
توطئة.	133
المبحث الأوّل: ظاهرتا الاشتقاق والمثنّى.	134
أولاً– الاشتقاق.	135
ثانيًا ـ المثنّى.	145
المبحث الثاني: التذكير والتأنيث، والمقصور والممدود.	149
أولاً– التذكر والتأنيث.	150
ثانيًا– المقصود والممدود.	152
المبحث الثالث: ظاهرتا النوادر والغريب.	158
أولاً– ظاهرة النوادر.	159
ثانيًا– ظاهرة الغريب.	161
المبحث الرابع: من الألفاظ الإسلامية الواردة في كتاب (الزاهر).	166
الخاتمة.	171
الفهارس العامة.	174
فهرس الآيات القرآنية.	175

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
فهرس الشواهد الشعرية.	181
فهرس المصادر والمصادر والمراجع.	187
فهرس المحتويات.	202